

لَتَعْرِفَنَّ مِنْ أَنْتِ؟

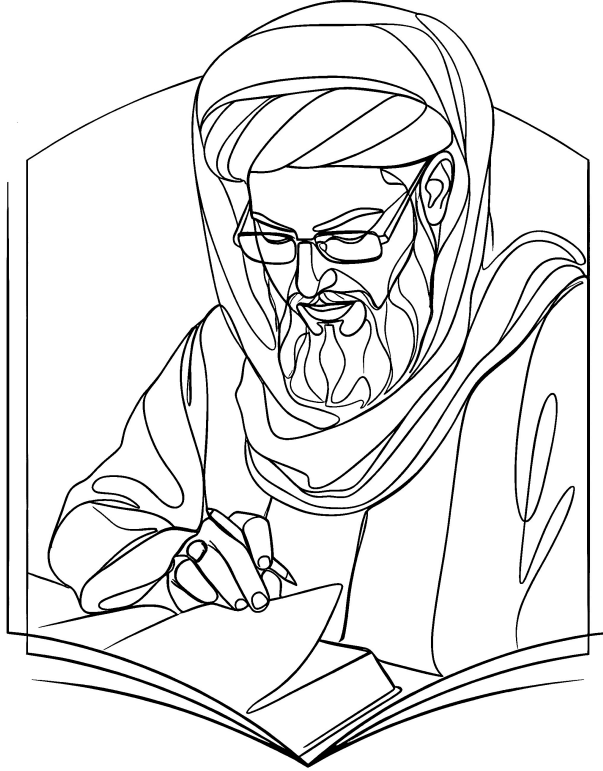
قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!



تقريراً لمحاضرات الشيخ الحبيب في الليالي الحسينية سنة ١٤٣٣ هـ

لِتَعْرِفَ مِنْ أَنْتِ؟

قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!



لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

تأسست: صفر الأخران ١٤٤٥هـ

Committee for Preserving and Publishing the
Works of Sheikh Yasser al-Habib


هوية الكتاب

العنوان: لتعرف من أنت؟
قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!

بيانات الإعداد والإنتاج:

الجهة المنتجة: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
الإخراج الفني: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
تصنيف الكتاب: عقائدي / تاريخي
الطبعة: الأولى

المواصفات الفنية للنسخة:

نوع النسخة: إلكترونية
حجم الصفحة: B5
عدد الصفحات: [٣٠٣] صفحة
تاريخ الإنتاج: محرم الحرام ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م
جميع الحقوق محفوظة 
حقوق الطبع والنشر محفوظة للجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب.

المنصة الرسمية المعتمدة:

لمتابعة جديد الإصدارات والآثار، تفضلوا بزيارة صفحة اللجنة الوحيدة والرسمية على التليجرام:

@turathalhabib 

لِتَعْرِفَ مِنْ أَنْتِ؟

قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!

تقريرًا لمحاضرات
الشيخ ياسر الحبيب

الطبعة الأولى | ١٤٤٧هـ | ٢٠٢٦م
لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله آل الله واللعنة على أعدائهم أجمعين

...

تقديم



لتعرف من أنت؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنَارَ بِالْحَقِّ بَصَائِرَ الْعِبَادِ، وَأَزَاحَ عَن طَرَائِقِ الْهُدَى
غِيَابَاتِ السَّوَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمُنْقِذُ
الْعِبَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ بِالْبَيِّنَاتِ لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ،
وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، الَّذِينَ هُمْ لِلْحَقِّ مِدَادٌ، وَعَنِ التَّوْحِيدِ ذَوَادٌ، وَعَلَى
أَعْدَائِهِمُ اللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ إِلَى يَوْمِ الْمِيْعَادِ.

وَبَعْدُ،

فَإِنَّ النَّهْضَةَ الْحُسَيْنِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ هِيَ «حَيَاةٌ» مُسْتَمِرَّةٌ، وَمَنْهَجٌ رَبَّانِيٌّ
مُتَكَامِلٌ وَضَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَكُونَ حِصْنًا لِلْأُمَّةِ وَمِحْوَرًا لِاسْتِقْطَابِ
الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

وَإِنَّا فِي هَذِهِ السُّلْسِلَةِ مِنَ الْمَحَاضِرَاتِ، الَّتِي أَلْقَاهَا سَمَاحَةُ الشَّيْخِ يَاسِرُ
الْحَبِيبِ فِي الْيَلْيَالِي الْحُسَيْنِيَّةِ لِعَامِ ١٤٣٣هـ، نَضَعُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ قِرَاءَةً مَنْهَجِيَّةً

لِلنَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ مِنْ زَاوِيَةٍ ظَلَّتْ طَوِيلًا مُتَجَنِّبَةً فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَوْسَاطِ
الْعِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ؛ زَاوِيَةٌ تَغُوصُ فِي «الْمَقَاصِدِ الْحُسَيْنِيَّةِ» لِتُعِيدَ صِيَاغَةَ وَعْيِ
الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ تَجَاهَ دِينِهِ وَذَاتِهِ.

لَقَدْ طَالَ التَّعْتِيمُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُنْهَجِيَّةِ نَتِيجَةً لِلانْهْزَامِ الْمَعْنَوِيِّ
الَّذِي سَادَ فِي فتراتٍ تَارِيخِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْأَبْحَاثُ لِتُمَثِّلَ صَرْخَةَ
وَعْيٍ، تَهْدِفُ إِلَى كَشْفِ الْأَفْنَعَةِ عَنِ التِّيَّارَاتِ الدَّخِيلَةِ وَالْمُنْهَجِيَّاتِ
الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي حَاوَلَتْ - وَلَا تَزَالُ - تَزْيِيفَ الْإِسْلَامِ وَالتَّشْيِيعَ مِنَ الدَّاخِلِ،
مُسْتَغَلَّةً غِيَابَ الْوَعْيِ أَوْ التِّبَاسَ الْمَفَاهِيمِ لَدَى الْبَعْضِ.

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ دَعْوَةٌ جَادَّةٌ وَمَفْتُوحَةٌ لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكْتَشِفَ ذَاتَهُ
مِنْ جَدِيدٍ دَاخِلَ «الْمَنْظُومَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ». نَحْنُ نَدْعُوكَ فِيهِ لِتَسْأَلَ نَفْسَكَ
بِصِدْقٍ: «لِتَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ؟»؛ أَيُّ مَوْقِعٍ تَحْتُلُهُ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ
بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟ وَهَلْ أَنْتَ مِمَّنْ يَعِيشُونَ الْإِرْتِبَاطَ الْحَقِيقِيَّ بِذِكْرَى
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي تُمَثِّلُ «دَمْعَةَ الْإِخْضَاعِ» لِكُلِّ فِكْرٍ مُنْحَرِفٍ، أَمْ أَنَّكَ لَا
تَزَالُ أَسِيرَ مَفَاهِيمَ غَرِيبَةٍ عَنِ أَصَالَةِ الْمُنْهَجِ الْمَحْمَدِيِّ الْعَلَوِيِّ؟

لتعرف من أنت؟

لَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْكِتَابُ مَثَلًا تَحْلِيلًا دَقِيقًا لِمَوْقِفِ أُمَّتِنَا ﷺ مِنْ قَضَايَا شَائِكَةٍ، كَالْتَجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَمُحَاوَلَاتِ الْخَوْضِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَكَيْفَ أَنَّ مَدْرَسَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَقَفَتْ سَدًّا مَنِيعًا ضِدَّ هَذِهِ الْإِنْحِرَافَاتِ الْعِرْفَانِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ الَّتِي تَسَلَّلَتْ لِبَعْضِ أَوْسَاطِنَا.

نَضَعُ هَذَا الْعَمَلَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، رَاجِينَ مِنَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ أَنْ يَكُونَ مِفْتَاحًا لِلْبَصِيرَةِ، وَسَلَاحًا فِكْرِيًّا يَدُودٌ عَنِ حِيَاضِ التَّشْيِيعِ الْأَصِيلِ، مُؤَكِّدِينَ أَنَّ السَّلَاحَ الْأَفْوَى الَّذِي قَاوَمْنَا بِهِ طَوَالَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا هُوَ هَذَا «الْمَنْبُرُ الْحُسَيْنِيُّ»، وَهَذِهِ «الدَّمْعَةُ» الَّتِي نَذَرْنَا فِيهَا، وَالَّتِي هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا إِعْلَانٌ صَرِيحٌ بِرِفْضِ كُلِّ مَا يُخَالِفُ مِنْهَا جَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ ﷺ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا الْجُهْدَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ ذُخْرًا لَنَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

لَجْنَةُ حِفْظِ وَنَشْرِ آثَارِ الشَّيْخِ يَاسِرِ الْحَبِيبِ

مُحَرَّمُ الْحَرَامِ ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!

لتعرف من أنت؟

كُلُّ النَّبِيِّينَ أَتَوَاكَ رَبَّاءُ

وَجُوهَهُمْ شُعْتُ لُرْزَاءِ الْحُسَيْنِ

الحُسَيْنِ مَحَوْرُ الْاِتِّقَابِ وَدَمْعَةُ الْاِخْضَاعِ!

لتعرف من أنت؟

الحُسَيْنُ عليه السلام حِصْنُ الأُمَّةِ وَمِحْوَرُ الاستِقْطَابِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ عليه السلام، وَمَنْ عَلَيْنَا بِأَحْيَاءِ ذِكْرَاهُ فِي هَذِهِ المَجَالِسِ العَامِرَةِ الَّتِي تُثَمِّلُ الضَّمَانَ الأَسَاسِيَّ لِحِفْظِ هَذَا الدِّينِ.

إِنَّ الحُسَيْنَ عليه السلام هُوَ مِحْوَرُ الاستِقْطَابِ، وَهُوَ أَيْضًا دَمْعَةُ الإِخْضَاعِ؛ فَلَوْلَا الحُسَيْنُ لَجَرَفَتْنَا التِّيَّارَاتُ الأُخْرَى، وَلَا سَتَدْرَجَتْنَا المَذَاهِبُ البَاطِلَةُ، وَالطَّوَائِفُ الضَّالَّةُ الَّتِي زَيَّفَتِ الإِسْلَامَ وَحَرَفَتُهُ. وَلِأَنَّ مَعَنَا الحُسَيْنَ عليه السلام، وَلِأَنَّ مَعَنَا الدَّمْعَةَ عَلَى الحُسَيْنِ، فَإِنَّا مُحْصَنُونَ.

وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

إِنَّ الإِنْسَانَ المُسْلِمَ الشَّيْعِيَّ، مَهْمَا ابْتَعَدَ عَنِ الدِّينِ، وَمَهْمَا انْسَاقَ - مَثَلًا - وَرَاءَ دُنْيَا أَوْ وَرَاءَ فِكْرَةٍ بَاطِلَةٍ، وَمَهْمَا ذَهَبَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ؛ فَإِنَّهُ مَا إِنْ تَحَلَّى مُنَاسَبَةً عَاشُورَاءَ، وَمَا إِنْ يَهَلَّ هَلَالٌ مُحَرَّمِ الحَرَامِ، حَتَّى تَجِدَهُ حَاضِرًا فِي مَجَالِسِ البُكَاءِ وَالرِّثَاءِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ عليه السلام.

قَدْ يَبْتَعِدُ عَنِ الدِّينِ فِي فِتْرَةٍ مِنْ فِتْرَاتِ حَيَاتِهِ، وَقَدْ يَتَأَثَّرُ بِفِكْرِ مَا مُخَالَفٍ لِتَعَالِيمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّ مَجِيئَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى هَذِهِ المَجَالِسِ، وَبُكَاءُهُ وَتَأَثُّرُهُ، يَجْعَلُهُ يُجَدِّدُ هَذَا العَهْدَ مَعَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَمَعَ المَنْهَجِ الَّذِي ضَحَّى الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَمِهِ مِنْ أَجْلِهِ، فَيَعُودُ هَذَا الإِنْسَانُ ثَانِيَةً إِلَى الدِّينِ، وَإِلَى المَنْهَاجِ الحَقِّ، وَإِلَى الإِسْلَامِ الحَقِّ.

وَلِذَا؛ فَإِنَّ الحُسَيْنَ، وَمِنْبَرَ الحُسَيْنِ، وَالدَّمْعَةَ عَلَى الحُسَيْنِ، تُمَثِّلُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أَقْوَى سِلَاحٍ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَيْنَا أَبَدًا مَا دَامَ مَعَنَا الحُسَيْنُ، وَمَا دَامَ مَعَنَا مَجْلِسُ الحُسَيْنِ، وَمِنْبَرُ الحُسَيْنِ، وَشَعَائِرُ الحُسَيْنِ. هَذَا هُوَ السِّلَاحُ الَّذِي قَاوَمْنَا بِهِ طَوَالَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا.

إِنَّ مِنْبَرَ الحُسَيْنِ، وَذِكْرَ الحُسَيْنِ، وَهَذِهِ الدَّمْعَةَ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَى الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُعْطِينَا قُوَّةَ إِيمَانِيَّةٍ، بَلْ وَحَصَانَةَ تَجَاهِ كُلِّ مَا هُوَ دَخِيلٌ عَلَى الإِسْلَامِ وَالتَّشْيِيعِ بِمَنْهَجِهِ الحَقِيقِيِّ.

فَلْيُشْرِقِ المَشْرِقُونَ، وَلْيُغْرِبِ المَغْرِبُونَ؛ مَهْمَا ابْتَعَدَ هَذَا أَوْ ذَاكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بَاقِيَّةٌ، وَهَذَا المَنْهَاجَ مَاضٍ بِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّ مَعَهُمْ أَقْوَى سِلَاحٍ وَهُوَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أسباب بقاء المذاهب واندثارها

لماذا انحرَفَ المنحرفون من الاتجاهات الأخرى؟ لأنهم تركوا أبا عبد الله؛ إذ ليس لديهم هذه الشعائر، وليس لديهم هذا الارتباط الوجداني بذكرى ما، تجعلهم لا يتأثرون أكثر من تأثرهم بهذه الذكرى وما تنطوي عليه من منهج. لو كان لدى الآخرين مثل ما لدينا لبقوا.

على سبيل المثال؛ إن طائفة المعتزلة انقرضت، مع أنها كانت من كبريات الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، وكان لها مدارسها وعلمائها وأدبائها، بل كانت في بعض مراحل التاريخ الإسلامي هي المذهب الطائغي على هذه الأمة. فأين ذهب المعتزلة؟ ولماذا انقرضت اليوم؟ لأنه ليس لديها ما لدينا نحن الرافضة.

أما المذاهب الأخرى، فلماذا بقيت؟ ولماذا هي الآن في طور الانقراض والاحتضار والزوال؟

إنما بقيت بدفع من الحكام؛ ولو أن الحكام رفعوا أيديهم عن دعم تلك المذاهب الباطلة لما رأيتها تستمر. إنه الدعم الحكومي عبر القرون، ولا يزال - كما ترون - المذهب البكري عموماً مذهباً حكومياً مدعوماً من قبل السلطة، ولولا ذلك لما بقي، وهو اليوم رغم هذا الدعم في طور الزوال

والأفول. لِأَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْمَذْهَبِ مِثْلُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ لَيْسَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ، وَلَا مَجَالِسُ الْحُسَيْنِ، وَلَا شَعَائِرُ الْحُسَيْنِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِثْلُ هَذَا الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ الْفِكْرِ وَالْوَجْدَانِ وَالْعَاطِفَةِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ سَبَبٌ أَسَاسِيٌّ لِلتَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ الْحَقِّ.

لَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) أَنْ يَخْلُقَ هَذَا الْإِرْتِبَاطَ، وَأَنْ يُوجِدَ هَذِهِ الرَّابِطَةَ؛ حَتَّى يَتَحَصَّنَ الْمُسْلِمُونَ الْحَقِيقِيُّونَ، وَتُصْبِحَ لَدَيْهِمْ مَنَاعَةٌ تَجَاهَ كُلِّ زَيْفٍ وَانْحِرَافٍ، وَضِدَّ كُلِّ مُنْحَرِفٍ وَمُزَيِّفٍ وَمُبْطِلٍ. اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) أَنْ يَخْلُقَ الْحُسَيْنَ، وَأَنْ يَجْعَلَ قَضِيَّتَهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الدَّامِي الْمُبْكِي الْمُؤَثِّرِ، فَيَتَرَسَّخَ فِي وَجْدَانِ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ اسْمُ الْحُسَيْنِ وَمَظْلُومِيَّتُهُ وَقَضِيَّتُهُ، فَتَكُونَ دَافِعًا لَهُ عَلَى الدَّوَامِ لِلتَّمَسُّكِ بِالْمَنْهَجِ الَّذِي ضَحَّى مِنْ أَجْلِهِ.

دَمْعَةُ الْإِخْضَاعِ!

يُحَاوِلُ بَعْضُ الدُّخَلَاءِ أَنْ يَجْرِفُوا الْإِسْلَامَ إِلَى حَيْثُ يَشَاؤُونَ، وَأَنْ يُحْرِفُوا فِيهِ، وَيُزَيِّفُوهُ، وَيَدُسُّوا فِيهِ بَعْضَ الْأَفْكَارِ الشَّيْطَانِيَّةِ الْبَاطِلَةِ. وَقَدْ يَنْجَحُ بَعْضُهُمْ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْجَحُونَ إِلَى الْأَبَدِ؛ قَدْ يَمْتَدُّ شَأْنُهُمْ فَتْرَةً مِنَ الْفَتْرَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ يَعُودُونَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْإِنْحِسَارِ. لِأَنَّ أَكْبَرَ كُتُبَاءِ

لتعرف من أنت؟

هؤلاء ما إن تأتي عشرة عاشوراء إلا ويضطر صاغراً خاضعاً إلى أن يحضر هذه المجالس، ويظهر نفسه بمظهر المؤيد لهذه القضية ولنهج أبي عبد الله الحسين عليه السلام. ثم ما يلبث الناس بعد هذا أن يكتشفوا أن منهج هذا الخاضع مخالف لمنهج الحسين عليه السلام، فيتركونه ويأخذون بمنهج الحسين عليه السلام.

إن حال أكبر الكبراء هكذا؛ تأتي وتحضر، وتدعو إلى الحسين، وتقول "أنا على منهج الحسين"، وتبكي ونرى منك الدمعة على الحسين عليه السلام؛ فهذا إقرار منك بأن الحسين هو المثل الأعلى.

ثم ها أنت تأتي بكلام مخالف لما أتى به الحسين عليه السلام، ويعاكس منهجه! فلا يمكن لنا أن نتمسك بك وأن نترك الحسين. إن هذه الدمعة التي تدمع عيوننا بها على الحسين هي دمعة إخضاع لكل من يخالفه، وإن تسمى باسمه أو باسم منهجه؛ فالأمر سواء.

من هنا تظهر عظمة الحسين وقوة قضيته، وكيف صار محوراً للاستقطاب؛ فما إن يتعد المسلم حتى يرجع إليه ثانية ويتأثر بمنهجيته، وصارت دمعة إخضاع لأكبر كبير، حيث لا يتمكن من أن يقاوم

رِسَالَةَ الْحُسَيْنِ وَمَنْهَجَهُ. فَهَذِهِ الرِّسَالَةُ وَهَذَا الْمَنْهَجُ سِلَاحُهَا هُوَ هَذِهِ
الدَّمْعَةُ، وَبِهَا نُقَاوِمُ كُلَّ فِكْرٍ دَخِيلٍ وَكُلَّ مَنْهَجٍ مُنْحَرِفٍ.

التَّهْيِ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَاتِ اللَّهِ

لِيَكُنْ كَلَامُنَا بَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ مَضْرُوبًا بِمِثَالٍ وَاقِعِيٍّ. يَقُولُ اللَّهُ (تَبَارَكَ
وَتَعَالَى) فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى* وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾^١.

فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، نَجِدُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ
المَرْوِيَّةَ فِي كِتَابِ الكَافِي الشَّرِيفِ بِسَنَدِ الكَلْبِيِّ (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ) عَنِ سُلَيْمَانَ
بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَنْ إِلَى
رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا»^٢.

مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

مَعْنَاهُ أَنَّ لَكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ فِي كُلِّ الْمَعَارِفِ، وَفِي كُلِّ الشُّؤُونِ، وَلَكِنْ إِذَا
بَلَغَ الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ بِمَعْنَى تَوْصِيفِ ذَاتِهِ، أَوْ مُحَاوَلَةِ اسْتِجْلَاءِ كُنْهِهِ، فَهَذَا

١ النجم: ٤٠-٤٣

٢ الكافي ج ١ ص ١٤٠ باب النهي عن الكلام في الكيفية ح ٢

لتعرف من أنت؟

مُحَرَّمٌ. لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُوضَ فِي ذَاتِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؛ فَذَاتُ اللَّهِ مَعْصُومَةٌ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَهَا أَحَدٌ، وَذَاتُ اللَّهِ طَوْرٌ فَوْقَ أَطْوَارِ عُقُولِنَا. عُقُولُنَا لَا تَبْلُغُ، حَتَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي عَقْلُهُ هُوَ أَكْمَلُ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، هُوَ أَيْضًا لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ فِي كُنْهِ اللَّهِ.

نَعَمْ، مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) أَعْمَقُ وَأَوْسَعُ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ؛ هَذَا أَمْرٌ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ إِنْ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَثَلًا: مَا حَقِيقَةُ اللَّهِ؟ مَا هُوَ كُنْهُ اللَّهِ؟ فَلَا يُجِيبُكَ، بَلْ يَقُولُ لَكَ: لَا أَعْرِفُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ أَعْرِفَ؛ فَهُوَ فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ.

الفلاسفة والمناطق والانجراف عن العقيدة السليمة

إِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، يُفَسِّرُهَا الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ قَائِلًا: «فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا». أَيْ: بَعْدَ ذَلِكَ لَا تَتَكَلَّمْ؛ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ قَائِلًا إِنَّ اللَّهَ صِفَتُهُ هَكَذَا وَهَكَذَا - بِمَعْنَى الصِّفَاتِ الَّتِي نَحَاوِلُ بِهَا تَوْصِيفَ كُنْهِ اللَّهِ - فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ. إِنَّمَا الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِفَ بِهِ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) هُوَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ حَتَّى نَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً إِيْمَانِيَّةً. أَمَّا أَنْ نَحَاوِلَ أَنْ نَصْنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْمُبْطِلُونَ مِنْ

تَوْصِيفِ ذَاتِ اللَّهِ وَكُنْهِهِ؛ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ، وَهُوَ خَوْضٌ فِي ذَاتِهِ (عَزَّ وَجَلَّ)،
وَهُوَ أَمْرٌ مُحَرَّمٌ لَا يُجُوزُ، وَلَا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ إِلَّا تَحْيِيرًا.

هَذِهِ الرَّوَايَةُ الَّتِي نَقَلْتُمَا لَكُمْ مِنْ كِتَابِ الْكَافِي الشَّرِيفِ، جَاءَتْ فِي
"بَابِ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ"؛ يَعْنِي فِي كَيْفِيَّةِ اللَّهِ، فَلَا يُسَأَلُ "كَيْفَ
هُوَ اللَّهُ؟"، فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ.

وَتَحْتَ هَذَا الْعُنْوَانِ فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنِ أَمَّتِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
هَذَا الْمَعْنَى، مِنْهَا مَثَلًا مَا رُوِيَ عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيِ الْإِمَامِ
الْبَاقِرِ - أَنَّهُ يَقُولُ: «تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ»^١.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ النَّاسَ لَا
يَزَالُ بِهِمُ الْمَنْطِقُ حَتَّى يَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ فَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^٢.

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَنَاطِقَةِ الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْمَنْطِقِ؛ إِنَّهُمْ
يَتَوَسَّعُونَ وَيَتَمَنِّطُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْحُدُودِ الْمَطْلُوبَةِ، وَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَخُوضُوا فِي
ذَاتِ اللَّهِ وَيَتَكَلَّمُوا فِيهَا.

١ الكافي ج ١ ص ١٤٠ ح ١

٢ كسابقه، ح ٣

لتعرف من أنت؟

هؤلاء هم الفلاسفة؛ وهذا من أساسيات خلافنا معهم، إذ إنهم بصريح العبارة إنما يريدون أن يخوضوا في كنه الله ولمعرفة "كيف هو الله؟"، حتى هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بـ "الفلاسفة الإسلاميين"، ويعتمدون على ما يُسمى بـ "الفلسفة الإسلامية"؛ هذه هي مشكلتنا معهم.

فالإمام الصادق عليه السلام يقول: إذا سمعتم ذلك، لما يتكلموا في الله فقولوا: «لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء». فمهما بلغتكم، فالله خلاف ما تبالغون، ومهما توهمتم، فالله خلاف ما تتوهمون.

وعن الحسين بن الميَّاح عن أبيه قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من نظر في الله كيف هو هلك»^١.

فالذي يحاول أن يتأمل ويبحث عن نظرية حول الله وكيف هو؛ فهذا هالك في جهنم.

وعن ابن بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «تكلموا في خلق الله، ولا تتكلموا في الله؛ فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحييراً»^٢. أي أنك لا تصل إلى شيء، بل تتحير أكثر.

١ الكافي ج ١ ص ١٤١ ح ٥

٢ الكافي ج ١ ص ١٤١ ح ١

هَذَا لَاحِظُوا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ: إِنَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي اللَّهِ بِهَذَا الْمَعْنَى، أَي مُحَاوَلَةَ الْوُصُولِ إِلَى كَيْفِيَّةِ اللَّهِ وَكُنْهِهِ. لِأَنَّ هَذَا يُوقِعُهُمْ فِي الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ.

مَزَالِقُ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ عِنْدَ الْمُخَالِفِينَ وَأَدْعِيَاءِ التَّشْيِيعِ

إِنَّ جَمَاعَةً مِمَّنْ يُنْتَسِبُونَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ. طَوَائِفٌ عَدِيدَةٌ - كَمَا تَعْلَمُونَ - تَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَوَصَلُوا إِلَى التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ؛ فَجَسَّمُوا اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) وَقَالُوا هُوَ جِسْمٌ!

وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ "جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ"، فَالنتيجة أنك قلت إنه جسمٌ، يَعْنِي مُحَدَّدٌ بِحُدُودٍ جِسْمِيَّةٍ، وَيُوطَّرُ بِأَطْرٍ جِسْمِيَّةٍ تَحْتَاجُ إِلَى أَبْعَادٍ مِنْ طُولٍ وَعَرْضٍ وَزَمَانٍ وَمَكَانٍ وَحَيْزٍ حَتَّى يُسَمَّى جِسْمًا.

إِنَّ التَّجْسِيمَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ؛ إِذْ أَشْرَكَتَ بَيْنَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي صِفَةِ الْجِسْمِيَّةِ، وَقُلْتَ: مِثْلَمَا أَنَا لَدَيَّ جِسْمٌ فَاللَّهُ أَيضًا لَدَيْهِ جِسْمٌ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ جِسْمَهُ لَيْسَ كَجِسْمِنَا!

لتعرف من أنت؟

هناك روايات موجودة عندهم تزعم أن طول الله ستون ذراعًا، حسب ما يذكرون في صحاحهم وكتبهم^١. يقولون له رجل، وله يدان، وله رأس، وله عين، وله أصابع، وله خاصرة! ويصفون الله (عز وجل) بالصعود والنزول والانتقال من مكان إلى مكان. هؤلاء قوم من المجسمات والمشبهات وقَعُوا فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ^٢.

هذا الأمر لا يحتاج إلى بيان من الآن، ولكن كلامنا هو: هل وقع في هذا الفخ الشيطاني - فخ التشبيه والتجسيم - أهل الخلاف فقط؟ أم وقع فيه بعض من يزعمون أنهم شيعة، ونظروا له، وما زال بعضهم بلا حياءٍ يُنظرُ له ويدعو إليه، ضاربًا بعرض الحائط تعاليم أئمتنا الأطهار عليهم السلام ونهيتهم الأكد عن الخوض في ذات الله، لأنه لا يزيد الإنسان إلا تحيرًا!

١ في صحيح البخاري حديث ٦٢٢٧، وفي صحيح مسلم حديث ٢٨٤١ عن أبي هريرة: خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صَوْرَتِهِ، طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...

٢ لقد فصل سماحته قضية التجسيم في عدة محاضرات، منها في سلسلة كيف زيف الإسلام، ومنها في الجلسات البحثية لسنة ١٤٤٣...

وُقُوعُ بَعْضِ الشَّيْعَةِ فِي فِخِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ!

بَعْضُهُمْ كَمَا صَدَرَ طَرَحَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ إلهِيٌّ^١! وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّجْسِيمِ وَالكُفْرِ.

عَقِيدَةُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ: الانْحِرَافُ الْأَكْبَرُ فِي صُفُوفِ الْعُرَفَاءِ

طَرَحُوا أَيْضًا هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْكُفْرِيَّةَ الْخَطِيرَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي تَهْدِمُ الْإِسْلَامَ مِنْ أَسَاسِهِ، وَهِيَ عَقِيدَةُ "وَاحِدَةِ الْوُجُودِ".

ثُمَّ ارْتَقَوْا - أَوْ بِالْأَحْرَى زَادُوا فِي الْكُفْرِ - بِهَذِهِ النَّظْرِيَّةِ، فَقَالُوا بِنَظْرِيَّةِ "وَاحِدَةِ الْمَوْجُودِ"! إِنَّكَ تَدْخُلُ فِي كُنْهِ اللَّهِ حِينَ تَطْرَحُ هَذِهِ النَّظْرِيَّةَ.

هَذَا فِي الْوَاقِعِ شِرْكٌ؛ إِذْ تُشْرِكُ صِفَةَ الْوُجُودِ، وَتُشْرِكُ بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ فِي صِفَةِ الْوُجُودِ الَّتِي جَعَلَتْهَا صِفَتَهُ ذَاتَ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ!

غَايَةُ مَا فِي ذَلِكَ أَنَّهَا "حَقِيقَةٌ تَشْكِيكِيَّةٌ" أَي ذَاتُ مَرَاتِبَ، وَأَنَّ الْوَحْدَةَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ تَكُونُ فِي عَيْنِ الْكَثْرَةِ، وَالْكَثْرَةُ فِي عَيْنِ الْوَحْدَةِ.

^١ قال في شرح أصول الكافي ج ٤ ص ٢٠٧: فليجز أن يكون في الوجود جسم إلهي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير المسمى بالأسماء الإلهية المنعوت بالنعوت الربانية، على أن الواجب تعالى لا يجوز أن يكون له في ذاته فقد شيء من الأشياء الوجودية وليس في ذاته الأحدية جهة ينافي جهة وجوب الوجود وليس فيه سلب لإسلب الأعدام والنقائص.

لتعرف من أنت؟

لَكِن فِي النَّتِيجَةِ أَنَّكَ وَصَفْتَ اللَّهَ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ كَمَا نَحْنُ مَوْجُودُونَ، وَأَنَّ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ وَاحِدَةٌ؛ وَهَذَا شِرْكٌ كَذَلِكَ وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَزِيدُكَ إِلَّا تَحْيِيرًا. فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: "لَيْسَتْ مُشْكَلَةٌ، فَلْيَزِدْنِي تَحْيِيرًا، أَنَا أَقْبَلُ ذَلِكَ!". وَكَيْفَ تَقْبَلُ؟

يَقُولُ: "الإمام السَّجَّادُ عليه السلام كَانَ يَدْعُو هَكَذَا: اللَّهُمَّ زِدْنِي فِيكَ تَحْيِيرًا!". وَهَذَا أَمْرٌ بَاطِلٌ؛ لَمْ يَقُلِ الإِمَامُ السَّجَّادُ هَكَذَا قَطُّ، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ الْمُبْطِلُونَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَأَعْدَاءِ السَّجَّادِ وَمِنْهَاجِ الأُمَّةِ الأَطْهَارِ عليهم السلام كَابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ عليه السلام يَدْعُو بِذَلِكَ أَبَدًا، بَلْ هَذَا عَلَى النَّقِيضِ مِمَّا جَاءَ فِي رِوَايَاتِنَا.

«تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبُهُ إِلَّا تَحْيِيرًا»^١.

إِذَنْ، هَلِ التَّحْيِيرُ فِي اللَّهِ مَذْمُومٌ أَوْ مَمْدُوحٌ؟ هُوَ مَذْمُومٌ، وَإِلَّا لَمَا نَهَى عَنْهُ الإِمَامُ البَاقِرُ عليه السلام.

^١ سَبَقَ تَخْرِيجَهُ

المُفَارَقَاتُ بَيْنَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالتَّفَاسِيرِ الْعُرْفَانِيَّةِ

وَتَتَفَاجَأُ بِأَنَّ شَخْصًا مِّنْ يَدَّعِي الشَّيْعَ - وَهُوَ مُصْطَفَى الْخَمِينِي^١، لَهُ كِتَابٌ تَفْسِيرٌ مَعْرُوفٌ بِاسْمِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لَمَّا يَأْتِي إِلَى أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ الشَّرِيفَةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ مَاذَا يَقُولُ هُنَاكَ فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ؟

يَقُولُ إِنَّهُمْ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

المرتبة الأولى: مُتَّقُونَ عَوَامٌّ عَادِيُونَ، وَهَؤُلَاءِ عَلَى هُدًى لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَهُمْ عَلَى هُدًى لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْبَسِيطَةِ الْمَجْرَدَةِ.

المرتبة الثانية: مَنْ ارْتَقَى فِي التَّقْوَى وَوَصَلُوا إِلَى مَرَاتِبِ أَعْلَى، فَعَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) "لَيْسَ غَيْرُهُ فِي الدَّارِ دِيَارٌ" ! وَمَا يَعْنِي هَذَا؟

١ ابنُ رُوحِ اللَّهِ الْخَمِينِي

لتعرف من أنت؟

يعني "وحدة الوجود"، أننا كلنا هو! وهؤلاء هم المتحيرون الضالون في ذات الله. ولكن يصورهم على أنهم ممدوحون، وأنهم على هدى من ربهم؛ مستنداً إلى كذبة أن الإمام السجّاد كان يقول: "ربّ زدني فيك تحيراً".

وأيّ مذكور هذا الكلام؟ يقول: "ابن عربيّ كان يقول ذلك!"

فهل نأخذ من ابن عربيّ روايات أئمتنا عليهم السلام، التي تُناقض ما جاء في مصادرنا المعتبرة وروايات ثقات الأئمة؟! مفارقة ما أشدّ بشاعتها!

يقول مصطفى الحميني في تفسيره تحت عنوان "علم الأسماء والعرفان":
"أولئك على هدى من ربهم؛ أي إن المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويطيرون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون على هدى من الربّ المقيد بهم لا الربّ المطلق^١، فإن كل موجود متحرك بالجبلّة والطبيعة إلى الاسم المخصوص به، ويهتدي بهداية ربّه القائم برؤوبيته. فإذا كان هؤلاء من المتقين الواقعين في الرتبة الأولى من التقوى - وهو الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل والكتب - فهو على هدى من الربّ الخاص والنعت المخصوص والاسم المعين"

١ صار هناك ربان، ربّ مقيدٌ هؤلاء العوام الذين هذا مستوى معرفتهم بالله، وربّ مطلق آخر شيء غير ذلك!

بُطْلَانُ تَقْسِيمِ التَّقْوَى وَتَبْرِيزِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ

وَأَمَّا الْمُتَّقُونَ الرَّاقُونَ الَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ تَوْهَمِ اسْتِنَادِ أَصْغَرِ شَيْءٍ إِلَى غَيْرِ
اللَّهِ، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ تَوْهَمِ وَتَخْيَلِ وَجُودِ غَيْرِهِ فِي الدَّارِ".

يَأْتِيكَ بَعْضُ الَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنِ الْعِرْفَانِ الْبَاطِلِ فَيَقُولُونَ: "يَقْصِدُ أَنْ كُلَّ
شَيْءٍ قَائِمٌ وَجُودُهُ بِوُجُودِ اللَّهِ". وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ!

مَعَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى عِلْمِيًّا فِيهِ إِشْكَالٌ؛ لِأَنَّنا لَا نَقُولُ بِأَنَّ قِيَامَنَا نَحْنُ
الْمَخْلُوقَاتِ بِاللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى نَحْوِ قِيَامِ الْمَعْلُولِ بِالْعِلَّةِ. وَلَكِنَّ هَذَا
الْمَوْضُوعَ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِ عِلْمِيٍّ لَا جَمَالَ الْآنَ لِبَيَانِهِ.

الْمُخْلِصَةُ أَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْهُ بِمَا لَا يُنَاقِضُ الْإِسْلَامَ.
وَلَكِنَّ مَاذَا تَصْنَعُ مَعَ الْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ
هُوَ اللَّهُ؟ حَيْثُ يَقُولُ: "وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ تَوْهَمِ وَتَخْيَلِ وَجُودِ غَيْرِهِ فِي الدَّارِ"
وَيُضِيفُ فِي كَلَامِهِ: "وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ رُؤْيَا أَنفُسِهِمْ وَذَوَاتِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ

¹ يَعْنِي هُؤُلَاءِ "الْمُتَّقُونَ الرَّاقُونَ" إِنَّمَا هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ هُنَالِكَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ). كُلُّ
الْأَشْيَاءِ هِيَ اللَّهُ! "لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دِيَارٌ". وَهَذِهِ عِبَارَةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفَلَسَفَةِ
وَالْعُرَفَاءِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ صَرِيحَةٌ فِي نَظَرِيَّةِ "وَاحِدَةِ الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ".

لتعرف من أنت؟

ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ^١، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ كُلًّا فِي جَمِيعِ
اللَّحَظَاتِ وَالْآنَاتِ فَأُولَئِكَ عَلَى هُدَى مِنَ اللَّهِ الرَّبِّ الْمَطْلُوقِ^٢، وَيَكُونُونَ
مَظْهَرًا لِمِثْلِهِ^٣، وَمُتَدَلِّينَ بِالاسْمِ الْجَامِعِ وَالْعَدْلِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
الْمُتَحَيِّرُونَ الْمُتَرَمِّمُونَ بِقَوْلِهِمْ: رَبِّ زِدْنِي فِيكَ تَحْيِرًا، كَمَا عَنِ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ
وَإِمَامِ السَّاجِدِينَ^٥.

أَكَاذِبُ الصُّوفِيَّةِ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فِي هَامِشِ هَذَا التَّفْسِيرِ، مَاذَا وَضَعَ مِنْ مَصَادِرَ لِهَذِهِ الْمَقُولَةِ الْمَكْذُوبَةِ
عَلَى الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام؟ يَقُولُ: "رَاجِعِ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِيَّةَ،

١ عِنْدَهُمْ، أَنْ يَلْتَفِتَ الْمَرْءُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَقُولَ "أَنَا أَنَا". كَلَّا، بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ: "أَنَا فَا نِ فِي
اللَّهِ، فَوْجُودِي وَجُودُ اللَّهِ، أَتَّحِدُ مَعَ اللَّهِ، وَأَذُوبُ فِي اللَّهِ، وَأَنْدُكُ فِي الْحَضْرَةِ الْأَحَدِيَّةِ".

٢ يَعْنِي أُولَئِكَ الْعَوَامُّ كَانُوا عَلَى هُدَى مِنْ "الرَّبِّ الْمُقَيَّدِ" الْخَاصِّ بِنَعْتِهِمْ هُمْ بِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ، أَمَّا هَؤُلَاءِ
"الْمُتَّقُونَ الرَّاقُونَ" الْعُرَفَاءُ الشَّاحُونَ فَقَدْ وَصَلُوا إِلَى مَقَامٍ أَلَّا يَتَخَيَّلُوا وَجُودَ شَيْءٍ غَيْرِهِ فِي الدَّارِ،
فَهَؤُلَاءِ وَصَلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ "الرَّبِّ الْمَطْلُوقِ".

٣ أَيُّ يُصْبِحُونَ مَظَاهِرَ لِلَّهِ!

٤ الْمُتَّقُونَ الرَّاقُونَ

٥ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِمُصْطَفَى الْحَمِينِيِّ، ج ٣ ص ٢٩٠

٦ لِابْنِ عَرَبِيِّ.

والتجليات الإلهية، ابن عربي، وراجع شرح منازل السائرين^١،
الكاشاني".

كُلُّهُمْ مِنَ الْمُتَّصِفَةِ الْخُبْتَاءِ وَالْكَفَرَةِ الزَّادِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ! يَنْسُبُونَ
أَقْوَالَ لِلْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَّ الصُّوفِيَةَ إِلَى الْيَوْمِ يَعْتَبِرُونَ الْإِمَامَ زَيْنَ
الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمَّتِهِمْ، وَلِذَلِكَ يَضْعُونَ أَحَادِيثَ وَأَقْوَالَ وَيَقُولُونَ إِنَّ
الْإِمَامَ السَّجَّادَ كَانَ يَقُولُ: "يَا رَبِّ زِدْنِي فِيكَ تَحِيْرًا!".

لَوْ كَانَ الْإِمَامُ السَّجَّادُ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِمَامَ السَّجَّادَ
صَرَاحَةً يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ الضَّلَالَ!

وَأَنْتَ يَا مَنْ تُسَمِّي نَفْسَكَ "فَقِيهٌ شَيْعِيٌّ"؛ هَبْ أَنْ الْمُتَّصِفَ يَقْبَلُ بِهَذِهِ
الْكَلِمَةَ الْمُنْسُوبَةَ لِلْإِمَامِ السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ أَنْتَ كَفَقِيهِ، كَيْفَ سَاعَ لَكَ
أَنْ تَأْخُذَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةَ الْمُرْسَلَةَ الْمَكْذُوبَةَ عَنِ السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّتِي يَرَوِيهَا
زَنْدِيقٌ مِثْلُ ابْنِ عَرَبِيِّ فِي كِتَابِهِ، وَتُهْمَلُ فِي الْمُقَابِلِ مَا رَوَاهُ ثِقَّةُ الْإِسْلَامِ
الْكَلْبِيِّ فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ، عَنِ ثِقَاتِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثِقَاتِ الشَّيْعِ، أَنَّهُمْ نَهَوْا

^١ للهروي، وقد شرح كتابه الكاشاني.

لتعرف من أنت؟

عَنْ أَنْ يُخَوِّضَ إِنْسَانٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ فِي اللَّهِ لِأَنَّ هَذَا لَا يَزِيدُهُ إِلَّا تَحْيِيرًا؟!!

إِنَّ التَّنَاقُضَ بَيْنَ الْمُقُولَتَيْنِ ظَاهِرٌ؛ فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ السَّجَّادُ "رَبِّ زِدْنِي فِيكَ تَحْيِيرًا"، وَابْنُهُ وَتَلْمِيزُهُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

«إِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحْيِيرًا»؟ كَيْفَ تُوفِّقُ أَنْتَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؟

مَصَادِرُ التَّشْيِيعِ الْأَصِيلَةُ فِي مُوَاجَهَةِ الانْحِرَافَاتِ الْعِرْفَانِيَّةِ

إِنَّ الشَّيْعِيَّ هُوَ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى مَصَادِرِ التَّشْيِيعِ، لَا إِلَى مَصَادِرِ أَهْلِ الْخِلَافِ، خَاصَّةً إِذَا كَانُوا مِنَ الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّ الصُّوفِيَّةَ قَدْ كَذَّبُوا كَثِيرًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَصْحِيحِ بَدْعَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ كَذَّبُوا عَلَى أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هُنَا يَقَعُ النَّهْيُ عَنِ التَّحْيِيرِ، وَالْبَيَانُ بِأَنَّهُ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ؛ وَلِذَلِكَ يَمْنَعُ الْإِمَامُ عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى لَا تَصِلَ إِلَى التَّحْيِيرِ فِي اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فَتَكْفُرَ.

وَهُنَالِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مَنْ يَدْعُو وَيَقُولُ "رَبِّ زِدْنِي فِيكَ تَحْيِيرًا"!!

فَكَيْفَ نَتَجَاهَلُ مَصَادِرَنَا، وَثِقَاتَنَا، وَعُلَمَاءَنَا، وَأَصْحَابَ أُمَّتِنَا، وَنَذْهَبَ
لِنَأْخُذَ دِينَنَا عَنِ أَعْدَاءِ أُمَّتِنَا ﷺ مِنْ أَمْثَالِ ابْنِ عَرَبِيِّ؟^١ هَذَا لَيْسَ مِنْ
أَدْعِيَةِ أُمَّتِنَا، وَلَا مِنْ مَقُولَاتِهِمْ. هَذَا مِنْ مَقُولَاتِ "ابْنِ الْفَارِضِ"^٢، لَهُ آيَاتُ
شِعْرٍ يَتَرْتَمُّ بِهَا الْمُتَرَنِّمُونَ مِمَّنْ هُمْ عَلَى الْبِدْعَةِ الصُّوفِيَّةِ، يَقُولُ فِي آيَاتِهِ:
زَدْنِي بِفِرطِ الْحُبِّ فِيكَ تَحْيِيرًا ... وَارْحَمْ حَشًا بِلَظِي هَوَاكَ تَسْعَرًا
وَإِنْ سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً ... فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى^٣.
أَيَّ يَا رَبِّ زَدْنِي فِيكَ تَحْيِيرًا، وَدَعْنِي أَرَاكَ أَيضًا، وَلَا تَقُلْ لِي "لَنْ تَرَانِي!"
وَهَكَذَا يَتَغَنَّى الصُّوفِيَّةُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ قَادِرٍ تَنْقَلِبُ هَذِهِ
الْمَقُولَاتُ الرَّائِفَةُ لِتُصْبِحَ أَحَادِيثَ شَرِيفَةً أَوْ أَدْعِيَّةَ شَرِيفَةً عَنِ الْأُمَّةِ ﷺ.

١ أَخْبَرْتَنِي إِحْدَى الْمُؤْمِنَاتِ فِي الْكُوَيْتِ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْمَجَالِسِ النَّسَائِيَّةِ كَانَتْ هُنَاكَ خَطِيبَةٌ
عِنْدَهُنَّ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِيَالَةٌ إِلَى الْعِرْفَانِ الْبَاطِلِ وَمَا أَشْبَهَ، فَكَانَتْ لَمَّا تَخْتَمُ الْمَجْلِسَ تَقُولُ: "اللَّهُمَّ
زَدْنِي فِيكَ تَحْيِيرًا"، وَالْحَاضِرَاتُ يَقُلْنَ "أَمِينَ"! هَذَا بَعِيدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، بَعِيدٌ عَنِ مِنْهَاجِ الْأُمَّةِ
الْأَطْهَارِ ﷺ.

٢ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ، وَهُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ الصُّوفِيَّةِ.

٣ ديوان ابن الفارض ص ١٦٩

لتعرف من أنت؟

الدَّعْوَةُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِمَنْهَجِ الْإِلِّ وَالْحَذَرِ مِنَ الدُّخْلَاءِ

يَا أَيُّهَا الدُّخْلَاءُ الَّذِينَ تَتَسَلَّلُونَ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْمَرِيضَةِ الْمُنْحَرِفَةِ،
وَتَتَسَلَّلُونَ بِهَا إِلَى حَوَازِنَا، وَإِلَى أَوْسَاطِنَا الْعِلْمِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى عَوَامِّ الشَّيْعَةِ
فَتُضْلَوْنَهُمْ!

هَذَا كَمِثَالٍ أُعْطِيَكُمْ إِيَّاهُ عَنْ كَيْفِ أَنْ هُوَ لَآ يَسْتَحُونَ مِنْ مُخَالَفَةِ
مِنْهَاجِ الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عليه السلام، مَعَ أَنَّهُ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْأُمَّةَ نَهَوَا عَنِ التَّفَكُّرِ
فِي اللَّهِ.

بَابُ كَامِلٌ فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ، فِيهِ الرَّوَايَاتُ الَّتِي انْتَخَبْتُ لَكُمْ مِنْهَا
بِضْعَ رِوَايَاتٍ فِي هَذَا الشَّانِ، الْأُمَّةُ يَقُولُونَ فِيهِ إِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ
الْإِنْسَانَ إِلَّا تَحِيرًا. وَمَعَ ذَلِكَ يَأْتُونَ إِلَى الْكُتُبِ الْخَبِيثَةِ لِلصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ
فَيَجْعَلُونَهَا مَعْيَارًا، وَيَنْسُبُونَ مَا فِيهَا مِنْ مَوْضُوعَاتٍ إِلَى الْأُمَّةِ
الْأَطْهَارِ عليه السلام، فِي مُصَادِمَةٍ صَرِيحَةٍ لِمَا رَوَيْنَاهُ وَرَوَاهُ ثِقَاتُنَا عَنِ الْأُمَّةِ
الْأَطْهَارِ عليه السلام.

سُؤَالِي لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ "عُرَفَاءَ": مَا يُبْقِيكُمْ بَيْنَنَا؟

اذْهَبُوا وَشَكُّلُوا لَكُمْ حَوَازَةَ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ، بَدُّلُوا لِبَاسَكُمْ وَصِرُّوا عَلَى
مَذْهَبِ ابْنِ عَرَبِيٍّ. وَلَكِنْ لَا تَقُولُوا نَحْنُ "مَذْهَبُ الشَّيْعِ".

أَنَا مُشْكِلَتِي مَعَكُمْ هِيَ هَذِهِ: أَنْتُمْ تُضِلُّونَ النَّاسَ بِاسْمِ التَّشْيِيعِ وَبِاسْمِ
الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْتَ بِصَرْيْحِ الْعِبَارَةِ تَعْتَمِدُ كِتَابَ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِيَّةِ،
وَلَا تَعْتَمِدُ الْكَافِي الشَّرِيفَ الَّذِي فِيهِ رَوَايَاتٌ تُنَاقِضُ مَا فِي الْفُتُوحَاتِ!
تَأْخُذُ مَا فِي الْفُتُوحَاتِ وَتُهْمِلُ الْكَافِي الشَّرِيفَ!

أَمَّا أَنَا، فَأَنْتَمِي إِلَى مَدْرَسَةِ الْكَافِي الشَّرِيفِ، أَنْتَمِي إِلَى مَدْرَسَةِ ثِقَّةِ
الْإِسْلَامِ الْكَلْبِيِّ. بَيْنَمَا أَنْتَ تَنْتَمِي إِلَى مَدْرَسَةِ ابْنِ الْفَارِضِ، وَابْنِ عَرَبِيِّ،
وَالْمَهْرَوِيِّ، وَالكَاشَانِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

فَلِمَاذَا تَبَقِيَ فِي أَوْسَاطِنَا تَنْتَحِلُ التَّشْيِيعَ؟ لِمَاذَا تُؤَسِّسُونَ لِلْكَفْرِ وَالضَّلَالِ
وَالْإِنْحِرَافِ بِاسْمِ الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

نَحْنُ مِنْهَاجُنَا مَا نَبْدَأُ بِهِ وَنَقُولُ: الْقَوْلُ مِنِّي فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ قَوْلُ آلِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. نَحْنُ لَيْسَ لَدَيْنَا كَلَامٌ غَيْرَ كَلَامِ أُمَّتِنَا؛ فَأَيُّ وَاحِدٍ كَانِنَا مَنْ
كَانَ يَقُولُ كَلَامًا مُخَالَفًا لِلْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ أَكْبَرُ
عِمَامَةٍ، يَجِبُ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ.

تفسير الميزان ومصائبه!

صَاحِبُ الْمِيزَانِ، هَذَا التَّفْسِيرُ الَّذِي كَادُوا أَنْ يَجْعَلُونَهُ عِجْلًا يُعْبَدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ؛ يُغَالُونَ فِيهِ وَفِي صَاحِبِهِ كَثِيرًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِثْلُهُ وَلَنْ يَأْتِيَ تَفْسِيرُهُ

لتعرف من أنت؟

مثله. ويرفعون تفسير الميزان إلى أعلى المراتب. وحقيقة - بعيداً عن انحرافاتِه - هو أساساً تفسيرٌ ضعيفٌ، بل أنه مُتَهافتٌ وفيه تناقضاتٌ وتضاداتٌ، ولكن من يكتشف هذه الأمور؟ الخبير.

أما الناس، فلأنَّ المستوى المعرفيَّ عندها هابطٌ فتمرُّ عليها هذه الأمور. مُشكَلتنا هي مسألة نقصان المعرفة وتدني مستوى الوعي، وهبوطه عند الأمة؛ مما يجعلها تنخدع بالبالونات الإعلامية وتغترُّ بالعناوين العريضة. ومن أمثلة ذلك صاحبُ كتاب الميزان، الذي أسمَّيه "صاحب الاختلال" لا الميزان -.

فماذا يقول هذا الرجل في تفسيره؟

نحن عرفنا وتيقنا أنَّ الأمة عليها السلام نهوا عن التفكير في ذات الله، وأنَّ من يتفكر فيها يهلك، وصريح عباراتهم أنَّ ذلك لا يزيد المرء إلا تحييراً وضلالاً.

ومع ذلك، يأتي هذا الرجل بكلِّ وقاحةٍ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^١، فيذكر بعض هذه الروايات، ثمَّ يؤوِّلها مدعيًا أنَّ هذا النهي ليس نهياً مطلقاً!

١ النجم: ٤٣

يَزْعُمُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ هُوَ مُجَرَّدُ "نَهْيِ إِرْشَادِيٍّ"؛ بِمَعْنَى أَنَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ تَعَمُّقًا فِي الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَالْعَقَلِيَّةِ وَمَا شَا كَلَهَا، يَلْزَمُهُ أَلَّا يَبْحَثَ فِي ذَاتِ اللَّهِ مُحَاوَلًا إِدْرَاكَ كُنْهِهِ؛ لِأَنَّهُ سَيَصِلُ وَيَهْلِكُ.

أَمَّا ذَاكَ الَّذِي يَمَاتِلُهُمْ، وَمَنْ بَلَغَ مَبْلَغَهُمْ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالْعُلُوِّ وَالرُّقِيِّ فِي هَذِهِ الْمَبَاحِثِ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَتَعَمَّقَ وَيَتَفَكَّرَ فِي اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)!

تَأَمَّلُوا نَصَّ عِبَارَةِ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ، فِي تَفْسِيرِهِ لِسُورَةِ النَّجْمِ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، يَقُولُ: «أَقُولُ: وَفِي النَّهْيِ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ أُخْرُ مُودَعَةٌ فِي جَوَامِعِ الْفَرِيقَيْنِ، وَالنَّهْيُ إِرْشَادِيٌّ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ لَا يُحْسِنُ الْوُرُودَ فِي الْمَسَائِلِ الْعَقَلِيَّةِ الْعَمِيقَةِ؛ فَيَكُونُ خَوْضُهُ فِيهَا عُرْضَةً لِلْهَلَاكِ الدَّائِمِ»^١.

يَقُولُ إِنَّهُ "نَهْيٌ إِرْشَادِيٌّ" وَلَيْسَ نَهْيًا مَوْلِيًا مُحَقَّقًا!

هَكَذَا يُحَاوَلُ أَنْ يُوَوِّلَ الرِّوَايَاتِ لِیُصَحِّحَ بِدَعْتِهِ وَمَنْهَجِهِ الْمُبْتَدِعَ . بَيْنَمَا نَحْنُ نَقُولُ: لَا يُجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنَ الْمِنْطَقَةِ الْمَحْظُورَةِ، «تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي اللَّهِ هَلَكَ»، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾؛ أَيُّ إِلَى اللَّهِ تَقِفُ وَلَا تَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمِنْطَقَةَ.

^١ تفسير الميزان ج ١٩ ص ٥٣

لتعرف من أنت؟

أَمَا هَوْلَاءِ فَيُرِيدُونَ تَجَاوُزَهُ. فَمَاذَا يَصْنَعُونَ مَعَ وُجُودِ الرُّوَايَاتِ
الصَّرِيحَةِ النَّاهِيَةِ؟

لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِالرُّوَايَاتِ صِرَاحَةً لِيَلَّا يُطْرَدُوا مِنَ التَّشْيِيعِ،
فَيَلْجَأُونَ إِلَى تَأْوِيلِهَا، يَلْعَبُونَ فِي مَفَاهِيمِ الرُّوَايَاتِ مُدْعِينَ أَنَّهَا "إِرْشَادِيَّةٌ".

وَنَسْأَلُهُمْ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ نَهْيٌ إِرْشَادِيٌّ؟ مَا هِيَ الْقَرِينَةُ؟ أَيْنَ جَاءَ أَنَّ
النَّبِيَّ الْأَعْظَمَ ﷺ وَالْأُمَّةَ الْأَطْهَارَ ﷺ أَجَازُوا التَّفَكُّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ؟

هَلْ جِئْتَ بِهِ مِنْ ابْنِ عَرَبِيٍّ الَّذِي يَفْتَرِي عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَاعِمًا أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ: "يَا رَبِّ زِدْنِي فِيكَ تَحِيْرًا"؟! أَتَعْتَمِدُ عَلَى أَمْثَالِ هَوْلَاءِ؟ هَلْ هَوْلَاءِ
عِنْدَكَ ثِقَاتٌ يَرَوْنَ عَنِ الْأُمَّةِ؟!

خُطُورَةُ التَّلَاغِبِ بِالنُّصُوصِ: مَزَلَقُ الإِرْشَادِيَّةِ المَرْغُومَةِ

إِذَا فَتَحْنَا بَابَ هَذَا التَّأْوِيلِ، فَبِمَقْدُورِنَا أَنْ نَقُولَ عَنْ كُلِّ النَّوَاهِي
وَالْمَنَاهِي إِنَّهَا "إِرْشَادِيَّةٌ"!

حَتَّى شَرِبُ الخَمْرِ المَنْهِيُّ عَنْهُ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يُمَكِّنُنِي - إِذَا سِرْتُ عَلَى
نَهْجِ بَدْعَتِهِمْ وَتَلَاغِبِهِمْ بِمَفَاهِيمِ النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ - أَنْ أَدَّعِيَ أَنَّهُ نَهْيٌ
إِرْشَادِيٌّ! فَأَقُولُ مُبَرَّرًا: هَذَا النِّهْيُ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ تُؤَثِّرُ الخَمْرُ عَلَى عَقْلِهِ، مَنْ
يَشْرَبُ كَثِيرًا وَيَكْرَعُهَا كَرَعًا بِحَيْثُ يَذْهَبُ عَقْلُهُ. أَمَا ذَاكَ الَّذِي اعْتَادَ

الشُّرْبَ - كَالْغَرَبِ وَغَيْرِهِمْ- يَشْرَبُونَ يَوْمِيًّا مِقْدَارَ ضَيْلٍ لَا يُؤَثِّرُ عَلَيَّ
إِذْرَا كَيْهِمْ وَلَا عُقُولِهِمْ، بَلْ يُشْعِرُهُمْ بِرَاحَةِ الْبَالِ وَبِالدَّفْعِ فِي أَجْوَاءِ الْبَرْدِ،
فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَشْرَبُوا!

إِذْنًا، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخُوضَ وَنَلْعَبَ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الشَّرِيعَةِ إِذَا فَتَحْنَا هَذَا
الْبَابَ؛ فَأَنْتَ يَا "صَاحِبَ الْإِخْتِلَالِ"، بِأَيِّ وَجْهِ شَرْعِيٍّ اسْتَحَلَلْتَ أَنْ تُجِيزَ
مَا تَصَافَرَتْ عَلَيْهِ الرُّوَايَاتُ مِنَ التَّأْكِيدِ الْأَكِيدِ وَالنَّهْيِ الشَّدِيدِ عَنِ التَّفَكُّرِ
فِي ذَاتِ اللَّهِ؟ بِمَاذَا اسْتَحَلَلْتَ ذَلِكَ؟ وَمَا الَّذِي دَفَعَكَ لِصَرْفِ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ
إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْبَاطِلِ؟ أَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مُحَاوَلَةً لِتَصْحِيحِ الْبِدْعَةِ؟

لِأَنَّ مَنْهَجَهُمْ لَا يَسْتَقِيمُ إِذَا سُدَّ هَذَا الْبَابُ. فَكُلُّ الْمُبَاحِثِ الَّتِي يُخَوِّضُونَ
فِيهَا فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَالْعَقْلِيَّاتِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَاذَا؟ يُرَادُ بِهَا الْوُصُولُ إِلَى "عِلَّةِ
الْعِلَلِ"، يَعْنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)، الْحَقِيقَةَ الْمُطْلَقَةَ. هُمْ يُرِيدُونَ الْوُصُولَ إِلَى
حَقِيقَةِ الْوُجُودِ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ).

لِذَلِكَ، كُلُّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُخَوِّضُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَإِذَا أَبْقَيْنَا
هَذِهِ الرُّوَايَاتِ عَلَى حَالِهَا وَدَلَّالَتِهَا الصَّرِيحَةِ، فَإِنَّ الْبَابَ سَيَسُدُّ أَمَامَهُمْ مِنْذُ
الْبِدَايَةِ، وَسَيَضْطَرُّونَ لِرَمْيِ كُلِّ كُتُبِهِمْ فِي سَلَّةِ الْمُهْمَلَاتِ.

حُرَافَةُ وَحِدَةِ الْوُجُودِ وَالِاشْتِرَاكِ فِي صِفَةِ الْمَوْجُودِ

مِنْ هُنَا ابْتَدَعُوا الْقَوْلَ بِـ "وَحِدَةِ الْوُجُودِ"، وَمِنْ ثَمَّ "وَحِدَةِ الْمَوْجُودِ" حَيْثُ زَعَمُوا أَوَّلًا أَنَّ الْوُجُودَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ مُشَكَّكَةٌ ذَاتُ مَرَاتِبٍ، فَهَنَّاكَ "وَاجِبُ الْوُجُودِ" وَهَنَّاكَ "مُمْكِنُ الْوُجُودِ"، وَتَتَعَيَّنُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فِي تَعَيِّنَاتٍ وَوُجُودَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، لَكِنَّهَا فِي الْأَصْلِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ! وَيَزْعُمُونَ أَنَّ حَقِيقَةَ وُجُودِنَا وَوُجُودِ اللَّهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ!

لَا يَسْعُنِي أَنْ أَفْصَلَ أَكْثَرَ فِي هَذَا الشَّأْنِ؛ لِأَنَّ هَذَا بَحْثٌ عَمِيقٌ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْبَيَانِ، وَلَكِنْ سَأَنْقُلُ لَكُمْ فَقَطْ تَصْرِيحًا لِصَاحِبِ "الِاخْتِلَالِ" هَذَا فِي كِتَابِهِ الْآخِرِ نِهَايَةَ الْحِكْمَةِ حِينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ حَقِيقَةِ الْوُجُودِ، يَقُولُ:

«الْحَقُّ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي عَيْنِ أَنهَا كَثِيرَةٌ، لِأَنَّانْتِزِعُ مِنْ جَمِيعِ مَرَاتِبِهَا وَمَصَادِقِهَا مَفْهُومَ الْوُجُودِ الْعَامِّ الْوَاحِدِ الْبَدِيهِيِّ، وَمِنَ الْمُتَمَنِّعِ انْتِزَاعَ مَفْهُومٍ وَاحِدٍ مِنْ مَصَادِقِ كَثِيرَةٍ بِمَا هِيَ كَثِيرَةٌ، غَيْرِ رَاجِعَةٍ إِلَى وَحِدَةٍ مَا»^١.

أَيُّ أَنَّهُ يَدْعُونَا لِلِاعْتِقَادِ بِأَنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ وُجُودَنَا وَوُجُودَ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الْوُجُودَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ! لِأَنَّنا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَنْتَزِعَ مِنْ كُلِّ مَصَادِقِ

١ نهاية الحكمة ص ١٨

الوجود ومراتبه إلا حقيقة واحدة، وهي أن هذا موجود. يسألك: هل تقول إن الله موجود أم لا؟ تقول: موجود. ويسألك: هل تقول إنك موجود أم لا؟ تقول: موجود. فيستنتج من ذلك أن الحقيقة واحدة!

هذه المصايق - مع كونها ذات مراتب مغايرة - إلا أن حقيقة الجامع بينها هو "الوجود"؛ فإنا موجود، والبحر موجود، والشمس موجودة، والله أيضا موجود؛ إذن نحن كلنا موجودون ولنا حقيقة واحدة!

معنى كون الله موجودًا عند أهل البيت

أما نحن المسلمين حقًا، أتباع أهل البيت عليهم السلام، فنقول: إن وصفنا لله (عز وجل) بأنه موجود لا يقتضي ولا يلزم منه الاشتراك بين صفة الوجود فيه وصفة الوجود فينا نحن المخلوقين.

إنما نصفه بالموجود من باب ضيق العبارة؛ نريد بذلك أن نقول إنه موجود بمعنى أنه ليس وهما أو خيالًا كما يزعم الملحدون أو الماديون أو الطبيعيون الذين يقولون "أنتم صنعتم الله ولا يوجد الله".

فالرد عليهم يكون بقولنا إن الله موجود، ولكننا لا نريد بذلك أن وجوده كوجودنا، أو أن الحقيقة مشتركة! إنما نصفه بالوجود من باب ضيق العبارة، أما وجوده الحقيقي فلا نعرفه.

لتعرف من أنت؟

نَحْنُ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْوُجُودِ، وَلَيْسَ هُوَ الْوُجُودَ. فَإِذَا قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ
وُجُودٌ وَنَحْنُ أَيْضًا وُجُودٌ، صَارَ ذَلِكَ شِرْكًَا وَتَشْبِيهًا! لَقَدْ شَبَّهْتَ صِفَةَ
الْوُجُودِ فِي اللَّهِ بِصِفَةِ الْوُجُودِ فِي الْمَخْلُوقِينَ فَأَصْبَحَتْ صِفَةٌ مُشْرَكَةً!

أَنَا حِينَمَا أَقُولُ عَنْ نَفْسِي "أَنَا مَوْجُودٌ" إِنَّمَا أَنفِي الْعَدَمَ عَنْ نَفْسِي؛ أَيُّ أَيِّ
لَسْتُ عَدَمًا، وَلَسْتُ وَهَمًّا، وَلَسْتُ خَيَالًا. كَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ "اللَّهُ (عَزَّ
وَجَلَّ) مَوْجُودٌ" إِنَّمَا أَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ بِعَدَمٍ، وَلَيْسَ بِوَهْمٍ، وَلَيْسَ بِخَيَالٍ.
فَالْجَامِعُ الْمَشْتَرِكُ هُوَ انْتِزَاعِيٌّ مُحْضٌ، وَالِاشْتِرَاكُ هُوَ اشْتِرَاكٌ لَفْظِيٌّ فَقَطُّ،
وَلَيْسَ اشْتِرَاكًا مَعْنَوِيًّا مَا هُوَ يَا!

حَتَّى الْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَاللَّهُ هُوَ خَالِقُ الْوُجُودِ. الْوُجُودُ
الَّذِي نَعْرِفُهُ -صِفَةُ الْوُجُودِ- ؛ اللَّهُ هُوَ خَالِقُهَا، فَالِاشْتِرَاكُ هُوَ لَفْظِيٌّ فَقَطُّ،
وَلَيْسَ حَقِيقِيًّا.

لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ انْتِزَاعَنَا لِمَفْهُومِ الْوُجُودِ مِنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ يَقْتَضِي
وَحْدَةَ الْمُنتَزَعِ بَيْنَ الْمَصَادِقِ! هَذَا شِرْكٌَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

قَدْ يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ أَنْ كَيْفَ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ ثُمَّ تَقُولُ إِنَّنَا لَا نَعْرِفُ
مَا مَعْنَى وُجُودِهِ؟

أقول: لِأَنَّ هَذَا فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ. الإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا رَوَى عَنْهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ فِي كِتَابِهِ تَوْحِيدِ الْمُفَضَّلِ، يَقُولُ: «ثُمَّ لَيْسَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ يُوجِبُ لَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ وَكَيْفَ هُوَ»^١.

أَيُّ أَنَّ عِلْمِي بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ لَا يُوجِبُ أَنْ أَكُونَ عَالِمًا بِكَيْفِيَّةِ وَجُودِهِ وَمَاهِيَّتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ أَفْرَعُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْوُجُودِيَّةَ مُشْرَكَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، أَوْ أَنَّ وَجُودِي وَوُجُودَهُ مِنْ سِنَخٍ وَاحِدٍ وَحَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ! الإِمَامُ يَنْفِي ذَلِكَ تَمَامًا وَيَقُولُ هَذَا لَا يُوجِبُ ذَاكَ.

مُحَاكِمَةُ الْمَنَاهَجِ الْمُنْحَرِفَةِ بِالمُقَارَنَةِ مَعَ الدِّينِ

لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَلْفُونَ وَيُدُورُونَ مِنْ أَجْلِ تَصْحِيحِ فِكْرَةِ "أَصَالَةِ الْوُجُودِ"، ثُمَّ الْوُصُولِ إِلَى "وَاحِدَةِ الْوُجُودِ"، وَمِنْهَا يَتَوَعَّلُونَ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ كُفْرًا؛ وَهُوَ الْقَوْلُ بِـ "وَاحِدَةِ الْمَوْجُودِ"، حَيْثُ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ! يَتَقَدَّمُونَ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي هَذَا الْمَسْلَكِ الشَّيْطَانِيِّ.

وَبِمَاذَا يُوَاجِهُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُوحِدِينَ الَّذِينَ يُنْزَهُونَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) عَنْ كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَرْبُوبِينَ؟ يُوَاجِهُونَهُمْ بِأَسْلِحَةٍ وَدَعَاوَى فَارِغَةٍ.

^١ توحيد المفضل ص ١٢٠

لتعرف من أنت؟

عَادَةً، حِينَمَا نَطْرَحُ نَحْنُ هَذِهِ الْبُحُوثَ، وَالَّتِي تَتَأَثَّرُ بِهَا النَّاسُ وَتَعُودُ
لِمَنْهَجِ الْحُسَيْنِ وَالْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُجَاهِدُونَنَا قَائِلِينَ: "هَذِهِ الْبُحُوثُ عَمِيقَةٌ
وَدَقِيقَةٌ، يَجِبُ عَلَى الْوَاحِدِ أَنْ يَدْرُسَ الْعِرْفَانَ لِعِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّى
يَفْهَمَ! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَتَوَهَّمُونَ، وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي نَقْصِدُهُ مِنْ
وَحْدَةِ الْوُجُودِ! نَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِعِرْفَانِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ لَا تُنَاقِضُ
مَنْهَجَهُمْ!".

عَادَةً مَا يُحَارِبُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا السَّلَاحِ، وَهُوَ سِلَاحٌ سَاقِطٌ لَا يُؤَدِّي إِلَى
نَتِيجَةٍ. لِأَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّهَا إِنَّمَا نُحَاكِمُ صَاحِبَ الْمَنْهَجِ عَلَى مَا يَقُولُهُ وَمَا
يَدُونُهُ فِي كِتَابِهِ.

نَحْنُ الْآنَ كَيْفَ نُحَاكِمُ "فرويد"؟ مِمَّا كَتَبَ فرويد. وَكَيْفَ نُحَاكِمُ
"دَارون"؟ مِمَّا كَتَبَ دَارون. وَكَيْفَ نُحَاكِمُ "لينين"؟ مِمَّا كَتَبَ لينين؛
وَهَكَذَا. نَنْظُرُ إِلَى مَا كَتَبُوا فَنُحَاكِمُهُمْ، وَنَرَى هَلْ أَقْوَالُهُمْ مُنْسَجِمَةٌ مَعَ
مِنْهَا جِنَا كِتَابًا وَعِثْرَةٌ أَمْ لَا؟ فَإِذَا وَجَدْنَاهَا غَيْرَ مُنْسَجِمَةٍ وَمُتَنَاقِضَةٍ، جَرَمْنَا
أَوْلِيكَ وَرَمَيْنَاهُمْ بِالْإِنْجِرَافِ.

لِمَاذَا لَا تَقْبَلُونَ هَذَا الْمَنْهَجَ الْعُقْلَانِيَّ عَلَى أَنْفُسِكُمْ يَا مَنْ تَدْعُونَ أَنْكُمْ
عُرَفَاءُ وَتُرُوجُونَ لِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ؟ لِمَاذَا تَسْتَعْفِلُونَ النَّاسَ

وَتَقُولُونَ "لَمْ تَفْهَمُوا كَلَامَنَا وَيَجِبُ أَنْ تَدْرُسُوا ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي مَدَارِسِنَا حَتَّى تَسْتَوْعِبُوهُ"؟!

هَلْ أَحْتَاجُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَدْرُسَ عِشْرِينَ سَنَةً فِي جَامِعَةٍ غَرِيبَةٍ تُدْرَسُ
الْإِلْحَادَ، وَنَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ وَالْإِرْتِقَاءِ لِدَارُونَ، حَتَّى أَسْتَطِيعَ مُحَاكَمَتَهَا بَعْدَ
ذَلِكَ؟

أَنَا لَسْتُ بِحَاجَةٍ لِذَلِكَ! أَنَا لَا أُحَاكِمُ النَّظَرِيَّةَ بِنَاءً عَلَى مَبَانِيهَا وَقَوَاعِدِهَا
هِيَ. حِينَمَا أَقُولُ إِنَّ مَا جَاءَ بِهِ خَطَأً، أَنَا لَا أَنْطَلِقُ مِنْ مَبَانِي جَامِعَتِهِ
وَمَدْرَسَتِهِ وَمَسَلِكِهِ حَتَّى أَحْتَاجَ لِدِرَاسَتِهَا! بَلْ أَنْظُرُ إِلَى النَّتِيجَةِ الَّتِي جَاءَ
بِهَا دَارُونَ -مثلاً-؛ هَلْ تَتَوَافَقُ مَعَ الْإِسْلَامِ فَأَقْبَلُهَا، أَمْ تَتَنَاقَضُ مَعَهُ
فَأَرْفُضُهَا؟ أَنَا أَنْطَلِقُ مِنْ دِرَاسَتِي، مِنْ مَبَانِي وَقَوَاعِدِي أَنَا. فَلَسْتُ بِحَاجَةٍ
لِدِرَاسَةِ تِلْكَ الْمَبَانِي، لِأَنِّي لَا أُحَاكِمُ ذَلِكَ الْمَنْهَجَ بِنَاءً عَلَى قَوَاعِدِهِ هُوَ.

هَذِهِ مُعَالِطَةٌ يَتَّبِعُهَا هُوَلَاءُ. مَنْ مِنْ هُوَلَاءِ الْمُعْتَرِّونَ الْيَوْمَ بِالْعِرْفَانِ
وَالْفَلَسَفَةِ يَقُولُ أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لَنَا رَفُضُ مَا جَاءَ بِهِ أَمْثَالُ فَرْوِيدِ إِلَّا إِذَا ذَهَبْنَا
لِلْجَامِعَاتِ الْغَرِيبَةِ وَدَرَسْنَا فَلَسَفَتَهُ أَوَّلًا!

هَذَا مَعْنَاهُ تَعْطِيلُ الْعُقُولِ. مَنْ مَنَّا ذَهَبَ وَدَرَسَ دَوْرَةَ فِقْهِيَّةٍ كَامِلَةً فِي فِقْهِ
أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ وَغَيْرِهِمَا حَتَّى يَرُدَّ عَلَى اسْتِنْبَاطِهِمْ؟ هَلْ أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ

لتعرف من أنت؟

أَذْهَبَ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى الْأَزْهَرِ مَثَلًا لِأَدْرَسَ مَاذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَعَلَى أَيِّ مَبَانٍ اسْتَنَّدَ، لِأَقُومَ بِمَحَاكَمَتِهِ وَتَخْطِئَتِهِ؟

لِي مَبَانِي وَأَصَالَتِي، أَنْظِرْ إِلَى النَّتَائِجِ الَّتِي جَاءَ بِهَا؛ فَإِذَا أَفْتَى بِفَتْوَى وَجَدْتَهَا مُخَالَفَةً لِمَا أَفْتَى بِهِ الْأُمَّةُ الْأَطْهَارُ عليه السلام، أَرُفُضُهَا وَأَقُولُ إِنَّهُ مُنْحَرِفٌ. هَذَا يَكْفِينِي، وَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الْعُقْلَائِيُّ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ كُلُّ الْعُقْلَاءِ.

وَالْعَجِيبُ فِي هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يَسْتَعْفِلُونَ النَّاسَ بِهَذِهِ الدَّعْوَى، وَلَا يَقْبَلُونَ بَأْنَ يُنَاطِرُهُمْ أَوْ يُحَاكِمُهُمْ أَحَدٌ، وَيَجْعَلُونَ كُلَّ مَنْهَجِهِمْ فِي طَوْرِ الْغَوَامِضِ وَالْأَسْرَارِ. وَهَذِهِ حِيلَةُ الْعَاجِزِ!

لَوْ أَنَّنِي أَلْفْتُ كِتَابًا، وَأَرَادَ شَخْصٌ أَنْ يُنَاقِشَنِي فِيهِ، فَقُلْتُ لَهُ: "لَا أَسْمَحُ لَكَ لِأَنَّكَ لَمْ تَسْتَوْعِبِ الْكِتَابَ وَلَا تَفْهَمُهُ، وَيَجِبُ أَنْ تَحْضُرَ عِنْدِي خَمْسَ سَنَوَاتٍ لِأَدْرَسَكَ إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ تَحْكُمَ عَلَيَّ!"؛ مَاذَا سَيُقَالُ عَنِّي؟ سَيُقَالُ إِنِّي أَفْرٌ مِنَ الْإِنْتِقَادِ، وَإِنِّي عَاجِزٌ أُرِيدُ الْإِبْتِعَادَ عَن مُقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ.

أَنَا آخِذٌ كُتُبَ الطَّبَّاطِبَائِيِّ وَالْحُمَيْنِيِّ وَغَيْرِهِمَا، الْأَحِظُّهَا، أَتَأَمَّلُ فِيهَا جَيِّدًا، وَأَدْرُسُهَا ثُمَّ أَنْقُدُهَا. وَلَكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ بِدَعْوَى أَنِّي لَمْ أَفْهَمْ الْعِبَارَةَ، وَلَكِنْ رُدَّ! أَمَّا أَنْ تَقُولَ "أَنَا لَا أَرُدُّ لِأَنَّكَ أَصْلًا غَيْرُ فَاهِمٍ وَلَنْ تَفْهَمَ إِلَّا إِذَا انْخَرَطْتَ فِي

مَسَالِكِنَا الشَّيْطَانِيَّةَ وَدَرَسْتَ مَا دَرَسْنَا"، فَهَذَا عُدْرٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبٍ. وَمَنْ
يَنْخَرِطُ فِي مَسَالِكِكُمْ سَيَنْجَرِفُ وَيَضِيعُ كَمَا ضَاعَ الْكَثِيرُونَ الَّذِينَ ذَهَبُوا
لِدِرَاسَةِ الْإِلْحَادِ فَأَلْحَدُوا^١.

حَتَّى لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مُحْصَنٌ، فَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ لِمَنْ أَرَادَ نَقْضَ
مَبْدَأٍ أَوْ فِكْرٍ أَوْ عَقِيدَةٍ أَنْ يَسْلُكَ مَسَالِكَهَا مِنْ بَدْوِ أُصُولِهَا؛ يَكْفِيهِ أَنْ
يُحَاكِمَ النَّتَائِجَ، يَأْخُذُ النَّتِيجَةَ وَيُقَارِبُهَا مَعَ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ وَالتَّشْيِيعُ
لِيَرَى اتِّوَافُقَ أَمْ تَتَعَارَضُ، تَمَامًا كَمَا فَعَلْنَا نَحْنُ بِهَذِهِ الْأَمْثَلَةِ.

الْأُمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُونَ "لَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ"، فَيَأْتِيكَ صَاحِبُ
"الِاخْتِلَالِ" وَيَقُولُ "إِذَا دَرَسْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَأَرَدْتَ التَّعَمُّقَ فَمَسْمُوحٌ
لَكَ!"

الْأُمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْبَتُوا أَنَّ "اللَّهُ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ"^٢، وَأَنَّهُ لَا
يُوجَدُ اشْتِرَاكٌ فِي أَيِّ صِفَةٍ أَبَدًا. فَلَسْتُ مُسْتَعِدًّا لِأَنَّ أَقُولَ هُنَاكَ اشْتِرَاكٌ فِي
صِفَةِ الْوُجُودِ! هَذَا مُنَاقِضٌ، وَمَا دَامَ مُنَاقِضًا فَهُوَ انْحِرَافٌ وَكُفْرٌ لَا أَقْبَلُ بِهِ
مَهْمَا تَأَوَّلْتَ، وَمَهْمَا ادَّعَيْتَ الْوَصْلَ بِالْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ.

١ كما حَدَّثَ مَعَ شَابِّ كُوَيْنِيِّ ذَهَبَ إِلَى أَمْرِيكَ لِیَدْرُسَ الْمَوَادَّ الطَّبِيعِيَّةَ لِيُرِدَّ عَلَيْهَا مُسْتَقْبَلًا، فَلَمْ
تَمُضْ أَشْهُرٌ حَتَّى أَلْحَدَ وَقَالَ لِي: "لَقَدْ أَثْبَتُوا لِي أَنَّ اللَّهَ خُرَافَةٌ!" (وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ)!

خداع "الأسرار والغوامض": دعوة للزندقة

إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ الْمَرِيضَ الْمُسَمَّى بِـ "الْعِرْفَانِ الرَّائِحِ الْيَوْمَ، هُوَ مَنْهَجٌ مُحَاطٌ بِغَوَامِضٍ وَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ "أَسْرَارٌ". بَيْنَمَا الْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ عِنْدَنَا تَقُولُ: "دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ".^١

وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "هل ترى الشمس؟ على مثلها فاشهد"^٢. الْحَقُّ بَيِّنٌ وَوَاضِحٌ لَيْسَ فِيهِ غَوَامِضٌ. أَيُّ مَنْهَجٍ تَسْتَشْعِرُ مِنْهُ أَنْ فِيهِ أَسْرَارًا لَا يُبَاحُ بِهَا - خَاصَّةً إِذَا صَرَخَ أَرْبَابُهُ بِذَلِكَ - فَتَحْفَظُ عَلَيْهِ وَقُلْ هَذَا مَنْهَجٌ غَيْرٌ مَقْبُولٍ. الْإِسْلَامُ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ كَوْضُوحِ الشَّمْسِ، وَلَا مَجَالَ فِيهِ لِلْغَوَامِضِ وَالْأَسْرَارِ الْبَاطِنِيَّةِ!

وَلِنَحَاكِمِكُمْ مِمَّا تَقُولُونَ أَيُّهَا الزَّاعِمُونَ أَنَّكُمْ عُرَفَاءُ! يَقُولُ الْخُمَيْنِيُّ فِي تَعْلِيْقَاتِهِ عَلَى شَرْحِ فُصُوصِ الْحِكْمِ وَمِصْبَاحِ الْأَنْسِ: «وَهَذَا مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ إِفْشَاءَ حَقِيقَتِهَا وَالتَّصْرِيْحُ بِهَا؛ فَالْعَالِمُ خَيَالٌ فِي خَيَالٍ، وَوَهُمْ فِي وَهُمْ، لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دِيَارٌ، تَأَمَّلْ تَعْرِفْ»^٣.

١ وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٧٣

٢ وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٣٤٢

٣ تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس ص ٩٨

إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا زَنْدَقَةً وَكُفْرًا وَانْحِرَافًا، فَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ الْكُفْرُ
وَالْإِنْحِرَافُ؟!

أَوَّلًا، يُصَرِّحُ بِأَنَّهَا "أَسْرَارٌ لَا يُبَاحُ بِإِفْشَائِهَا"، وَهَذِهِ بِحَدِّ ذَاتِهَا كَافِيَةٌ
لِلتَّجْرِيمِ؛ فَمَنْهَجُ الْإِسْلَامِ وَاضِحٌ، وَمَنْ يَدَّعِي عَوَامِضَ وَطَلَّاسِمَ فَهُوَ بَعِيدٌ
عَنْ تَرْبِيَةِ الْأُمَّةِ لَنَا.

ثَانِيًا، يَأْتِي بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ لِيَقُولَ إِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ مُجَرَّدٌ "خِيَالٍ
فِي خِيَالٍ وَوَهْمٍ فِي وَهْمٍ" لِأَنَّهُ "لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دِيَارٌ"!

أَيُّ أَنَّ الْكُلَّ هُوَ اللَّهُ! نَحْنُ كُلُّنَا اللَّهُ! الْكَثْرَةُ فِي عَيْنِ الْوَحْدَةِ وَالْوَحْدَةُ فِي
عَيْنِ الْكَثْرَةِ! أَنْتَ مُتَكَثِّرٌ (مِنْ نَفْسٍ وَرُوحٍ وَدَمٍ وَعَقْلٍ وَأَعْضَاءٍ)، لَكِنَّكَ فِي
عَيْنِ كَثْرَتِكَ هَذِهِ فِي عَيْنِ شَيْءٍ وَاحِدٍ، يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْوُجُودَ كُلَّهُ بِمَا فِيهِ
هُوَ كَثْرَةٌ، لَكِنْ فِي عَيْنِ الْوَحْدَةِ، لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرَهُ دِيَارٌ، هُوَ حَقِيقَةُ الْوُجُودِ
وَكَوْنِ الْمَوْجُودَاتِ!

الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِصْنُ التَّوْحِيدِ الْكَاسِرِ لِشِبْهَاتِهِمْ

قُلْنَا فِي صَدْرِ كَلَامِنَا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَنْ يَنْجَحُوا مَهْمَا حَاوَلُوا أَنْ يُجْرُوا التَّشْيِعَ
إِلَى تِلْكَ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ وَالْبِدْعِ وَالْإِنْحِرَافَاتِ. لِأَنَّ مَعَنَا مَعَنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. هُمْ لَا يَقْوُونَ عَلَى مُقَاوَمَةِ الْحُسَيْنِ! جَيْشُ يَزِيدَ وَعُمَرُ بْنُ

لتعرف من أنت؟

سَعِدَ لَمْ يَنْتَصِرْ عَلَى الْحُسَيْنِ. الدَّلِيلُ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ الْيَوْمَ يَصِيحُ "يَا حُسَيْنُ"؛ فَهُوَ مَحْوَرُ الْإِسْتِقْطَابِ وَدَمْعَةُ الْإِخْضَاعِ، لَا الْحُمَيْنِيُّ، وَلَا الطَّبَّاطَبَائِيُّ، وَلَا مُصْطَفَى الْحُمَيْنِيِّ، وَلَا غَيْرَهُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَاجِهَ الْحُسَيْنَ!

هَؤُلَاءِ أَنْفُسُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِالْحُسَيْنِ، يَجْعَلُونَهُ الْمَثَلَ الْأَعْلَى، وَيَحْضُرُونَ مَجَالِسَهُ وَيَذْرِفُونَ الدَّمْعَةَ عَلَيْهِ. فَالْحُسَيْنُ هُوَ الْمِقْيَاسُ؛ أَيُّ إِنْسَانٍ يَتَوَعَّى وَيَتَعَلَّمُ وَيَزِدَادُ مَعْرِفَةً ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَقْوَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ، سَيَجِدُهَا مُتَنَاقِضَةً مَعَ مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ، فَتَكُونُ الْكَلِمَةُ الْفَصْلُ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَؤُلَاءِ لَا يُسَاوُونَ شَيْئًا.

طَرَحَ هَؤُلَاءِ شُبُهَةً قَائِلِينَ: "لِمَاذَا تَقُولُونَ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَةَ كُنْهِ اللَّهِ؟ بَلْ مُمَكِّنُ! لَكِنَّهَا مَعْرِفَةٌ تَزْدَادُ عُمُقًا مَعَ الرَّقِيِّ وَالشُّمُوحِ فِي الْعِرْفَانِ". وَطَبَعًا يُؤَوَّلُونَ الرِّوَايَاتِ النَّاهِيَةَ، فَالْمَجَالُ خَصْبٌ لَدَيْهِمْ.

قَالُوا: "أَلَسْنَا نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ، وَالْوُجُودُ هُوَ خِلَافُ الْعَدَمِ، وَقَاعِدَتُنَا الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنَ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ عَيْنٌ ذَاتِهِ. فَإِذَا كَانَ اللَّهُ مَوْجُودًا، وَالْوُجُودُ نَقِيضُ الْعَدَمِ، وَصِفَاتُهُ عَيْنٌ ذَاتِهِ، فَقَدْ صَارَ الْوُجُودُ عَيْنَ ذَاتِهِ، إِذَنْ قَدْ عَرَفْنَا ذَاتَ اللَّهِ وَكُنْهَهُ!".

يَرُدُّ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي خُطْبَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي التَّوْحِيدِ، وَالَّتِي رَوَاهَا ابْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ فِي كِتَابِ تَحْفِ الْعُقُولِ، وَالَّتِي كُلُّ عِبَارَةٍ مِنْهَا تَحْتَاجُ إِلَى دَوْرَةٍ بَحْثِيَّةٍ مُسْتَقَلَّةٍ. يَبْدَأُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ خُطْبَتَهُ قَائِلًا:

«أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ^١، يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ... وَلَا تُدْرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِأَلْبَابِهَا^٢، وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفَكِيرِهِمْ، إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ إِيقَانًا بِالْغَيْبِ^٣ لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، مَا تُصَوِّرُ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ خِلَافُهُ، احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا

١ الإمامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام يُسَمِّيهِمْ "مَارِقَةً" (أَي مَرَقُوا وَخَرَجُوا مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ)، وَلَا يُسَمِّيهِمْ "عَرَفَاءَ شَاخِحِينَ"! وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ يُشَبِّهُ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ اللَّهِ، حَتَّى مَنْ يَقُولُ إِنَّ وُجُودَنَا وَوُجُودَ اللَّهِ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ.

٢ فَلَا تَقُلْ لِي "صَاحِبُ الْمِيزَانِ" عَالِمٌ وَمُفَكِّرٌ! الْإِمَامُ يَنْفِي أَنْ تُدْرِكَهُ الْعُقُولُ بِالتَّفَكِيرِ مَهْمَا تَعَمَّقَتْ فِي الْمَسَائِلِ الْفَلْسَفِيَّةِ!

٣ أَيَّ أَنْتَا نُوْمُنُ بِهِ إِيمَانًا بِالْغَيْبِ، فَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ (مِنْ صِيقِ الْعِبَارَةِ لِتَنْفِي الْعَدَمِ)، أَمَّا حَقِيقَتُهُ فَهِيَ غَيْبٌ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ.

٤ أَيَّ أَنْ كُلِّ شَيْءٍ تَتَصَوَّرُهُ فِي ذَهْنِكَ وَخَيَلَتِكَ فَاللَّهُ تَعَالَى خِلَافُهُ.

لتعرف من أنت؟

اِحْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ اِحْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ قُرْبُهُ
كَرَامَتُهُ، وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ. لَا تُحِلُّهُ (فِي)، وَلَا تُوقِّتُهُ (إِذْ)، وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عَلُوهُ
مِنْ غَيْرِ تَوْقِلٍ^٢ وَحَيْثُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجَدُ الْمَفْقُودَ وَيَفْقِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا
تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ^٣. يُصِيبُ الْفِكْرُ مِنْهُ الْإِيمَانَ بِهِ مَوْجُودًا،
وَوُجُودُ الْإِيمَانِ لَا وُجُودُ صِفَةٍ، بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ
تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللَّهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^٦.

١ حَتَّى الْمَلَائِكَةُ لَا يَعْرِفُونَ كُنْهَهُ! بَلْ حَتَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَصِلُ لِكُنْهِهِ تَعَالَى.

٢ أَي مِنْ غَيْرِ صَعُودٍ.

٣ فَاللَّهُ فَوْقَ التَّنَاقُضِ الَّذِي خَلَقَهُ.. فَاللَّهُ مُحْيِي وَمَيِّتٌ، شَاهِدٌ وَغَائِبٌ، قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ..

٤ أَي أَنَّ غَايَةَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِكْرُكَ هُوَ الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ. وَهَذَا "الْوُجُودُ" الَّذِي نُسِبْتَهُ هُوَ "وُجُودُ إِيْمَانِي"
بِهِ "وَلَيْسَ" "وُجُودَ صِفَةٍ" مُشْتَرَكَةٌ نُسِبْتَهَا لَهُ كَمَا نُسِبْتَهَا لِأَنْفُسِنَا (نَقِيضَ الْعَدَمِ). هَذِهِ الصِّفَةُ ذَاتُهَا
مُخْلُوقَةٌ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةً لَهُ مِنْ سِنَخِ صِفَاتِنَا؟! هَؤُلَاءِ الْمُبْطَلُونَ يَقُولُونَ إِنَّ
الْوُجُودَ صِفَةً ذَاتَ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ (تَشْكِيكِيَّةٍ)، بَيْنَمَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْسِفُ ذَلِكَ.

٥ لَا تَقُلْ "أَعْرَفُ اللَّهَ بِالْفَلَسَفَةِ وَالْعِرْفَانِ"! الْعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ؛ بِاللَّهِ تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ، لَا بِالْمَعَارِفِ
يُعْرَفُ اللَّهُ.

٦ تحف العقول ص ٢٥٥.

نَحْنُ نُوَاجِهُ هَؤُلَاءِ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام؛ وَلِذَلِكَ لَنْ يَنْتَصِرُوا،
وَمَصِيرُهُمْ إِلَى زَوَالِ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُمْ وَمَهْمَا فَرَضَتْ دَوْلُهُمْ وَأَنْظَمَتْهُمُ هَذَا
الْفِكْرَ السَّرَطَانِيَّ الْحَيْثَ الْمُعَارِضَ لِتَعَالِيمِ أُمَّتِنَا. وَلَكِنَّا نَعْلَمُ بِالنَّتِيجَةِ أَنَّهَا
حَرْبٌ خَاسِرَةٌ مِنْ طَرَفِهِمْ.

الاعتصام بمنهج الحسين عليه السلام ضد الانحرافات

نَحْنُ نَأْخُذُ بِمَا قَالَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام عِنْدَمَا بَيَّنَّ أَنَّ وُجُودَ الْإِيمَانِ لَا يَعْنِي
وُجُودَ صِفَةٍ مُشَابِهَةٍ لِلْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَأْخُذُ بِكَلَامِ صَاحِبِ الْمِيزَانِ وَغَيْرِهِ،
وَلِهَذَا السَّبَبِ، فَإِنَّ النَّصْرَ دَائِمًا حَلِيفُ الْحُسَيْنِ وَحَلِيفُ السَّائِرِينَ عَلَى
دَرَبِهِ. فَإِذَا كَانَ سِلَاحُ أَوْلَيْكَ هُوَ النُّظَامُ وَالقُوَّةُ المَادِيَّةُ، فَمَا هُوَ سِلَاحُنَا
نَحْنُ؟ سِلَاحُنَا هُوَ الدَّمْعَةُ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام. هَذِهِ الدَّمْعَةُ هِيَ الَّتِي تَنْصُرُنَا
عَلَيْهِمْ بِمَنْهَجِ الْحُسَيْنِ؛ لِأَنَّهَا اخْتَرَلَتْ مِنْهَا عَظِيمًا يَحْرِقُ كُلَّ مَنْهَجٍ بَاطِلٍ
مُخَالِفٍ لِتَعَالِيمِ الْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام.

عظمة الدمعة على الحسين وقيمتها الغيبية

وَلِتَعْرِفُوا قِيَمَةَ هَذِهِ الدَّمْعَةِ، نَقْرَأُ مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ
عليه السلام، حَيْثُ يَرُوي هَذِهِ الرِّوَايَةَ عَنِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْبَاكِينَ عَلَى الْحُسَيْنِ رَحْمَةً وَشَفَقَةً، وَاللَّاعِنِينَ لِأَعْدَائِهِمْ

لتعرف من أنت؟

والمُتَلِّينَ عَلَيْهِمْ غِيظًا وَحَنَقًا. أَلَا وَإِنَّ الرَّاضِينَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ شُرَكَاءُ قَتَلْتِهِ. أَلَا وَإِنَّ قَتَلْتَهُ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَالْمُقْتَدِينَ بِهِمْ بُرَاءً مِنْ دِينِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ لِيَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَتَلَقَّوْا دُمُوعَهُمْ الْمَصُوبَةَ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْخُزَّانِ فِي الْجِنَانِ، فَيَمْرُجُوهَا بِمَاءِ الْحَيَوَانَ، فَتَزِيدُ عُذُوبَتَهَا وَطِيبُهَا أَلْفَ ضِعْفِهَا، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيَتَلَقَّوْنَ دُمُوعَ الْفَرِحِينَ الضَّاحِكِينَ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ، يَتَلَقَّوْنَهَا فِي الْمَاوِيَةِ وَيَمْرُجُونَهَا بِحَمِيمِهَا وَصَدِيدِهَا وَغَسَّاقِهَا وَغَسْلِينِهَا، فَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهَا وَعَظِيمِ عَذَابِهَا أَلْفَ ضِعْفِهَا، يُشَدِّدُ بِهَا عَلَى الْمُتَقُولِينَ إِلَيْهَا مِنْ أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَذَابَهُمْ»^١.

لَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّ هَذِهِ الدَّمَعَاتِ بَسِيطَةٌ أَوْ هَيِّنَةٌ! هَذِهِ فِي بُعْدًا غَيْبِيًّا تَتَلَقَّاهَا الْمَلَائِكَةُ لِتَذَهَبَ بِهَا إِلَى خُزَّانِ الْجِنَانِ، فَيَأْخُذُونَهَا وَيَمْرُجُونَهَا بِمَاءِ الْحَيَوَانَ فِي الْجِنَانِ، فَيَزِدَادُ الْمَاءُ عُذُوبَةً. هَلْ تَعْرِفُونَ الْآنَ كَمْ هِيَ عَظِيمَةٌ قِيمَةُ هَذِهِ الدَّمَعَةِ؟

صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْحُسَيْنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْبَاكِينَ عَلَى الْحُسَيْنِ، أَلَا فَبِكُوا سَيِّدَكُمْ الْحُسَيْنِ!

^١ تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٧٧

خذلان الأقرباء.. أم يد الشهداء

لتعرف من أنت؟

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^١.

مُعْجِزَةُ الْجَمَلِ وَحَقِيقَةُ الْإِنْتِقَادِ لِلتُّبُوءَةِ

في سياقِ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، وردَ عنِ القاسمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَقِيلٍ، كما في تفسيرِ فُرَاتِ الكُوفِيِّ، عنِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الأنصاريِّ (رضي اللهُ عنه) أنَّه قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

١ الشورى: ٢٣-٢٤

فِي حَائِطٍ مِنْ حِيْطَانِ بَنِي حَارِثَةَ^١ إِذْ جَاءَ جَمَلٌ أُجْرَبُ أَعْجَفُ، حَتَّى سَجَدَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ^٢.

قُلْنَا لِجَابِرٍ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ، رَأَيْتُهُ وَاضِعًا جَبْهَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ^٣ يَا عُمَرُ: "إِنَّ هَذَا الْجَمَلَ قَدْ سَجَدَ لِي وَاسْتَجَارَ بِي، فَأَذْهَبْ
وَاشْتَرِهِ وَأَعْتِقْهُ، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ سَبِيلًا".

قال: فَذَهَبَ عُمَرُ فَاشْتَرَاهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ، حَتَّى جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا بِهِيمَةٌ يَسْجُدُ لَكَ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ؛ سَأَلْنَا عَلَى
مَا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ الْهُدَى أَجْرًا، سَلْنَا عَلَيْهِ عَمَلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ
كُنْتُ امْرَأًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا". فَقَالَ
جَابِرٌ: "فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

^١ أي بستان يقع في المدينة المنورة

^٢ وهذه الحادثة مُستَفِيضَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ ﷺ؛ إِذْ أَتَى الْجَمَلُ فَبَرَكَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ،
وَقَدْ نُقِلَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي مَصَادِرِ شَتَّى عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

^٣ النبي ﷺ

^٤ هَكَذَا زَعَمَ عُمَرُ، أَنَّهُ بِمَا أَنَّ هَذَا الْجَمَلَ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَكَ، فَنَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ، فَلِمَ لَا تَفْرِضُ عَلَيْنَا
أَجْرًا لِقَاءِ الْهُدَايَةِ الَّتِي جِئْتَنَا بِهَا؟

لتعرف من أنت؟

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿٢٨١﴾. هَذَا هُوَ أَجْرُ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ هَذَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ الَّذِي كَانَتْ بَعْضُ الْبُهَائِمِ، وَمِنْهَا هَذَا الْجَمَلُ، أَدْوَمَ لِشُكْرِهِ مِمَّا صَنَعَ بَعْضُ أُمَّتِهِ.

فَهَلْ أَدَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ شُكْرَ النَّبِيِّ؟ لَقَدْ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ أَنْ يَسْأَلَهُمْ أَجْرًا، فَنَزَلَ أَمْرُ اللَّهِ بِأَنَّ الْأَجْرَ مُحْضُورٌ فِي مَوَدَّةِ قُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
فَالسُّؤَالُ الَّذِي يُوجَّهُ إِلَى عُمَرَ هُوَ: كَيْفَ عَامَلْتَ قُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ رَحِيلِهِ؟

وَهَذَا السُّؤَالُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَاطِبَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا: أَكَانَتْ تُؤَدِّي هَذَا الْأَجْرَ أَمْ نَكَصَتْ عَنْهُ؟ بَلْ أَنْهَى الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَى مَا هُوَ أَنْكَى مِنْ عَدَمِ التَّأْدِيَةِ، إِذْ وَثَبُوا عَلَى قُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَطَّعُوا أَوْصَالَهُمْ؛ فَابْنُ رَسُولِ اللَّهِ، سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، يُفْرَى لِحُمِهِ عَلَى رَمْضَاءِ كَرْبَلَاءَ! أَفَهَذَا هُوَ أَجْرُ الرِّسَالَةِ؟

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾؛ فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ هَذَا الْأَجْرِ هِيَ الْمَوَدَّةُ، وَالْمَوَدَّةُ هُنَا تَسْتَبْعُ

١ الشورى: ٢٤

٢ تفسير فرات الكوفي ص ٣٨٨

الطَّاعَةَ لِلْأُمَّةِ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ قُرْبَى النَّبِيِّ ﷺ . ثُمَّ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَقْوَى إِيمَانُكَ ،
فَعَلَيْكَ بِاِقْتِرَافِ الْحَسَنَةِ ، أَيَّ أَنْ تَخْطُو خُطْوَةً بِاتِّجَاهِهِمْ لِيَخْطُوا خُطْوَاتٍ
بِاتِّجَاهِكَ ، فَتَزْدَادَ حُسْنًا .

مَفْهُومُ الْاِقْتِرَافِ وَالتَّسْلِيمِ عِنْدَ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ ،

وَيُورِدُ ذَاتَ الْمَصْدَرِ ، تَفْسِيرُ فِرَاتِ الْكُوفِيِّ ، كَمَا رَوَاهُ ثِقَّةُ الْإِسْلَامِ
الْكَلْبِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ ، بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي
جَعْفَرٍ ﷺ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّعِزَّ بِحَسَنَةِ نَزْدَلَهُ فِيهَا
حُسْنًا ﴾ قَالَ : " الْاِقْتِرَافُ التَّسْلِيمُ لَنَا وَالْأَيُّ كَذِبٌ عَلَيْنَا " ١ .

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ اِقْتِرَافَ الْحَسَنَةِ هُوَ التَّسْلِيمُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَاعَتُهُمْ
وَالْخُضُوعُ لَهُمْ ، وَأَنْ تُطَاطَى رَأْسَكَ لَهُمْ كَمَا طَاطَأَ الْجَمَلُ رَأْسَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ
حَتَّى وَضَعَ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا . وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ بِالسُّجُودِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ
عَمَلِيًّا ، إِلَّا أَنَّكَ مُكَلَّفٌ بِمَا يُمَاثِلُ هَذَا السُّجُودَ مَعْنَوِيًّا ، وَهُوَ الْاِتِّبَاعُ
وَالْاِنْقِيَادُ . فَالْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ؛ أَنْ تُسَلِّمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ ثُمَّ
لِسُفَرَائِهِ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ الْحُجَجِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

لتعرف من أنت؟

فَبِهَذَا الْخُضُوعِ وَالتَّسْلِيمِ تَتَقَدَّمُ خُطْوَةً نَحْوَ الْجَنَّةِ. وَالسُّؤَالُ الْجَوْهَرِيُّ هُنَا: أَيَّنَ ذَهَبَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ - أَوْ أَكْثَرِيَّتُهَا - عَنِ هَذَا التَّسْلِيمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؟ وَلَا أَخْصُ النَّاجِينَ وَالْمُسْلِمِينَ بِالشَّيْعَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْوَصْفِ كَثِيرُونَ، أَمَّا أَهْلُ الْفِعْلِ فَقَلِيلُونَ. فَقَدْ تَصِفُ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ مُسْلِمٌ أَوْ شَيْعِيٌّ، لَكِنْ هَلْ أَنْتَ مُسْلِمٌ حَقًّا فِي الْوَاقِعِ الْعَمَلِيِّ؟

هَلْ تُسَلِّمُ كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ، أَمْ تَرْتَكِبُ الْمَعَاصِيَ مَعَ الْاِكْتِفَاءِ بِالِادِّعَاءِ؟ بَلْ إِنِّي لَا أَسْتَشْنِي حَتَّى أَقْرِبَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ؛ فَمَنْ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا مِنَ الْمُنْقَادِينَ لِلْإِمَامِ؟ وَهَذَا هُوَ مَوْضُوعُ جَلَسْتِنَا هَذِهِ، وَهُوَ دَرَسٌ يَنْبَغِي أَنْ يُنْحَتَ فِي أَدْهَانِنَا.

مَرَارَةُ الْخِذْلَانِ: حِينَمَا تَأْتِي الطَّعْنَةُ مِنَ الْأَقْرَبِينَ

لَقَدْ حَمَلَ قَلْبُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَلَامًا وَأَوْجَاعًا لَا تُوصَفُ. كَانَ خِذْلَانُ الْأُمَّةِ أَلْمًا كَبِيرًا، وَخِذْلَانٌ مَنْ تَسَمَّى بِالتَّشْيِيعِ أَلْمًا مُضَاعَفًا، أَمَّا خِذْلَانُ أَقْرِبَائِهِ لَهُ فَكَانَ الْأَكْثَرَ وَجَعًا بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ؛ إِذْ كُلَّمَا كَانَتِ الطَّعْنَةُ مِنَ الْأَقْرَبِ، كَانَتْ أَوْجَعًا، فَطَّعْنَةُ الصَّدِيقِ لَيْسَتْ كَالْعَدُوِّ، وَطَّعْنَةُ الْقَرِيبِ لَيْسَتْ كَالْغَرِيبِ.

وَلَعَلْنَا نَتَسَاءَلُ: لِمَاذَا خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبَا لَهَبٍ (لَعَنَهُ اللَّهُ) بِسُورَةِ تَفْصِيحِهِ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ أَوْ أَبِي جَهْلٍ بَلْ وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا، رَغْمَ أَنَّ مُحَارَبَةَ أَبِي سُفْيَانَ -مَثَلًا- لِلْإِسْلَامِ كَانَتْ أَشَدَّ كَيْفًا وَكَمَا؟ فَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ رَأْسَ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ وَمُؤَسَّسَ الْخَطِّ الْأُمَوِيِّ الَّذِي تَحَالَفَ مَعَ الْخَطِّ السَّقْفِيِّ -أَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ- لِتَدْمِيرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الدَّاخِلِ.

السَّبَبُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ غَرِيبٌ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَتَنَافَسُهُ مَعَ النَّبِيِّ كَانَ يَبْدُو لِلْعَرَبِ تَنَافَسًا قَبْلِيًّا مُعْتَادًا لَا يُوجِعُ رَسُولَ اللَّهِ كَثِيرًا. أَمَّا أَبُو لَهَبٍ، فَكَانَ يَدُورُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ قَائِلًا: "لَا تَسْمَعُوا لِابْنِ أَخِي، إِنَّهُ مَجْنُونٌ!"; فَكَانَ تَأْثِيرُهُ فِي صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الدَّعْوَةِ أَقْوَى بِكَثِيرٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: "مَا مَصْلَحَةُ الْعَمِّ فِي انْكَارِ ابْنِ أَخِيهِ؟". لَقَدْ تَعَرَّضَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَاتِ الْأَكْرَمِ حِينَ خَانَهُ وَخَذَلَهُ بَعْضُ أَقْرَبَائِهِ.

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَاخْتِبَارُ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ

لَقَدْ أَشْرْنَا سَابِقًا إِلَى شَأْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، أَخِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِمَّنْ نَتَوَقَّفُ فِي شَأْنِهِ، وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى جَرِّحِهِ؛ نَظْرًا لِمَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ مَدَمَّاتٍ. وَمِنْ أَبْرَزِ مَا يُرْتَكزُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا وَرَدَ فِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ

لتعرف من أنت؟

لِلطَّبْرِيِّ وَكَامِلِ الزِّيَارَاتِ لِابْنِ قَوْلَوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ أَوْ زُرَّارَةَ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا - وَقَالَ كَانَا فِي خِدْمَةِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَكَرْنَا خُرُوجَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَخَلَّفَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ عَنْهُ، فَقَالَ "يَا حَمْزَةُ، إِنِّي سَأَحَدُّثُكَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِمَا لَا تَشْكُ فِيهِ بَعْدَ مَجْلِسِنَا هَذَا؛ إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا فَصَلَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعِرَاقِ، دَعَا بِقِرْطَاسٍ وَكَتَبَ فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ^١، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مِنْ لَحِقِ بِي اسْتَشْهَدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ^٢ وَالسَّلَامُ".

هَذَا الْخِطَابُ يُثَلُّ ذَمًّا لِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَلِكُلِّ هَاشِمِيٍّ قَعَدَ عَنْ نُصْرَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِأَيِّ عُدْرٍ كَانَ. وَالْفَتْحُ هُنَا لَيْسَ فَتْحًا دُنْيَوِيًّا، بَلْ هُوَ فَتْحُ دِينِيٍّ عَظِيمٍ؛ فَكُرْبَلَاءُ الْحُسَيْنِ هِيَ أَعْظَمُ الْفُتُوحَاتِ.

تَأَمَّلُوا، بَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا، نَحْنُ نَجْتَمِعُ الْآنَ عَلَى ذِكْرِ كَرْبَلَاءِ الْحُسَيْنِ! فَأَيُّ مَعْرَكَةٍ تَارِيخِيَّةٍ امْتَدَّتْ تَأْثِيرُهَا هَكَذَا؟ كُلُّ الْمَعَارِكِ طَوَّاهَا النَّسِيَانُ رَغَمَ كَثْرَةِ قَتْلَاهَا، إِلَّا مَلْحَمَةَ الْحُسَيْنِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ كُلَّ عَامٍ.

^١ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - أَيِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ - وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، رَاجِعَ كَامِلِ الزِّيَارَاتِ ص ١٥٧

^٢ وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ، كَمَا فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ.

هَذَا الْفَتْحُ لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْمُسْلِمُونَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَعَ الْأَسْفِ لَمْ يَكُنْ
ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ كَانَتْ لَهُ "شَطَحَاتٌ" وَبَلِيَّاتٌ؛
فَقَدْ حَدَرَهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْمُجْتَبَى عليه السلام فِي وَصِيَّتِهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَقَالَ لَهُ كَمَا فِي
الْكَافِي: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْحَسَدَ، وَإِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْكَافِرِينَ فَقَالَ:
﴿كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾" ^{٣١}. وَبِالْفِعْلِ
وَقَعَ فِي فَخِّ الْحَسَدِ حِينَ نَازَعَ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ السَّجَّادَ فِي الْإِمَامَةِ،
وَقِصَّةُ تَحَاكُمِهِمَا عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مَشْهُورَةٌ.

وَإِنْ كُنَّا نَتَوَقَّفُ فِي شَأْنِهِ لِاحْتِمَالِ تَوْبَتِهِ، لِأَنَّ نَفْسَ هَذِهِ الرَّوَايَةِ الَّتِي
فِيهَا تَحَاكُمُ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ مَعَ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ تُشِيرُ فِي
النِّهَايَةِ إِلَى تَوْبَتِهِ وَرُجُوعِهِ، كَذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:
"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْرِّئَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَبْرِّئْ مُحَمَّدًا وَوَلَدِي" ^{٣٢}. فَبِالتَّعَارُضِ بَيْنَ
بَعْضِ الْأَدْلَةِ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْتَهِيَ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ؛ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ شَطَحَ،
وَوَقَعَ فِي الْحَسَدِ، بَلْ كَانَ يُخْشَى أَنْ يُحْسَدَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، لِأَنَّ الْإِمَامَ

١ البقرة: ١١٠

٢ الكافي ج ١ ص ٣٤٩

٣ كسابقه

لتعرف من أنت؟

الحسن عليه السلام لما استخضره ذكره أن أمر الوصية ليس بيدنا، بل بيد الله، فلا تكونن ممن يحسد الحسين، ولو جود احتمال قوي بأنه تاب ورجع، فإننا نتوقف في شأنه، ونتنظر ظهور الإمام لكي يوضح لنا حاله بدقة. ولكن موضوع بحثنا هو أنه حين وقع الاختبار الإلهي لكل البشر، وفي مقدمتهم بنو هاشم وآل الحسين عليه السلام، هل كان هذا الرجل ممن نجح في الاختبار أم ممن لم ينجح؟ كان جواب الإمام الباقر عليه السلام أنه لم ينجح في الاختبار، تخلف ولم يبلغ الفتح، وما اختار طريق الاستشهاد في سبيل الله عز وجل، فخر نصرته الحسين عليه السلام.

عبد الله بن جعفر وإشكالية النصيحة للمعضوم

ثمة نموذج آخر لشخصية نجزم بهلاكها، رغم كونه من أقرباء الإمام، وقد كان من القاعدين عن نصرته، وهو عبد الله بن جعفر، زوج الحوراء زينب عليها السلام ابن جعفر الطيار عليه السلام، لكنه خذل الحسين عليه السلام، ومع الأسف، هذه الملفات لا تفتح على المناير التي تمدح هذه الشخصية، والحال أن علينا نقد كل الشخصيات لتتحقق العبرة.

فَهَلْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مُسْلِمًا لِإِمَامِ زَمَانِهِ؟ صَحِيحٌ أَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ
الِاحْتِرَامَ وَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَرْسَلَ أَبْنَاءَهُ لِيُسْتَشْهَدُوا مَعَهُ، لَكِنَّهُ فَشِلَ فِي
أَهْمِ نَقْطَةٍ، وَهِيَ أَنَّهُ مَا عَرَفَ وَمَا أَقَرَّ بِإِمَامَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كَيْفَ يَكُونُ مُعْتَقِدًا بِالْإِمَامَةِ مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَى الْإِمَامِ وَيُحَاوِلُ تَوْجِيهَهُ؟
فَالْمُعْتَقِدُ بِحُجَّةِ اللَّهِ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ رَأْيًا فِي قِبَالِ أَمْرِهِ، وَلَا يَنْصَحُهُ بِفِعْلٍ
كَذَا أَوْ تَرَكَ كَذَا. أَنَّهُ تَشَبَهُ مَوَاقِفَ عُمَرَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، وَتَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اعْتِقَادِهِمْ بِالنُّبُوَّةِ حَقًّا. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَدْ
كَتَبَ لِلْحُسَيْنِ رِسَالَةً مُسْتَفِيضَةً رَوَاهَا الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ، وَابْنُ أَعْتَمٍ
فِي الْفُتُوحِ، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ، جَاءَ فِيهَا: "وَانْتَقَلَ الْخَبْرُ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّ
الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَمَّا بَعْدُ،
أُنشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ، فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي
قَدْ أَرْمَعْتَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ قَتِلْتَ أَخَافُ أَنْ
يُطْفِئَ نَوْرَ الْأَرْضِ وَأَنْتَ رُوحُ الْهُدَى وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا تَعْجَلْ بِالْمَسِيرِ إِلَى

لتعرف من أنت؟

العِراقِ، فَإِنِّي أَخَذْتُ لَكَ الْأَمَانَ مِنْ يَزِيدَ وَجَمِيعِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ
وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَوَلَدِكَ، وَالسَّلَامُ^١."

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ بِرِسَالَةٍ جَوَابِيَّةٍ قَالَ فِيهَا:

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَكَ وَرَدَّ عَلَيَّ فَقَرَأْتُهُ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ، وَأُعْلِمُكَ أَنِّي
رَأَيْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِي فَخَبَّرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا مَاضٍ لَهُ، لِي كَانَ
أَوْ عَلَيَّ. وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَمِّ لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرِ هَامَّةٍ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ
لَأَسْتَخْرِجُونِي حَتَّى يَقْتُلُونِي، وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَمِّ لَيُعْدِينَ عَلَيَّ كَمَا عَدَتِ الْيَهُودُ
فِي السَّبْتِ، وَالسَّلَامُ^٢."

لَقَدْ أَوْضَحَ لَهُ الْإِمَامُ قُصُورَ نَظَرِهِ؛ فَالْمُخَطَّطُ الْأُمُويُّ كَانَ يَقْضِي بِتَضْفِيَةِ
الْحُسَيْنِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، سَوَاءً بَايَعَ أَمْ لَمْ يُبَايِعْ، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةِ الْعِزِّ
وَالْإِبَاءِ لَا مِيتَةَ الذَّلَّةِ، "هَيْهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ".

وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ غَابَ حَتَّى عَنِ الْمُعَاصِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُشْكِلُونَ عَلَيَّ
بَعْضَ التَّحَرُّكَاتِ بِدَعْوَى خَوْفِ الْإِضْطِهَادِ وَالْقَتْلِ، كَمَا كَانَ يُقَالُ سَابِقًا
عَنِ الْوَضْعِ فِي الْعِرَاقِ.

١ هَذَا الْخِطَابُ الَّذِي يَصِفُ فِيهِ فِعْلَ الْإِمَامِ بِأَنَّهُ "هَلَكَ" وَبَعْدَهُ بِتَوْفِيرِ "الْأَمَانِ مِنْ يَزِيدَ" يُؤَكِّدُ أَنَّ
الرَّجُلَ لَمْ يَتَعَامَلْ مَعَ الْحُسَيْنِ كَحُجَّةٍ لِلَّهِ يَتَلَقَّى الْأَوَامِرَ مِنَ السَّمَاءِ

٢ الفتح لابن أعثم ج ٥ ص ٦٧

فَكُنَّا نُجِيبُهُمْ بِهَذَا الْجَوَابِ: نَحْنُ مَقْتُولُونَ فِي الْحَالَتَيْنِ، نَحْنُ مُضْطَهَدُونَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، فَأَيَّ قِتْلَةٍ نَخْتَارُ؟

إِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، فَلَا تُظْلَمُ عَلَى شَيْءٍ يَسْتَحِقُّ. إِذَا كَانَ الْقَرَارُ مِنْ قِبَلِ الظَّالِمِينَ أَنْ نُقْتَلَ، وَهُمْ مَا ضُورَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، فَلَا مَضٍ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ.

هَذَا بِالضَّبْطِ مَا صَنَعَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام، فَهُوَ يَقُولُ لِسَانَ حَالِهِ: أَنَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ مَقْتُولٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ؛ لِأَنَّ الْوُصُولَ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ هُوَ الَّذِي يُشْعِلُ الثَّوْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْعَقَائِدِيَّةَ الَّتِي تَرْفُضُ الْبَاطِلَ، وَتَرْفُضُ الْجَوْرَ وَالطُّغْيَانَ وَالذُّلَّةَ. "هَيْهَاتَ مِنَّا الذُّلَّةُ"؛ مَبْدَأٌ عَظِيمٌ رَسَخَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي الْوُجْدَانِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَوْلَاهُ لَكَانَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ أَذِلَّةً.

لَقَدْ بَعَثَ الْإِسْلَامَ مِنْ جَدِيدٍ، وَبَعَثَ الرُّوحَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ جَدِيدٍ.

لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ؛ إِلَى آخِرِ لِحْظَةٍ كَانَ يُنَاجِزُهُمْ، كَانَ يَتَحَدَّاهُمْ، حَتَّى بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَهْلُ بَيْتِهِ وَجُرِّرُوا أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، وَبَقِيَ وَحِيدًا فَرِيدًا.. هَلِ اسْتَسَلِمَ؟ هَلِ بَايَعَ؟ هَلِ قَبِلَ الذُّلَّةَ؟ لَمْ يَقْبَلْ! وَصَلَ بِهَا إِلَى آخِرِ نُقْطَةٍ مُمَكِّنَةٍ فِي التَّحَدِّيِّ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ عليه السلام كَانَ مُسْتَهْدَفًا وَمُقَرَّرًا تَصْفِيَّتُهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

نقد موقف عبد الله بن جعفر وبغض المعاصرين

إنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، مِنْ قُصُورِ إِدْرَاكِه، لَمْ يَفْهَمْ كَيْفَ سَتَمِضِي السُّلْطَةُ الْأُمُويَّةُ، وَتَصَوَّرَ أَنَّ الْأُمُورَ سَتَعُودُ طَبِيعِيَّةً! مِثْلَ الْأَغْيَاءِ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِ الْعَامَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: "كَانَ الْمَفْرُوضُ أَلَّا يَتَصَلَّبَ الْحُسَيْنُ هَكَذَا، كَانَ الْمَفْرُوضُ أَنْ يُبَاعَ يَزِيدٌ وَتَنْتَهِيَ الْقَضِيَّةُ، وَيُنزَلَ عَلَى حُكْمِ يَزِيدٍ لِئَلَّا يُفَرِّقَ الْجَمَاعَةَ!". هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قَاصِرُونَ وَأَغْيَاءُ، مَا عَرَفُوا كُنْهَ الْحُسَيْنِ وَكُنْهَ ثَوْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الْمَجِيدَةِ، وَمَا عَرَفُوا أَصْلًا رِسَالَةَ الْحُسَيْنِ وَتَوَجُّهَهُ.

وَهَذَا أَحَدُ أَقْرَبَاءِ الْحُسَيْنِ يَتَكَلَّمُ هَكَذَا! وَهَذَا الرَّجُلُ لَمْ يَصِحَّ فِيهِ مَدْحٌ وَاحِدٌ فِي الرَّوَايَاتِ وَالْأَحَادِيثِ؛ فَلَا تَجِدُ مَدْحًا يَسْتَقِرُّ لَهُ.

وَحَتَّى بَعْضُ الْأَعْلَامِ الَّذِينَ تَصَوَّرُوا أَنَّ لَهُ جَلَالَتهُ، اعْتِمَادًا عَلَى بَعْضِ الرَّوَايَاتِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا تِلْكَ الرَّوَايَاتِ جَيِّدًا. فَمَثَلًا صَاحِبُ كِتَابِ مُعْجَمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ الْمُحَقِّقِ الْخُوَيْثِيِّ، بِمَاذَا يَسْتَشْهَدُ حِينَمَا يَتَعَرَّضُ لِتَرْجَمَةِ حَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ؟

يَسْتَنِدُ إِلَى رِوَايَةٍ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ الْخِصَالِ لِلشَّيْخِ الصَّدُوقِ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ مَعَ أَحَدِ الْيَهُودِ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَوَاطِنِ السَّبْعَةِ الَّتِي ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاخْتَبَرَهُ فِيهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله.

فَفِي الْمَوْطِنِ السَّادِسِ يَتَحَدَّثُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مُجْرِيَاتِ مَعْرَكَةِ صِفِّينَ،
وَيُبْدِي أَسْفَهُ لِحَيَانَةِ جُنْدِهِ فِي قَضِيَّةِ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ وَالتَّحْكِيمِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ
الْإِمَامُ لِمَاذَا لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْحَرْبِ رَغْمًا عَنْ أَنْوْفِهِمْ؟ يَقُولُ لِأَنَّهُ مَا بَقِيَ مَعِيَ
أَحَدٌ إِلَّا الْقِلَّةُ، وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَى هَذَيْنِ (الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ) أَنْ يُقْتَلَ
فَيَنْقَطِعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ كُنْتُ أَخْشَى عَلَى هَذَا وَهَذَا" (أَيُّ
مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ). فَالْمُحَقِّقُ الْخُوِيِّ يَقُولُ إِنَّ هَذَا دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّهُمَا مِنَ الصُّلَحَاءِ الْأَجَلَاءِ؛ إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْرِصُ عَلَى حَيَاتِهِمَا!
وَالْحَالُ أَنَّكَ لَمَّا تَرَجَعُ إِلَى نَصِّ الرَّوَايَةِ تَسْتَكْشِفُ أَنَّ ظَاهِرَهَا خِلَافٌ
هَذَا الْإِسْتِنْبَاطِ تَمَامًا؛ بَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَشْكَلَ عَلَى كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ يَذُمُّ بِهِ مُحَمَّدًا بْنَ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ.

دَعُونِي أَذْكَرُ النَّصَّ حَتَّى تَتَأَمَّلُوهُ؛ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَوَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَمْضِيَ
عَلَى بَصِيرَتِي^١ إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ يُقْتَلَ هَذَانِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فَيَنْقَطِعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَمَخَافَةَ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا

١ أي بصيرتي في الحرب.

لتعرف من أنت؟

وَهَذَا (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ)، فَإِنِّي أَعْلَمُ لَوْلَا مَكَانِي لَرَأَيْتُكَ الْمَوْقِفَ".^١

هَذَا مُشْعِرٌ بِذَمِّهِمَا؛ فَهُوَ يَقُولُ إِنَّهُمَا لَوْلَايَ لَمَا جَاءَا وَحَارَبَا، كَأَنَّهُمَا أُخْرِجَا بِأَنَّ زَعِيمَ أَهْلِ بَيْتِهِمَا قَدْ خَرَجَ لِلْقِتَالِ، فَلَا بُدَّ لَهُمَا، مِنْ بَابِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَبِيلِيَّةِ، أَنْ يَكُونَا مَعَهُ، وَإِلَّا عَيَّرَتْهُمَا الْعَرَبُ بِالْعَارِ وَقَالَتْ: كَيْفَ تَخُونُونَ زَعِيمَكُمْ؟ لِذَلِكَ قَالَ صِرَاحَةَ: "فَأِنِّي أَعْلَمُ أَنََّّهُمَا لَوْلَا مَكَانِي لَرَأَيْتُكَ الْمَوْقِفَ"; فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا دَافِعٌ ذَاتِي لِحُجَّتِهِمَا مُعَاوِيَةَ وَمُحَارَبَتِهِ، كَأَنَّهُمَا تَوَرَّطَا بِهِ. فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ نَسْتَشْعِرُ مِنْهَا أَنَّهَا أَدُلُّ عَلَى جَرَحِ هَذَيْنِ وَذَمِّهِمَا.

مَلَائِكَةُ الصَّالِحِينَ: الْمُلَازِمَةُ وَالنَّسْلِيْمَةُ لِلْمَعْصُومِ

وَالْحَقِيْقَةُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِنْدِي هُوَ كَمَا ذَكَرْتُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَسْتَكْشِفَ حَالَ شَخْصٍ: هَلْ هُوَ مِنَ الصُّلَحَاءِ أَمْ مِنَ الطُّلَحَاءِ؟ فَالْمَلَائِكَةُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَدَى مُلَازِمَتِهِ لِلْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَهَلْ كَانَتْ هُنَاكَ مُلَازِمَةً حَقِيْقِيَّةً أَمْ لَا؟

لِنَسَاءَلُ مَثَلًا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ؛ لَقَدْ كَانَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السُّنَنِ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَمْتَدَّ بِهِ الْعُمُرُ إِلَى زَمَانِ الْإِمَامِ

١ الخصال للشيخ الصدوق ص ٣٩٤

الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي كَانَ فِي عُمُرِ أَحْفَادِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، كَانَ جَابِرٌ مُلَازِمًا لَهُ،
يَذْهَبُ وَيَتَتَلَمَذُ عَلَى يَدَيْهِ، وَيُقْبَلُ يَدَيْهِ، وَيَخْضَعُ لَهُ.

وَمَوْضُوعُنَا هُنَا هُوَ التَّسْلِيمُ وَالْخُضُوعُ وَالْإِنْقِيَادُ؛ لَقَدْ كَانَ مُنْقَادًا وَمُسَلِّمًا
حَقًّا، عَارِفًا بِأَنَّهُمْ حُجَجُ اللَّهِ، فَسَلَّمَ لِكَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

أَمَّا فِي الْمُقَابِلِ، ابْتِنِي بِمَوْقِفِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَتَتَلَمَذُ فِيهِ عِنْدَ الْإِمَامِ السَّجَّادِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ عِنْدَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ! لَا يُوجَدُ!

نَعَمْ، حَضَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَ الْوَقْتِ، تَعَلَّمَ بِضَعِ
كَلِمَاتٍ، ثُمَّ خَلَطَهَا مَعَ رَوَايَاتِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَبَعْدَهَا
أَسَّسَ لِنَفْسِهِ "حَوْزَةً" مُسْتَقَلَّةً وَطَلَّابًا، وَرَفَعَ رَايَةَ الْعِلْمِ مُدَّعِيًا الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ.

فَلَمْ يَكُنْ مُلَازِمًا، وَلِذَا وَرَدَتْ فِيهِ مَذَمَاتٌ وَجُرْحٌ مِنْ قِبَلِ كَثِيرٍ مِنَ
الْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى سُمِّيَ بِالْحَائِنِ الْخَاسِرِ^١؛ ابْنُ عَبَّاسٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ بَعْضُ
الْجَهْلَةِ بِـ "حَبْرِ الْأُمَّةِ".

وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ؛ كَيْفَ كَانَ يَتَعَاطَلُ مَعَ الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ؟ أَيْنَ
تَجِدُ فِي سِيرَتِهِ مِثْلَ خُضُوعِ جَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ؟ لَا تَجِدُ.

١ في رجال الكشي ص ٣١٥: لقد طمع الحائِن - أي ابن عباس - في غير مطمع . وفي البحار ج ٦٢
ص ٢٩: " (لقد طمع الحائِن) أي ابن عباس، وفي بعض النسخ (الحائِن) وفي بعضها (الخاسر) ."

لتعرف من أنت؟

بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، رَأَيْنَا كِتَابَهُ الَّذِي يُخَاطِبُ بِهِ الْحُسَيْنَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ
الْكَاشِفَةِ عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُدْرِكًا أَنَّ الْحُسَيْنَ حُجَّةُ اللَّهِ وَوَاجِبُ الطَّاعَةِ،
وَلَا يَرَى أَنَّهُ مَعْصُومٌ يَتَلَقَّى الْأَوَامِرَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَّا لَمَا خَاطَبَهُ بِمَا
خَاطَبَهُ. نَاهِيكَ عَمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ أُمُورٍ أُخْرَى، كَاسْتِحْلَالِهِ لِسَمَاعِ
الْغِنَاءِ، وَهَذَا مُسْتَفِضٌ عَنْهُ؛ إِذْ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّهُ كَانَتْ عِنْدَهُ
جَوَارٍ يُغْنِينَ لَهُ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى جَارِيَةٍ لِتُغْنِيَّ لَهُ.

وَأَشِيرُ هُنَا إِلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ الْإِسْتِيعَابِ؛ حَيْثُ يَقُولُ:
"كَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَرَى بِسَمَاعِ الْغِنَاءِ بَأْسًا"!

وَلَا نَسْتَبْعِدُ هَذَا مِنْ شَخْصٍ لَا يُلَازِمُ الْأُمَّةَ ﷺ، بَلْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ تَعَامُلًا
"قَبْلِيًّا" أَوْ أُسْرِيًّا إِنْ جَازَ التَّعْيِيرُ؛ أَيُّ يُحْتَرَمُونَهِمْ لِكُونِهِمْ أَبْنَاءَ عُمُومَةٍ، لَا
مِنْ مُنْطَلَقِ دِينِيٍّ وَاعْتِقَادِيٍّ!

لَوْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ حَقًّا، لَتَعَلَّمَ أَوَامِرَ الشَّرِيعَةِ وَنَوَاهِيهَا، وَلَادْرَكَ أَنَّ
الْغِنَاءَ حَرَامٌ أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ لَتَوَرَّعَ عَنْهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَوَرَّعُ بَلْ لَا يَرَى بِهِ
بَأْسًا. هَذِهِ هِيَ مُشْكَلَةٌ غِيَابِ التَّسْلِيمِ. فَبَعْضُ أَقْرَبَاءِ الْمَعْصُومِينَ لَمْ يُسَلِّمُوا
لَهُمْ، مَعَ أَنَّ التَّسْلِيمَ مَأْمُورٌ بِهِ مِنَ اللَّهِ.

١ الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٧٦

نَقَرَأُ فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ رِوَايَةً عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام يَقُولُ فِيهَا: "أَمْرُ النَّاسِ بِمَعْرِفَتِنَا وَالرَّدِّ إِلَيْنَا وَالتَّسْلِيمِ لَنَا، ثُمَّ قَالَ: وَإِنْ صَامُوا وَصَلُّوا وَشَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَجَعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا إِلَيْنَا، كَانُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ" ١.

تُصَلِّي وَتَصُومُ ثُمَّ تُصْبِحُ مُشْرِكًا؟ نَعَمْ!

إِذَا جَعَلْتَ فِي نَفْسِكَ عَدَمَ الرَّجُوعِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَعَدَمَ التَّسْلِيمِ وَالْخُضُوعِ لَهُمْ. مُشْكَلُهُ بَعْضُ أَقْرَبَاءِ الْمُعْصُومِينَ كَانَتْ هَذِهِ؛ لِذَلِكَ خَذَلُوا الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ، وَتَعَامَلُوا مَعَ خُرُوجِهِ كَأَنَّهُ -نَعُودُ بِاللَّهِ- تَصَرَّفَ أَهْوَجَ أَوْ أَحْمَقَ، وَتَعَامَلُوا بِمَنْطِقِ الْمَقَاوِضَاتِ وَجَلَبِ الْأَمَانِ مِنْ يَزِيدَ. وَبَعْضُ الْمُخَالَفِينَ يَفْرَحُونَ بِهَذَا وَيَتَسَاءَلُونَ: كَيْفَ تُقْنَعُونَنَا بِعِصْمَتِهِمْ وَأَقْرَبَاؤُهُمْ مَا كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِعِصْمَتِهِمْ وَيُعَارِضُونَهُمْ؟

وَهَذِهِ مُعَالِطَةٌ سَاقِطَةٌ؛ فَهَلْ تَنْتَفِي بِنُبُوَّةِ نُوحٍ عليه السلام لِأَنَّ ابْنَهُ مِنْ صُلْبِهِ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ؟ وَهَلْ يُقَدِّحُ فِي نُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله لِأَنَّ عَمَّهُ أَبَا لَهَبٍ عَادَاهُ؟ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَقْرَبَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، تَرُدُّهُمْ لَا يُبْطَلُ مَقَامَ الْحُجَّةِ.

نموذج الإتياد الحق: علي بن جعفر وتسليمه لإمامه!

على الجانب الآخر، لم يكن كل أقرباء الحسين والمعصومين على هذه الشاكلة، بل كان كثير منهم مقرين بالإمامة وخاضعين لحجج الله.

السيد الجليل علي بن جعفر ابن الإمام الصادق عليه السلام، هذا الرجل العظيم ابن إمام، وأخو إمام، وعم إمام، ومن كبار فقهاء أهل البيت. نحن نقدره لأنه كان مسلماً حقاً: خضع لأبيه فلم يتمرد، وخضع لأخيه الكاظم، وسلم لإمامة الرضا، ولما استشهد الرضا، وتولى الإمام الجواد وهو في عمر الثمان سنين!

كان علي بن جعفر شيخاً هريماً، في حين كان الإمام الجواد صبياً في عمر أحفاده، ومع ذلك خضع له.

عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «يا عم اجلس رحمك الله»، فقال: «يا سيدي كيف اجلس وأنت قائم؟» فلما رجع علي بن

جَعْفَرٍ إِلَى مَجْلِسِهِ جَعَلَ أَصْحَابُهُ يُوبِّخُونَهُ وَيَقُولُونَ: «أَنْتَ عَمُّ أَبِيهِ وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِ هَذَا الْفِعْلَ؟» فَقَالَ: «اسْكُتُوا، إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَبَضَ عَلَيَّ لِحْيَتِهِ - لَمْ يُؤْهِلْ هَذِهِ الشَّيْبَةَ، وَأَهْلَ هَذَا الْفَتَى، وَوَضَعَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، أَنْكُرُ فَضْلَهُ؟! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا تَقُولُونَ، بَلْ أَنَا لَهُ عَبْدٌ».

فَهَكَذَا يَكُونُ التَّسْلِيمُ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِمَامُ الْجَوَادُ يَدْعُو لَهُ دَائِمًا: "رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عَمُّ".

خِصَّةُ التَّخَاذُلِ! مَوْقِفُ عُمَرَ الْأَطْرَفِ مِنْ نَهْضَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَقَدْ تَأَلَّمْنَا مِنْ مَوْقِفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَمِّ الْحُسَيْنِ، وَلَكِنَّ الْأَلَمَ الْأَشَدَّ أَنْ يَخْذُلَهُ أَخُوهُ مِنْ صُلْبِ أَبِيهِ! لَا أَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ هُنَا، بَلْ أَخًا آخَرَ بَلَغَ مِنَ الْخِصَّةِ - بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعْنَى - أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِنَبَأِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ مُتَبَجِّحًا: "أَنَا الْغُلَامُ الْحَازِمُ، لَوْ خَرَجْتُ مَعَهُ لَكُنْتُ قُتِلْتُ!" يَتَمَدَّحُ بِنَجَاتِهِ، كَأَنَّمَا نَجَا مِنْ مَهْلَكَةٍ!

هَذَا الرَّجُلُ هُوَ "عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ" الْمَعْرُوفُ بِـ "عُمَرَ الْأَطْرَفِ". كَمَا أَنْجَبَ نُوحٌ عليه السلام ابْنًا عَاقًا خَسِيسًا، أَنْجَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَذَا الْإِبْنَ الَّذِي خَذَلَ أَخَاهُ رَغْمَ إِظْهَارِهِ الْإِحْتِرَامَ. وَكَانَ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ - مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ

لتعرف من أنت؟

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ - أَنَّ الْحُسَيْنَ سَيِّسَتْشُهُدُ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ سَيَفُوزُ
فَوْزًا عَظِيمًا، وَكَانَ يَبْكِي وَيَشْهَقُ عِنْدَ سَمَاعِ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ أَبْطَنَ خِصَّةً وَنَدَالَهً
فَرَفَضَ تَلْبِيَةَ نِدَاءِ أَخِيهِ حِينَ دَعَاهُ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ.

هُنَالِكَ كِتَابٌ لِأَحَدِ عَمَالِقَةِ النَّسَابِينَ الْعَلَوِيِّينَ، اسْمُهُ الشَّافِي فِي النَّسَبِ،
لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْعَلَوِيِّ الْعُمَرِيِّ (سُمِّيَ بِالْعُمَرِيِّ
لِأَنَّهُ يَنْتَهِي فِي نَسَبِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ ذَاتِهِ). هَذِهِ الرَّوَايَةُ الَّتِي يَنْقُلُهَا الْعُمَرِيُّ
فِي كِتَابِهِ، أَوْ رَدَّهَا السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) فِي كِتَابِهِ اللَّهْفُوفُ فِي قَتْلِ
الطُّفُوفِ، حَيْثُ يَقُولُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي عُمَرَ
بْنَ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ يُحَدِّثُ أَخْوَالِي آلَ عَقِيلٍ قَالَ:

"لَمَّا امْتَنَعَ أَخِي الْحُسَيْنُ عَنِ الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ بِالْمَدِينَةِ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ
خَالِيًا، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَخُوكَ أَبُو مُحَمَّدٍ
الْحَسَنُ عَنْ أَبِيهِ، ثُمَّ سَبَقْتَنِي الدَّمْعَةُ، وَعَلَا شَهِيْقِي، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ وَقَالَ:

حَدَّثَكَ أَنِّي مَقْتُولٌ؟ فَقُلْتُ: حُوشِيَتْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَقَالَ: سَأَلْتُكَ بِحَقِّ
أَبِيكَ، بِقَتْلِي خَبْرَكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَلَوْلَا نَاوَلْتُ^١ وَبَايَعْتُ^٢!
فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام "حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ
وَقَتْلِي، وَأَنَّ تُرْبَتِي تَكُونُ بِقُرْبِ تُرْبَتِهِ، فَتَظُنُّ أَنَّكَ عَلِمْتَ مَا لَمْ أَعْلَمْهُ؟! إِنَّهُ
لَا أُعْطِيَ الدِّينِيَّةَ مِنْ نَفْسِي أَبَدًا، وَتَلْتَقِينَ فَاطِمَةَ أَبَاهَا شَاكِيَةً لِمَا لَقِيَتْ ذُرِّيَّتَهَا
مِنْ أُمَّتِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ آذَاهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا"^٣.

١ وقد تُقرأ: فلولا تأولت، أي أن تجد لنفسك مخرج شرعي، كأن تتقي.

٢ وهذا يدل على مدى سطحية تفكيره؛ فهو يسمع الأخبار الغيبية بقتل الحسين حتمًا، ثم يقول له
"فلولا ناولت أو تأولت وبايعت"، وكأنه يريد للحسين أن يمضي خلاف مشيئة الله وقضائه الذي
لا يُردُّ! وما يشابهه هذا ما روي في مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني (طاب ثراه) ج ٣ ص ٤١
ما نصّه: "روي أنّ أمير المؤمنين، كلّما رأى عبد الرحمن بن ملجم المرادي - لعنه الله - قال لمن
حوّله: هذا قاتلي. فقال له قائل: أفلا تقتله، يا أمير المؤمنين؟ فقال: كيف أقتل قاتلي؟! كيف أؤدُّ
قضاء الله سبحانه؟!"

٣ اللهوف في قتلى الطفوف ص ١٩

لتعرف من أنت؟

لَقَدْ كَانَ الْحُسَيْنُ مُطَّلَعًا عَلَى قَدْرِهِ، فَمَعَهُ وَصِيَّةٌ مَحْتُمَةٌ فِيهَا أَوْامِرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشِرَةً أَنْ يَمْضِيَ وَمَنْ مَعَهُ لِلشَّهَادَةِ، فَقَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يُذْبَحَ الْحُسَيْنُ لِيَحْيَا الدِّينُ، وَأَنْ تُرَوَى شَجَرَةُ الْإِسْلَامِ بِدِمَائِهِ الطَّاهِرَةِ.

فِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، سَتَقِفُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَيَبِيدُهَا مِلْفٌ شَكْوَى، دَعَاؤِي مُحْكَمَةٌ ضِدَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَتَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبْتَاهُ.. تَعَالَى لَتَرَى مَاذَا صَنَعْتُ أُمَّتَكَ بِي وَبِذُرِّيَّتِي مِنْ بَعْدِكَ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ مَنْ يَنْقُلُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ هُوَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بِنَفْسِهِ لِابْنِهِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ تَأَثَّرَ حِينَ سَمِعَهُ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ الْمَالَ بِوُضُوحٍ. فَإِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ دَعَاكَ لِنَصْرَتِهِ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقِفَ عَلَى الصُّورَةِ السُّودَاوِيَّةِ الْخَسِيسَةِ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَاقْرَأْ مَا رَوَاهُ ابْنُ عِنَبَةَ فِي كِتَابِهِ عُمْدَةُ الطَّالِبِ فِي أَنْسَابِ آلِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو نَصْرِ الْبُخَارِيُّ فِي سِرِّ السُّلْسِلَةِ الْعُلَوِيَّةِ.

١ روى ثقة الإسلام الكليني عليه الرحمة ج ١ ص ٣٢٧ عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتابا، ليرينزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاب محتوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا محمد هذه وصيتك في أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وميراثه لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم... فلما توفي الحسن ومضى فتح الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عَلَيْهِ السَّلَامُ...

يَقُولُ هَذَا الْأَخِيرُ فِي تَرْجَمَةِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَا لَفْظُهُ: «دَعَاهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ، فَلَمَّا أَتَاهُ مَصْرَعُهُ^١ خَرَجَ فِي مَعْصِرَاتٍ لَهُ^٢ وَجَلَسَ بِفِنَاءِ دَارِهِ، يَقُولُ: أَنَا الْغُلَامُ الْحَازِمُ، وَلَوْ خَرَجْتُ مَعَهُمْ لَذَهَبْتُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَقُتِلْتُ»^٣.

تَأَمَّلُوا مَنْطِقَ هَذَا الرَّجُلِ! بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْصَبَ سُرَادِقَ الْعَزَاءِ عَلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَبْكِي وَيُبْدِيَ لَوْعَتَهُ، يَخْرُجُ مُتَزَيِّنًا بِثِيَابٍ فَآخِرَةٍ وَيَجْلِسُ فِي فِنَاءِ دَارِهِ يَتَلَقَّى التَّهَانِي بِسَلَامَتِهِ! يَقُولُ مُتَبَجِّحًا: "أَنَا الْغُلَامُ الْحَازِمُ"، أَيُّ أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَفْهَمُ جَيِّدًا حِينَ رَفَضْتُ الذَّهَابَ لِلْمَهْلَكَةِ! هُوَ يَعْتَبِرُ اسْتِشْهَادَهُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ خَسَارَةً، وَهُوَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ.

مِيزَانُ التَّفَاضُلِ: الْإِنْقِيَادُ لَا النَّسَبُ الْمُجَرَّدُ

لَوْ وَازَنْتَ الْآنَ بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ، وَبَيْنَ عَبْدِ زَنْجِيٍّ أَسْوَدَ كَـ"جَوْنٍ" رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، بَلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ الْمَعْصُومَ صَلَّى عَلَيْهِ - فَأَيُّهُمَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ هَذَا

^١ أَيُّ بَلَّغَهُ نَبَأُ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ

^٢ الثِّيَابُ الْمَصْبُوغَةُ بِالْوَانِ زَاهِيَةٌ كَالْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ وَالْوَرْدِيِّ

^٣ سرّ السلسلة العلوية لأبو نصر البخاري ص ٩٧، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ص ٣٦٢.

لتعرف من أنت؟

الْعَبْدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ؛ بَلْ لَا مَجَالَ لِلْقِيَاسِ أَصْلًا، لِأَنَّ الثَّانِي هَالِكٌ.

يَقُولُ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا زَنَجِيًّا تَعَصَّبَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ نُصْرَتُهُ مُوَازَرَتَهُ»^١. فَأَحْيَانًا يَكُونُ الْعَبْدُ الزَّنَجِيُّ أَعْظَمَ مَقَامًا مِنَ السَّادَةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. فَلَا تَغْتَرُّوا بِالْمَظَاهِرِ؛ كَأَنَّ تَرَوْا رَجُلًا يَعْتَمُّ بِعِمَامَةٍ كَبِيرَةٍ وَيُدْعَى بِالسَّيِّدِ، فَإِذَا كَانَ مُنْحَرِفًا عَنِ مَنَهْجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام فَلَا قِيَمَةَ لَهُ. بَيْنَمَا تَجِدُونَ رَجُلًا آخَرَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ، كَجَنُوبِ إِفْرِيقِيَا مَثَلًا، يَمِثِّي عَلَى مَنَهَاجِ الْأُمَّةِ الطَّاهِرِينَ، فَهَذَا الْإِفْرِيقِيُّ يُوَضِّعُ عَلَى الرَّؤُوسِ إِجْلَالًا، وَذَاكَ أَبْنَاءُ السَّادَةِ الْمُعَانِدُ الْمُنْحَرِفُ يُوْطَأُ بِالْأَقْدَامِ وَلَا كَرَامَةَ.

هَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي عَلَّمَنَا إِيَّاهُ الْأُمَّةُ الْأَطْهَارُ، إِذَا كَانَ الشَّخْصُ مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُوَ عَلَى مَنَهَاجِهِمْ، فَهُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ. أَمَّا إِذَا تَنَكَّبَ عَنِ طَرِيقِهِمْ، فَهُوَ مِنْ أَلْدِّ أَعْدَائِهِمْ، كَعَمَرَ الْأَطْرَفِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي نَحْنُ لَا نَحْتَرِمُهُ. وَفِي الْمُقَابِلِ، قَدْ نَجِدُ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ -أَعْدَى أَعْدَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ- وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُسْلِمًا مُطِيعًا لَهُمْ، جَعَلُوهُ مِنْهُمْ، كَسَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

١ عوالم العلوم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام - ص ٦٨٦

الأمويي (سعد الخير)، الذي قال له الإمام الباقر عليه السلام: «أنت أموي من أهل البيت»^١. فهذا نضعه على رؤوسنا إجلالاً لتسليمه.

تطاؤل عمر الأظرف على الإمام زين العابدين

إن تاريخ عمر الأظرف تاريخ مليء بالحسنة إلى آخر يوم في حياته. لم يكتف بخذلان الحسين، بل تمادى إلى أن آذى الإمام زين العابدين عليه السلام وشمته، وذهب يتحاكم إلى الطاغوت وسلطين بني أمية لينزع الإمام زين العابدين في "الصدقات".

كان يقول: "كيف يتولى علي بن الحسين هذه الصدقات وأنا أكبر منه؟ أنا سيده ولست مسوده! لماذا يتولى هو توزيع صدقات علي بن أبي طالب وخراج حيطانه وبساتينه وأنا أولى بها؟".

ومن أجل ذلك، ذهب ليشكو الإمام عند عبد الملك بن مروان! لنقرأ ما جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب يقول: «يروى أن عمر بن علي خاصم علي بن الحسين إلى عبد الملك في صدقات النبي وأمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ابن المتصدق، وهذا ابن ابنه، فأنا أولى بها منه. فتمثل عبد الملك بقول ابن الحقيق:

١ الاختصاص للمفيد ص ٩٧

لَا تَجْعَلِ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا

تُلْطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ^١.

قُمْ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدْ وَلَّيْتَكَهَا، قَامَا، فَلَمَّا خَرَجَا تَنَاوَلَهُ عُمَرُ، وَأَذَاهُ فَسَكَتَ عَنْهُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ عَلَى عَلِيِّ الْحُسَيْنِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَكَبَّ عَلَيْهِ يُقْبَلُهُ^٢، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا ابْنَ عَمِّ، لَا تَمْنَعَنِي قَطِيعَةً أَبِيكَ أَنْ أَصِلَ رَحِمَكَ، فَقَدْ زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي خَدِيجَةَ بِنْتَ عَلِيٍّ^٣.

إِنَّ هَذِهِ الْخُسَاسَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ بَعْضِ أَقْرَبَائِهِمْ هِيَ مِصْدَاقٌ لِمَا قَالَهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام فِي رِوَايَةٍ أوردَهَا الطَّبْرَسِيُّ فِي كِتَابِ الْاِحْتِجَاجِ: «لَيْسَ مِنَّا إِلَّا وَلَهُ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^٤. هَكَذَا تَعَرَّضَ أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام لِلْمِحَنِ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ.

١ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُشِيرُ بِهَذَا الشُّعْرِ إِلَى بَطْلَانِ كَلَامِ عُمَرَ؛ فَالْأَمْرُ وَصِيَّةٌ بَعْدَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ أَوْصَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَى لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَالْحُسَيْنُ أَوْصَى لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ. كَانَتْ هَذِهِ حِكْمَةٌ مِنْهُمْ لِيُعْرَفَ مَنْ هُوَ الْإِمَامُ، فَالْمَوْصَى بِشُؤْنِ الصَّدَقَاتِ يَكُونُ هُوَ الْإِمَامُ.

٢ يَبْدُو أَنَّ مُحَمَّدًا هَذَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا يَسْتَحِي مِنْ تَصَرُّفَاتِ وَالِدِهِ.

٣ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٨.

٤ الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٣٧.

مِنْ هُنَا أَقُولُ: أَيَّ آلَامٍ عَظِيمَةٍ كَانَ يَحْمِلُهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ فِي قَلْبِهِ؟
 أَنْ تَتَخَيَّلَ حَجْمَ الْهَمِّ! خِذْلَانٌ مِنْ جِهَةِ الْأُمَّةِ، وَخِذْلَانٌ مِنْ جِهَةِ مَنْ زَعَمُوا
 أَنَّهُمْ شِيعَتُهُ وَقَالُوا لَهُ: أَقْبِلْ، إِنَّمَا تُقْبِلُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ، ثُمَّ تَخَلَّوْا عَنْهُ،
 وَخِذْلَانٌ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، بَلْ مِنْ أَخِيهِ! أَيُّ وَجَعٍ كَانَ يَعْتَصِرُ قَلْبَهُ
 الشَّرِيفَ؟

لِذَا تَعْرِفُونَ الْآنَ قِيَمَةَ وَسَبَبَ اعْتِزَالِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَخِيهِ أَبِي
 الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بِوَقْفَتِهِ الْبُطُولِيَّةِ، وَأُخُوَّتِهِ الصَّادِقَةِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ
 الْحَسَنِ وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَقْرِبَاءِ الْإِمَامِ الَّذِينَ رَفَضُوا إِلَّا أَنْ يَمْضُوا
 عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ.

لَمَّا جَاءَ الشُّمْرُ لِيَعْرِضَ الْأَمَانَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَإِخُوَّتِهِ قَائِلًا: أَنَا آتِيكُمْ
 بِالْأَمَانِ! صَرَخُوا فِي وَجْهِهِ بِأَعْظَمِ مَوَاقِفِ الْمَوَاسَاةِ: «وَيْحَاكَ! وَابْنُ رَسُولِ
 اللَّهِ لَا أَمَانَ لَهُ؟!». هَذِهِ هِيَ الْمَوَاقِفُ الْبُطُولِيَّةُ، وَهَذِهِ هِيَ مُوَاسَاةُ الْأَخِ
 لِأَخِيهِ! مِنْ هُنَا تَعْرِفُونَ عَظَمَةَ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي قِبَالِ خِصَّةِ أَوْلِيكَ الْمُتَخَاذِلِينَ.

وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الْمِيزَانَ الْأَوْحَدَ هُوَ هَذَا: مَنْ الَّذِي كَانَ مُسَلِّمًا، وَمُطِيعًا
 حَقًّا، وَخَاضِعًا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ وَلِلْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ؟ وَمَنْ الَّذِي كَانَ هُوَ
 الْمُتَمَرِّدُ؟ فَسَلَامٌ عَلَى أَوْلِيكَ السَّادَةِ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ.

لتعرف من أنت؟

وَإِنَّ الْأُولَىٰ بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ *** تَأَسَّوْا فَسَنُورِ الْكِرَامِ التَّاسِيَا
فَابْكُوا عَلَىٰ سَيِّدِكُمْ، وَابْكُوا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأُولَىٰ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ﷺ!

الحسين عليه السلام.. التطهير القهقرايے

دَمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَائِزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

كَانَ دَمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَزَالُ، مَائِزًا بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَبَيْنَ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ. إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى قَضِيَّةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَتَأَبَّهُ مَشَاعِرُ الْغَضَبِ مِنْ ظُلْمِهِ وَقَتْلِهِ وَاسْتِبَاحَةِ حُرْمَتِهِ؛ فَيَغْضَبُ - إِنْ كَانَ سَوِيَّ الْفِطْرَةِ - عَلَى يَزِيدَ، وَعَلَى سَائِرِ مَنْ اتُّمِرَ بِأَمْرِ يَزِيدَ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِنَّ هَذَا النَّاطِرَ - أَوِ الْبَاحِثَ - لَا تَتَوَقَّفُ مَشَاعِرُ غَضَبِهِ عَلَى يَزِيدَ فَحَسَبُ، بَلْ إِنَّهُ يُفْتَشُّ وَيَبْحَثُ عَمَّنْ جَاءَ بِيَزِيدَ، وَمَنْ مَكَّنَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى اسْتَبَاحَ حُرْمَةَ سَبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَيَغْضَبُ هَذَا الْبَاحِثُ النَّاطِرُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا).

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْبَاحِثَ النَّاطِرَ، إِذَا كَانَ مَدْفُوعًا بِدَافِعِ الْغَيْرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ أَيْضًا، بَلْ يَبْحَثُ عَمَّنْ مَكَّنَ مُعَاوِيَةَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَصِلُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ) الَّذِي وَلَّى مُعَاوِيَةَ

عَلَى الشَّامِ، فَتَتَابُ هَذَا الْبَاحِثَ النَّازِرَ السَّوِيِّ مَشَاعِرُ الْغَضَبِ عَلَى عُمَرَ، وَيَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ مَنْ مَكَنَ عُمَرَ، فَيَرَى أَبَا بَكْرٍ الطَّاعِيَةَ الْأَوَّلَ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، فَيَغْضَبُ عَلَيْهِ، وَحِينَذَاكَ يَبْرَأُ مِنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ، وَيُوَالِي أُمَّةَ الْإِسْلَامِ الشَّرْعِيِّينَ مِنْ آلِ الرَّسُولِ الْمُخْتَارِ ﷺ.

إِنَّ هَذَا يُمَثِّلُ أَحَدَ أَهَمِّ أَهْدَافِ ثَوْرَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ؛ أَنْ يَتَطَهَّرَ فِكْرُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ، وَعَلَى نَحْوِ التَّطْهِيرِ الْقَهْقَرَائِيِّ، فَيَتَبَدَّدَ كُلُّ وَهْمٍ فِي فِكْرِ هَذَا الْإِنْسَانِ عَنْ شَخْصِيَّاتِ الزَّمَنِ الْغَابِرِ، عَنْ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ انْقَلَبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَحَدُوا وَصِيَّتَهُ فِي عَثْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ ﷺ.

دَمُ الْحُسَيْنِ هُوَ هَذَا الْمَائِزُ الَّذِي يَجْعَلُكَ تُمَيِّزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ. وَلَوْلَا هَذَا الدَّمُ لَضَاعَ هَذَا الْمَائِزُ، وَلَوْلَا هَذَا الْمَائِزُ لَضَاعَ الدِّينُ كُلُّهُ. وَلَكِنَّا نَحْنُ -مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ- بِسَبَبِ تَضْحِيَةِ الْحُسَيْنِ ﷺ أَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ أَوْلِيَّكَ الْمَخْدُوعِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا إِسْلَامًا زَائِفًا، احْتِرَامًا مِنْهُمْ لِتِلْكَ الشَّخْصِيَّاتِ الْغَابِرَةِ الْمُنَافِقَةِ الَّتِي تَسَلَّطَتْ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ وَصَنَعَتْ دِينًا حُكُومِيًّا يَخْتَلِفُ عَمَّا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

إِنَّ دَمَ الْحُسَيْنِ هُوَ الْمَائِزُ الْمُطَهَّرُ الَّذِي يُطَهِّرُ نَفُوسَنَا وَفِكْرَنَا؛ فَتَضْحِيَةُ الْحُسَيْنِ ﷺ هِيَ الَّتِي نَقَّتْ مَا فِي الْأَجْوَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ ضَلَالٍ عَبْرَ

لتعرف من أنت؟

العُصُورِ. وَلَا يَزَالُ هَذَا الدَّمُ الشَّرِيفُ الطَّاهِرُ يُمَارِسُ دَوْرَهُ - إِنْ جَازَ التَّعْيِيرُ - فِي هَذَا التَّطْهِيرِ، وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَكْتَشِفُ هَذِهِ الْحُدَيْعَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا حِينَ تَتَأَثَّرُ بِمَظْلُومِيَّةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْحَزِينَةِ. فَيَجْرُهَا الْأَمْرُ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ سَبَبِ وَدَوَاعِي وَقُوعِ هَذِهِ الْفَاجِعَةِ، فَتَرْتُدُّ الْأُمَّةُ عَنِ كُلِّ مَنْ ارْتَدَّ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَعَنْ كُلِّ مَنْ ارْتَدَّ عَنِ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. كُلُّ ذَلِكَ لِنَعْرِفَ قِيَمَةَ هَذَا الدَّمِ الطَّاهِرِ، وَلِنَعْرِفَ قِيَمَةَ هَذِهِ التَّضْحِيَّةِ الْعَظِيمَةِ.

سِيَّاسَةُ كِثْمَانَ الْحَقَائِقِ وَعَلْقُ بَابِ الْبَحْثِ

إِنَّ مُحَالَفِينَا مَا عَرَفُوا هَذِهِ الْقِيَمَةَ وَلَا قَدَّرُوهَا؛ فَقَدْ أَصَرَ كِبْرًاؤُهُمْ عَلَى إِغْلَاقِ هَذَا الْبَابِ، بَابِ الْبَحْثِ وَالتَّفْتِيْشِ عَمَّنْ أَسَسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْبَحْثِ عَمَّنْ تَسَبَّبَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَأَدَّى إِلَى هَذِهِ النَّتِيْجَةِ الْبَشِيعَةِ. أَغْلَقُوا الْبَابَ، وَمَا زَالُوا يُغْلِقُونَهُ؛ خَوْفًا مِنْهُمْ مِنْ أَنْ يُؤَدِّيَ فَتْحُ هَذَا الْبَابِ إِلَى اكْتِشَافِ الْحَقِيقَةِ؛ بِأَنَّ يَزِيدَ ظَلَمَ الْحُسَيْنَ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَمَنْ جَاءَ بِيَزِيدَ وَوَلَّاهُ هُوَ مُعَاوِيَةُ فَيَجِبُ الْبَرَاءَةُ مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَمَنْ جَاءَ بِمُعَاوِيَةَ وَوَلَّاهُ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَمَنْ جَاءَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَوَلَّاهُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ فَيَجِبُ الْبَرَاءَةُ مِنْ

أَبِي بَكْرٍ. أَرَادُوا مِنَ الْبِدَايَةِ إِغْلَاقَ الْبَابِ؛ وَلِذَلِكَ قَامَ بَعْضُ مِنْهُمْ بِتَحْرِيمِ
التَّعْرُضِ لِيَزِيدَ.

انقسام المخالفين في يزيد

أَنَّ مُخَالَفِينَ انْقَسَمُوا تَقْرِيبًا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنْ يَزِيدَ:

١. الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: قِسْمٌ وَافِقْنَا، فَبَرِيٌّ مِنْ يَزِيدَ وَلَعَنُوهُ وَجَرَّمُوهُ وَأَثَمُوهُ.
٢. الْقِسْمُ الثَّانِي: أَثَمَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، وَوَقَفَ مَوْقِفًا مُتَذَبِّبًا، كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالذَّهَبِيِّ وَغَيْرِهِمْ..
٣. الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: قِسْمٌ بَلَغَ مِنْهُ الْعِنَادُ وَالْوَقَاحَةُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ يَزِيدَ، وَهَؤُلَاءِ قَلَّةٌ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا قَلَّةً بَيْنَ الْمُخَالَفِينَ- حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ يَزِيدَ مُفْتَرِيٌّ عَلَيْهِ. يَزِيدٌ لَمْ يَكُنْ فَاسِقًا، وَأَمَّا قَتْلُهُ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَكُنْ رَاغِبًا فِيهِ، وَإِنَّمَا أَمَرَ أَنْ يُمْنَعَ الْحُسَيْنُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ هُوَ الَّذِي تَسَرَّعَ وَقَتَلَ الْحُسَيْنَ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ يَزِيدٌ رَاضِيًا بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ لَمَّا بَلَغَهُ مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ بَكَى وَتَأَثَّرَ وَتَأَلَّمَ وَلَعَنَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ! هَذَا مَا يَرَوْنَهُ هُمْ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ.

المعايير المزدوجة في محاكمة الطغاة

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، وَإِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ لِيَبْرُتُوا يَزِيدَ وَيُنْزَهُوهُ عَنِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الْعُظْمَى، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، إِذَا لِمَاذَا حَاكَمْتُمْ حُسَيْنِي مُبَارَكًا؟! أَلَمْ يَكُنْ حُسَيْنِي مُبَارَكًا غَيْرَ رَاضٍ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الثَّوَارِ فِي مَيْدَانِ التَّحْرِيرِ؟ هَلْ كَانَ هُوَ رَاضِيًا؟

إِنَّهُ يُنْكِرُ وَيَقُولُ: «أَنَا لَمْ أَقْتُلْهُمْ وَلَمْ أَكُنْ رَاضِيًا»، وَلَيْسَ هُنَالِكَ دَلِيلٌ وَاحِدٌ مَلْمُوسٌ عَلَى أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، كَأَن يَكُونَ هُنَاكَ قَرَارٌ مَخْتَوْمٌ أَوْ مَوْقِعٌ مِنْ قَبْلِهِ، يَأْمُرُ فِيهِ أَفْرَادَ الْجَيْشِ أَوْ الشَّرْطَةِ بِأَن يَقْتُلُوا هَؤُلَاءِ الثَّوَارِ. لَا يُوْجَدُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلِمَاذَا إِذَا تُحَاكَمُونَهُ وَلِمَاذَا جَرَمْتُمُوهُ؟!

تَقُولُونَ: «إِنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ تَقْتَضِي ذَلِكَ؛ فَالشيءُ وَقَعَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ، وَلَمْ يَتَدَخَّلْ، وَلَمْ يَعِزْلْ، وَلَمْ يُحَاسِبِ الْقَاتِلِينَ، فَإِذَا هُوَ أَيْضًا يَتَحَمَّلُ، هَذِهِ الدِّمَاءَ فِي رَقَبَتِهِ». نَفْسُ هَذَا الْمَنْطِقِ، وَهَذَا الْمِعْيَارِ الْمِكْيَالِ، لِمَاذَا لَا تُحَسِبُونَهُ عَلَى يَزِيدَ؟! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ يَزِيدَ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ وَأَنَّهُ قَدْ أَبْدَى أَسْفَهُ وَنَدَمَهُ؛ فَأَيْنَ مُحَاسَبَتُهُ لِلْقَاتِلِينَ؟ لِمَاذَا لَمْ يَأْمُرْ بِالْقِصَاصِ؟ لِمَاذَا لَمْ يَقْتُلْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الَّذِي أَمَرَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ لِمَاذَا لَمْ يَقْتُلْ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ؟ لِمَاذَا لَمْ يَقْتُلْ شَمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ؟ لِمَاذَا لَمْ

يَقْتُلُ حَرَمَلَةً؟ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَكَالَبُوا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ عليه السلام، وَعَلَى
أَطْفَالِهِ، وَعَلَى نِسَائِهِ، وَعَلَى رِجَالِهِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ؛ لِمَاذَا لَمْ يُحَاسِبْنَهُمْ؟
مَا دَامَ لَمْ يُحَاسِبْنَهُمْ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى مَنَاصِبِهِمْ، إِذَا فَهُوَ شَرِيكَ فِي تِلْكَ الدَّمَاءِ.
إِنَّ الْمَعَايِرَ الَّتِي عِنْدَ أَهْلِ الْخِلَافِ، هِيَ مَعَايِيرُ أَهْوَائِيَّةٍ رَاجِعَةٌ إِلَى الْهَوَى،
وَلَيْسَتْ رَاجِعَةٌ إِلَى الْقَوَانِينِ الثَّابِتَةِ الصَّارِمَةِ.

هَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ لَا يَسْتَحِي أَبَدًا فِي أَنْ يُدَافِعَ عَن زَيْدٍ وَيُنَافِحَ عَنهُ
بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ.

الْخَوْفُ مِنَ التَّشْيِيعِ (عُقْدَةُ الرِّوَاغِضِ)

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ الثَّلَاثِ، مَنْ هُوَ جَاحِدٌ وَقَدِ اسْتَيْقَنَ مِنْ جُرْمِ زَيْدٍ،
مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾^١، يَعْنِي هُوَ
عَالِمٌ بِأَنَّ زَيْدًا مُسْتَحِقٌّ لِلْعَنَةِ، وَلَكِنْ لِمَاذَا يَمْنَعُ مِنْ لَعْنِهِ؟

إِنَّهُ يُقِرُّ وَيَعْتَرِفُ بِصِرَاحَةٍ أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ لَعْنِهِ وَيَسُدُّ هَذَا الْبَابَ، خَوْفًا مِنْ
أَنْ يَجْرَهُ لَعْنُ زَيْدٍ إِلَى لَعْنِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْ زَيْدٍ! مِنْ هَؤُلَاءِ: «التَّفْتَازَانِيُّ»،
الْعَالِمُ الْبَكْرِيُّ الْمَعْرُوفُ، شَارِحُ كِتَابِ الْمَقَاصِدِ، فِي كِتَابِهِ شَرَحَ الْمَقَاصِدِ
يَقُولُ: «فَإِنْ قِيلَ: فَمِنْ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ مَنْ لَا يُجَوِّزُ اللَّعْنَ عَلَى زَيْدٍ مَعَ

لتعرف من أنت؟

عَلِمِهِمْ بَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَا يَرْبُو عَلَى ذَلِكَ وَيَزِيد. قُلْنَا: تَحَامِيًّا عَنِ أَنْ يُرْتَقَى إِلَى
الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى، كَمَا هُوَ شِعَارُ الرَّوَافِضِ عَلَى مَا يُرَوَى فِي أَدْعِيَتِهِمْ، وَيَجْرِي
فِي أُنْدِيَتِهِمْ. فَرَأَى الْمُعْتَنُونَ بِأَمْرِ الدِّينِ الْجَامِ الْعَوَامَّ بِالْكُلِّيَّةِ، طَرِيقًا إِلَى
الِاِقْتِصَادِ فِي الْاِعْتِقَادِ^١.

إِنَّهُ اعْتَرَفَ يُدِينُ الْمِلَّةَ الْبَكْرِيَّةَ إِدَانَةً فَاضِحَةً. هُوَ يَقُولُ بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ
إِنْ يَزِيدَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَنَةِ، فَلِمَاذَا تُفْتِي بِحُرْمَةِ لَعْنِهِ؟

يَقُولُ: تَحَامِيًّا مِنْ أَنْ يُرْتَقَى إِلَى الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى؛ لِأَنَّنا إِذَا فَتَحْنَا هَذَا الْبَابَ
أَمَامَ الْعَوَامِّ فَلَمْ يُلْجَمُوا، فَسَيَلْعَنُونَ يَزِيدَ، وَمِنْ ثَمَّ يَبْحَثُونَ عَمَّنْ وَلَّى يَزِيدَ،
وَمِنْ ثَمَّ يَلْعَنُونَ مُعَاوِيَةَ، وَيَصْعَدُونَ وَيَصْعَدُونَ إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ،
فَيَصِيرُونَ كَمَا فِي حَالِ الرَّوَافِضِ، وَعَلَى شِعَارِ الرَّوَافِضِ!

أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَتَعَامَلُ هَؤُلَاءِ مَعَ عَثْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ
يَتَعَامَلُونَ مَعَ الشَّرِيعَةِ؟!!

الشَّرِيعَةُ أَبَاحَتْ لَعْنِ يَزِيدَ لِأَرْتِكَابِهِ هَذَا الْجُرْمِ، فَلِمَاذَا تَمْنَعُ إِذَا؟! يَقُولُ:
أَنَا خَائِفٌ عَلَى مَذْهَبِي؛ لِأَنِّي إِذَا فَتَحْتُ هَذَا الْبَابَ فَإِنَّ النَّاسَ لَنْ تَتَوَقَّفَ
عِنْدَ يَزِيدَ، وَحُرِّيَّةُ الْفِكْرِ لَنْ تَتَوَقَّفَ عِنْدَ يَزِيدَ فَتَتَقَيَّدَ بِهِ، بَلْ سَيَمْضِي

^١ شرح المقاصد للفتازاني ج ٥ ص ٣١٠

هَوْلَاءِ وَيَبْحَثُونَ فِيمَنْ جَاءَ بِزَيْدٍ، إِلَى أَنْ يَصِلَ الْأَمْرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ،
فَيَصِيرُونَ كُلُّهُمْ رَافِضَةً!

صَخْوَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلِ الْحَضْرَمِيِّ وَكِتَابُهُ فِي إِدَانَةِ مُعَاوِيَةَ

لَقَدْ خَافُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَمُعَاوِيَةَ - كَمَا تَعْلَمُونَ - أَكْثَرِيَّةُ أَهْلِ الْخِلَافِ
عَلَى تَوَلِّيهِ، وَقَسَمُ ضَبِيلٍ مِنْهُمْ تَحَرَّرُوا مِنْ مُعَاوِيَةَ وَأَدَانُوهُ.

مِنْ هَوْلَاءِ: أَحَدُ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَمَنِ ذَوِي
الشَّانِ الْعَظِيمِ فِي زَمَانِهِ؛ هَذَا الرَّجُلُ اسْمُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلِ الْبَاعَلَوِيِّ
الْحَضْرَمِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ يَنْتَسِبُ إِلَى السَّادَةِ الْهَاشِمِيِّينَ.

هَذَا الرَّجُلُ أَلْفَ كِتَابًا اسْمُهُ: النَّصَائِحُ الْكَافِيَةُ لِمَنْ يَتَوَلَّى مُعَاوِيَةَ، مُنْكَرًا
فِيهِ عَلَى قَوْمِهِ تَوَلَّى مُعَاوِيَةَ.

وَقَبْلَ أَنْ نَأْتِيَ لِمَا ذَكَرَهُ هَذَا الرَّجُلُ فِي كِتَابِهِ، لَا بَأْسَ أَنْ نُعْطِيَكُمْ لَمَحَّةً عَنْهُ.
وَأَفْضَلُ مَنْ يُعْطِينَا لَمَحَّةً عَنْهُ هُوَ مَا كَتَبَهُ الْعَالِمُ الْبَكْرِيُّ الْمَعْرُوفُ «مُحَمَّدُ
رَشِيدِ رِضَا»، الَّذِي كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ لُبْنَانَ وَعُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ، وَتَلْمِيذًا لِمُحَمَّدِ
عَبْدُهُ، وَصَاحِبَ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ بِتَفْسِيرِ الْمَنَارِ، وَكَذَلِكَ صَاحِبَ مَجَلَّةِ
الْمَنَارِ الَّتِي كَانَتْ يُنْشَرُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ فِي زَمَانِهَا بِانْتِشَارِ

لتعرف من أنت؟

وَاسِعٌ جَدًّا. هَذَا الرَّجُلُ فِي إِحْدَى إِصْدَارَاتِ مَجَلَّتِهِ، تَرْجَمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ هَذَا فَقَالَ عَنْهُ:

«كَانَ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) قَوِيَّ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ، ذِي الذَّهْنِ زَكِيِّ النَّفْسِ، عَالِيِ الْهِمَّةِ، وَاسِعِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ شَرْعِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ، مُخْتَبِرًا لِأَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ». وَيَضِي فِيَقُولُ: «وَأَمَّا أَخْلَاقُهُ فَصِفَ مَا شِئْتَ مِنْ عِزَّةِ نَفْسٍ، وَسَخَاءِ كَفٍّ، وَشَجَاعَةٍ وَإِفْدَامٍ، وَعِفَّةٍ وَوَرَعٍ، وَوَفَاءٍ وَمُرُوءَةٍ». وَهَذَا يُنْقَلُ عَنْهُ شَيْئًا طَرِيفًا أَيْضًا، فِيَقُولُ: «وَكَانَ كَثِيرَ الزَّوْجِ، يَجْمَعُ مَا طَابَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ، وَكَثِيرَ النَّسْلِ وَالْإِنْتِاجِ. أَخْبَرَنِي سَنَةَ ١٣٣٠ أَنْ أَوْلَادَهُ وَأَخْفَادَهُ يَزِيدُونَ عَلَى ٥٠ نَسَمَةً، وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي بِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُمْ كُلَّهُمْ بِأَشْخَاصِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عَدَدَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَقَدْ نَشَأَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا وَعَمَلًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَقِلَّ الْفِكْرِ فِي الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ، اتَّصَلَتْ الْمُوَدَّةُ وَالْمُكَاتَبَةُ بَيْنَنَا بِقُوَّةٍ وَحَرَارَةٍ، ثُمَّ فَتَرْتُ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ، وَأَوَّلِ خِلَافٍ فِي الْأَرَاءِ وَقَعَ بَيْنَنَا مَسْأَلَةٌ لَعْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّ دُعَاةَ التَّشْيَعِ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ قَدْ أَثَارُوهَا فِي جَاوَى أَوْ إِنْدُونِيسِيَا كُلِّهَا. وَاسْتَفْتَيْتُ فِيهَا، فَأَفْتَيْتُ

١ وَمِنْ هُنَا يُحْكِي أَنَّهُ بِسَبَبِ اسْتِقْلَالِيَّتِهِ هَذِهِ مَالَ إِلَى الْمَذْهَبِ الزَّيْدِيِّ، إِذْ كَانَ لَدَيْهِ نَوْعٌ مِنَ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ وَالتَّحَرُّرِ الْفِكْرِيِّ -رَغْمَ كَوْنِهِ شَافِعِيًّا- فَتَبَرَّأَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ.

بِعَدَمِ الْجَوَازِ. وَبَيَّنْتَ مَا فِي هَذَا الشَّقَاقِ مِنَ الضَّرَرِ وَالتَّفَرُّقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
بِدُونِ مَصْلَحَةٍ رَاحِحَةٍ تُقَابِلُهُ. وَفِيهَا أَلْفَ كِتَابِهِ الْمَشْهُورَ "النِّصَائِحُ
الْكَافِيَةُ"، وَعَدَرَ كُلَّ مَنَّا أَخَاهُ فِي اجْتِهَادِهِ^١. إِذَا، كَانَ مُحَمَّدُ رَشِيدِ رِضَا يَرَى
أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَقِيلٍ إِنَّمَا أَلَّفَ كِتَابَهُ هَذَا رَدًّا عَلَى جَوَابِي عَلَى ذَلِكَ الْإِسْتِفْتَاءِ؛
حَيْثُ أَثْبَتَ فِي كِتَابِهِ جَوَازَ لَعْنِ مُعَاوِيَةَ، بَلْ وَجُوبَ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، وَمِنْ هُنَا فَتَرَتِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا وَضَعُفَتْ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ.

فَمَاذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ - مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلِ الْبَاعِلَوِيِّ الْحَضْرَمِيِّ الشَّافِعِيِّ - فِي
كِتَابِهِ النِّصَائِحُ الْكَافِيَةُ لِمَنْ يَتَوَلَّى مُعَاوِيَةَ؟

أَقْرَأَ لَكُمْ مَا قَالَهُ بِالنِّصِّ؛ لِأَنَّ لَنَا شَأْنًا بِالنِّصِّ، فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى بِمَاذَا
يُدِينُ هَذَا الرَّجُلُ مُعَاوِيَةَ؟ وَعَلَى مَاذَا اسْتَنَّدَ مِنْ أَحَادِيثِ آدَانَ بِهَا مُعَاوِيَةَ؟

يَقُولُ: «وَمِنْ كِبَارِ فَوَاقِرِهِ، وَعَظَائِمِ جَرَائِرِهِ، اسْتِخْلَافُهُ ابْنَهُ يَزِيدَ السُّكَيْرِ
الْحَمِيرِ، الْمُنَابَذَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، الْهَاتِكَ لِلْحُرْمَاتِ، وَالْمُرْتَكِبَ الْمَخْزِيَّاتِ، مَعَ
أَنَّهُ عَالِمًا بِحَالِهِ، مُطَّلِعًا عَلَى قَبِيحِ أَفْعَالِهِ! أَنْفَقَ عَلَى تَمْهِيدِ بَيْعَتِهِ أَمْوَالَ بَيْتِ
الْمَالِ، وَارْتَكَبَ مِنَ الْمَعَاصِي لِذَلِكَ مَا يُغْضِبُ ذُو الْجَلَالِ».

لتعرف من أنت؟

فهو بهذا يُدين معاوية؛ أن كيف يولي ابنه السكير الخمير الفاسق، مع أنه كان عالماً بحاله، بل وأنفق أموال المسلمين من بيت المال على الدعوة إلى بيعته؟! لقد قام معاوية حقاً بشراء ذمم الناس لبيعة يزيد؛ فيدفع لرئيس القبيلة مبلغاً ليباع يزيد بولاية العهد، ويدفع للآخرين كذلك، يشتري من الناس دينهم! كيف يسوغ له أن ينفق بيت مال المسلمين على هذا الأمر؟! وكيف يترك أجلاء الصحابة -على حد تعبيرهم- ممن تبقى منهم، وفيهم من هو أعظم من يزيد وأتقى وأشرف، لماذا لم يول هؤلاء؟! لماذا يولي يزيد هذا الشاب الفاجر الفاسق السكير الخمير؟!

ثم يقول: «أخرج أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمرهم عليه أحداً محاباةً، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم» وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس، عن النبي ﷺ «من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله

١ هذا الحديث مهم، والراوي له هو أبو بكر! مضمون الحديث أن النبي ﷺ يقول إن من تولى أمر المسلمين فولى أحداً محاباةً -أي لأنه قريبه أو صديقه فقط، دون معيار التقوى والشرف والصلاح للولاية- فهذا عليه لعنة الله حتى يدخله جهنم. يقول: هذا الأمر يدين معاوية.

مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ^١ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِي فِي صَحِيحِهِ عَنْ مَعْقِلٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَهَلْ يَبْقَى بَعْدَ سَمَاعِ هَذَا لِذِي إِيمَانٍ أَنْ يُصَدِّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، شَكٌّ فِي اسْتِحْقَاقِهِ لَعْنَةَ اللَّهِ؟! وَأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهُ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ مَاتَ غَاشًّا لِلْأُمَّةِ بِيَزِيدٍ أَمْ هُنَاكَ تَأْوِيلٌ يُحَاوِلُ بِهِ أَنْصَارُهُ رَدَّ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَوْ تَضْعِيفَهُ؟! اللَّهُمَّ غُفْرَانَكَ!

رُبَّمَا يَدَّعِي مُدَّعٍ أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ^٢، رَأَى سَكِيرَهُ الرَّجْسَ النَّجِسَ أَوْ لَى أَهْلَ زَمَانِهِ بِالْإِمَامَةِ وَأَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُمْ^٣! وَلَا جَوَابَ عَنْ هَذَا إِلَّا الْإِسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْمُدَّعِي الْمَكَابِرِ، وَالْإِشْفَاقَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَهُ اللَّهُ وَيُلْحِقَهُ بِذَيْنِكَ

١ وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا جُدُّهُمْ؛ فَإِذَا اسْتَعْمَلَ (أَيَّ وَلى وَجَعَلَهُ عَامِلًا أَوْ وَلى عَلَى جُنْدٍ أَوْ مَدِينَةٍ) وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْ هَذَا الْمُعَيَّنِ، فَيَكُونُ هَذَا الْوَلِيُّ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ.

٢ وَهَذَا كَلَامُ أَهْلِ الْخِلَافِ، تَأْتِي لَهُمْ بِجَرَائِمِ صَحَابَتِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ فَيَقُولُونَ: «اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ!»، مُجَرَّدُ عِبَارَةٍ حَفِظُوهَا وَمَضَوْا بِهَا! مُعَاوِيَةُ وَلى يَزِيدٌ؟ «اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ». يَزِيدٌ شَرِبَ الْخُمْرَ؟ «اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ!». هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الرَّسْمِيُّ الْبُكْرِيُّ.

٣ يَعْنِي كَانَ مُعَاوِيَةَ اجْتَهَدَ فَلَمْ يَرِ أَحَدًا أَرْضَى لِلَّهِ مِنْ يَزِيدٍ! أَكَانَ الْأُمَمَاتِ عَقَمْنَ أَنْ يُنْجِبَنَّ مِثْلَهُ! فَلَمَّا يَأْتِي بِهِدَا الْعُدْرِ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

لتعرف من أنت؟

الطَّاعِيَيْنِ^١، وَهَلْ مَنَّعَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ) عَنِ إِبْقَاءِ مُعَاوِيَةَ عَامِلًا عَنِ الشَّامِ حَتَّى يَسْتَتِبَ لَهُ الْأَمْرُ - كَمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ سُعْبَةَ - إِلَّا الْفِرَارُ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ؟! وَإِنْ كَانَ الرَّأْيُ السِّيَاسِيُّ يَقْتَضِي إِبْقَاءَهُ عَلَى زَعْمِ الْكَثِيرِينَ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^٢. كَيْفَ تُسْمَعُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ^٣

١ أَيَّ أَنْ مَنْ يَدْعِي أَنْ يَزِيدَ أَرْضَى النَّاسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا جَوَابَ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمُكَابَرَةِ فِي أَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ! فَسُقُ يَزِيدَ وَأَتَامُهُ مِنْ أَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ نِقَاشًا، فَالَّذِي يُحَاوِلُ تَنْزِيهِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَلْعُونَةِ فَلَا جَوَابَ لَهُ إِلَّا الدُّعَاءُ عَلَيْهِ بِأَنْ يُلْحِقَهُ اللَّهُ بِزَيْدٍ وَمُعَاوِيَةَ. حَتَّى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ يَزِيدَ، قُلْ لِأَحَدِهِمْ: "أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْشُرَكَ مَعَ يَزِيدٍ!" فَيَرْفُضَ ذَلِكَ. وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ بَعْضُهُمْ وَصَلَ لِمَرْحَلَةٍ لَوْ قُلْتُ لَهُ: "أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْشُرَكَ مَعَ عَائِشَةَ"، فَيَقُولُ: «لَا!»، لِأَنَّ عَائِشَةَ أَيْضًا بَدَأَتْ تَسْقُطُ الْآنَ فِي زَمَانِ التَّحَرُّرِ وَالتَّنْوِيرِ هَذَا، حَيْثُ ظَهَرَتْ فَضَائِحُهَا وَجَرَائِمُهَا وَتَحْرِيفَاتُهَا لِدِينِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَالآنَ كُلُّ مُخَالِفٍ بَاتَ فِي شَكٍّ مِنْ عَائِشَةَ، وَإِيمَانُهُ بِهَا مُتْرَلْزَلٌ بِفَضْلِ اللَّهِ. هَذَا لَيْسَ زَمَانُ انْغِلَاقٍ كَالْزَمَانِ الَّتِي وُلْتُ، حَيْثُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مُحْجُورًا عَنِ الْفِكْرِ. الْآنَ انْكَشَفَ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَا يَظْهَرُ وَيَسْتَعْلِي إِلَّا الْحَقُّ وَأَهْلُ الْحَقِّ، وَلَيْسَ أَهْلُ الْحَقِّ إِلَّا آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ. هَذَا زَمَانُ سُقُوطِ كُلِّ مَنْ خَالَفَ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَعْيُنِكُمْ. إِنَّهُ زَمَانُ احْتِضَارِ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ. هَذِهِ ثَوْرَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ إِيْمَانِيَّةٌ جَدِيدَةٌ تُطَهِّرُ الْأَجْوَاءَ مِنْ هَذَا الضَّلَالِ وَرُمُوزِهِ، وَمِفْتَاحُ هَذِهِ الثَّوْرَةِ وَوَقُودُهَا هُوَ دَمُ الْحُسَيْنِ ﷺ الَّذِي يَتَجَدَّدُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِبِرْكَةِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ وَالشَّعَائِرِ. وَلِذَا لَا يُمَكِّنُ لِأَعْدَائِنَا أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَيْنَا لِأَنَّ مَعَنَا الْحُسَيْنَ وَوَضِيئَتَهُ.

٢ الكهف: ٥٢

٣ أَيُّ الدَّعْوَى الَّتِي يُقَالُ فِيهَا إِنَّ مُعَاوِيَةَ اجْتَهَدَ فَوَلَّى يَزِيدَ.

وَمُعَاوِيَةَ نَفْسُهُ مُقِرُّ بِبُطْلَانِهَا؟! فَإِنَّهُ قَالَ -وَهُوَ يَخُطُّ بِكُمِّهِ ١-: «وَلَوْلَا هَوَايَ فِي يَزِيدَ أَبْصَرْتُ قَصْدِي»^٢ قال ابن حجر الهيثمي: «فيه غايَةُ التَّسْحِيلِ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّ مَزِيدَ مَحَبَّتَهُ لِيَزِيدَ أَعَمَّتْ عَلَيْهِ طَرِيقَ الْهُدَى، وَأَوْقَعَتِ النَّاسَ بَعْدَهُ مَعَ ذَلِكَ الْفَاسِقِ الْمَارِقِ فِي الرَّدَى» ولربما يظهرُ مُشَاغِبَ آخَرَ وَيَقُولُ: لَعَلَّهُ تَابَ وَرَجَعَ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، فَنَقُولُ: «إِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَحَقِّقُ وَلَا تَصْحُحُ إِلَّا بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ، وَالنَّدَمِ عَلَى فِعْلِهِ، وَالْعَزْمِ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَمَرُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»^٣ وَكُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مُنْتَمِيَةٌ فِي مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّهُ أَكْرَهَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ، وَأَصْرَّ عَلَى ذَلِكَ

١ وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ مِنْهُ: فَمُعَاوِيَةَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ أُصِيبَ بِمَرَضٍ مَالَ بِسَبَبِهِ أَحَدُ شَقِيٍّ وَجْهَهُ (شَلَلُ الْوَجْهِ النِّصْفِيِّ)، فَكَانَ يَسْتَحِي وَيُعْطِي وَجْهَهُ بِكُمِّهِ لَمَّا يَخُطُّ، فَكَانَتْهُ يَكْلُمُ كُمَّهُ!

٢ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «لَأَبْصَرْتُ رُشْدِي»

٣ فَهُوَ يَعْتَرِفُ صَرَاحَةً أَنَّ الَّذِي دَفَعَهُ لِتَوَلِيَّةِ يَزِيدَ لَمْ يَكُنْ كَوْنُهُ أَرْضَى لِلَّهِ أَوْ وَرِعًا تَقِيًّا، بَلْ هُوَ "الهُوَى"، يَقُولُ صَرَاحَةً: هَوَايَ فِي يَزِيدَ صَرَفِي عَنْ رُشْدِي!

٤ آل عمران: ١٣٦

٥ الثلاثة هي: فاستغفروا لذنوبهم، ولم يصروا على ما فعلوا، وهم يعلمون.

لتعرف من أنت؟

إِلَى آخِرِ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ. كَيْفَ وَوَصَايَاهُ لِيَزِيدَ وَتَعَالِيمُهُ شَاهِدَةٌ عَلَيْهِ
بِإِصْرَارِهِ وَعَدَمِ مُبَالَاتِهِ؟!

استباحة المدينة المنورة جريمة لا تسقط بالتقادم!

نَقَلَ أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي
الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي، وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِيَزِيدَ:

«إِنَّ لَكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيَوْمًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَارِمِهِمْ بِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ، هُوَ
الَّذِي سُمِّيَ مُسْرِفًا وَجُرِمًا، فَإِنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ». عَرَفَ مُعَاوِيَةَ أَنَّ
مُسْلِمًا لَا دِينَ لَهُ، فَأَمَرَ يَزِيدَ أَنْ يَرْمِيَ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ. وَقَدْ فَعَلَ يَزِيدُ مَا
أَمَرَهُ بِهِ أَبُوهُ^١ وَفَعَلَ مُسْلِمٌ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا أُرِيدَ مِنْهُ.

حَيْثُ قَالَ لَهُ يَزِيدُ: يَا مُسْلِمُ، لَا تَرُدَّنَّ أَهْلَ الشَّامِ عَنْ شَيْءٍ يُرِيدُونَ
بَعْدَهُمْ. فَسَارَ بِجُيُوشِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَأَخَافَ الْمَدِينَةَ، وَاسْتَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ بِكُلِّ قَبِيحٍ، وَافْتَضَّتْ فِيهَا نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ بَكْرٍ، وَوَلَدَتْ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ

^١ أي أن أهل المدينة يوم من الأيام سينتفضون ويثورون عليك.

^٢ فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ.

أَلْفِ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ١، وَسَمَّاهَا "نِتْنَةً" وَقَدْ سَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَيْبَةً وَقُتِلَ فِيهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَالصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ نَحْوُ مِنْ ١٧٠٠، وَقَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ ٤٠٠٠ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَبَايَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمْ عَبِيدُ لِيَزِيدَ، وَمَنْ أَبِي ذَلِكَ أَمْرَهُ مُسْلِمٌ عَلَى السَّيْفِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ» ٢.

١ هَذَا تَارِيحُكُمْ يَا مَنْ تُدْفِعُونَ عَنْ يَزِيدَ! قَدْ تُدْفِعُونَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ لِأَنَّ جَرَائِمَهُمَا مَطْمُوسَةٌ تَحْتَاجُ تَنْفِيحًا لِاسْتِخْرَاجِهَا! أَمَا يَزِيدُ يُدْفِعُونَ عَنْهُ مَعَ ظُهُورِ هَذِهِ الْجَرَائِمِ! أَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةُ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ نَفْتَسَ عَنِ الْإِسْلَامِ فِيكُمْ؟! كُنْتُ تُطْبَعُ الْيَوْمَ عَنْوَانُهَا: (يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ.. الْخَلِيفَةُ الْمُفْتَرَى عَلَيْهِ) لَهُزَاعِ بْنِ عِيدِ الشَّمْرِيِّ. وَأَيُّ عَجَبٍ فِي ذَلِكَ وَهَذَا مَضَى عَلَيْهِ ١٤٠٠ سَنَةً؟ إِنَّهُمْ يُدْفِعُونَ عَنْ صَدَّامِ الَّذِي رَأَوْا جَرَائِمَهُ وَمَقَابِرَهُ الْجَمَاعِيَّةَ بِأَمْ أَعْيُنِهِمْ عَلَى شَاشَاتِ التَّلْفَازِ! يُخْرِجُ الْقُرْصَاوِي لِيَتَرَحَّمَّ عَلَى صَدَّامِ الَّذِي أَبَادَ شَعْبًا وَدَمَّرَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، بِحُجَّةٍ أَنَّ آخِرَ كَلِمَةٍ قَالَهَا هِيَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»! وَمَا بِالْقُدَّافِيِّ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ هَذَا الْحُكْمُ؟! لِمَاذَا أَفْتَى بِوُجُوبِ قَتْلِ الْقُدَّافِيِّ؟ رُبَّمَا كَانَ آخِرُ قَوْلِهِ أَيْضًا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، خَاصَّةً وَأَنَّهُ حَافِظٌ لِلْقُرْآنِ، وَصَاحِبُ الرَّقْمِ الْقِيَّاسِيِّ فِي إِمَامَةِ أَكْبَرِ صَلَاةِ جَمَاعَةٍ صَمَّتْ نِصْفَ مَلْيُونِ مُصَلٍّ! كَانَ يَرْفَعُ شِعَارَ الْإِسْلَامِ، فَلِمَاذَا هَذِهِ الْأَزْدَوَاجِيَّةُ؟ الْفَرْقُ بَسِيطٌ وَالْمُعْيَارُ دَقِيقٌ لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ: إِذَا كَانَ الظَّالِمُ ظَالِمًا لِلرَّافِضَةِ، فَنِعْمَ بِهِ وَأَكْرَمُ مَهْمَا ارْتَكَبَ مِنَ الْجَرَائِمِ! أَمَا إِذَا كَانَ الظَّالِمُ ظَالِمًا لَهُمْ، فَهَذَا مُجْرِمٌ. مَأْسَاةُ الْقُدَّافِيِّ أَنَّ شَعْبَهُ لَمْ يَكُنْ شِيعِيًّا، وَلَوْ كَانُوا شِيعَةً لَرَأَيْتَهُمْ يُدْفِعُونَ عَنْهُ حَتَّى بِالسَّلَاحِ، كَمَا هُوَ حَالُهُمْ مَعَ آلِ خَلِيفَةِ الْيَوْمِ!

٢ النَّصَائِحُ الْكَافِيَةُ لِمَنْ يَتَوَلَّى مُعَاوِيَةَ ص ٦٠

العودة إلى الجذور بإدانة سياسات التولية الأولى

نحن نناقش هذا الكلام لأننا أمام ظاهرة في زماننا هذا يمكن تسميتها بـ "ظاهرة محمد بن عقيل"؛ حيث تحرر البعض من عقدة معاوية، مثل (عدنان إبراهيم) أو (الكبيسي) الذين يصدعون بلعن معاوية ويصفونه بالفسق والظلم في مواجهة قومهم.

نحن نقول لهؤلاء الذين امتلكوا الشجاعة: ما الذي يوقفكم عند هذا الحد؟ تشجعوا قليلاً لتصلوا إلى عمر وأبي بكر وعثمان وعائشة، وطبقوا عليهم نفس القاعدة وذات الأحاديث التي أدنتم بها معاوية، إلى الأعلى فالأعلى! هؤلاء يفيدوننا بإصاهم أبناء المذهب البكري إلى منتصف الطريق، ثم نأتي نحن لنأخذهم إلى نهايته عند عائشة.

لو حاكمنا محمد بن عقيل لقلنا له: عندنا ملاحظتان على كلامك:

الملاحظة الأولى: عندما استدلت بالحديث عن أبي بكر أن النبي قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنة الله، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»، لم تكن أميناً في النقل يا ابن

عَقِيل! الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ لَهُ صَدْرٌ وَبِدَايَةٌ حَذَفْتَهَا. فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ نَجِدُهُ مَرْوِيًّا عَنْ "يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ" ^١، يَقُولُ فِيهِ:

«قَالَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ ^٢: يَا يَزِيدُ، إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْإِمَارَةِ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ...» ^٣.

لِمَاذَا حَذَفْتَ مُنَاسَبَةَ الْحَدِيثِ؟

لِأَنَّهَا تُدِينُ أَبَا بَكْرٍ ذَاتَهُ! أَلَمْ يَجِدْ أَبُو بَكْرٍ أَحَدًا أَرْضَى لِلَّهِ مِنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؛ الطَّلِيقِ، مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ، وَمِنْ "أَصْحَابِ الرِّضَائِحِ" ^٤، الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ كَرَهَا وَاضْطِرَّارًا لَا عَنْ إِيْمَانٍ وَيَقِينٍ، لِمَاذَا لَمْ يُؤَلَّ كِبَارَ الصَّحَابَةِ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ؟

ثُمَّ إِنَّ جُرْمَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَكْبَرُ، إِذْ تَعْتَرِفُ قَائِلًا: «إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْإِمَارَةِ»، أَيَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَتَّخِذُ الشَّامَ مُلْكًا لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَهَذَا مَا

١ أَخِ مُعَاوِيَةَ الْأَكْبَرِ.

٢ أَيُّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَلِيَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْيَا عَلَى الشَّامِ.

٣ مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٢، المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ١٠٤.

٤ الَّذِينَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤَلِّفُ قُلُوبَهُمْ بِالْأَمْوَالِ لِيَتَّقُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

لتعرف من أنت؟

حَصَلَ! لَوْلَا تَوَلِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ لِيَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الشَّامِ، لَمَا ضَمِنَ وَلَاؤُ الشَّامِ لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَلَمَا عَثَا الْأُمَوِيُّونَ فَسَادًا. وَبَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ، جَاءَ عُمَرُ فَوَلَّى مُعَاوِيَةَ، الَّذِي حَوَّلَهَا إِلَى مَمْلَكَةٍ يَسْتَعِيدُ فِيهَا مُلْكَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُمَوِيُّونَ الَّذِي فَقَدُوهُ بِسَبَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، فَرَبَّوْا أَهْلَ الشَّامِ عَلَى بُغْضِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المُلاحَظَةُ الثَّانِيَّةُ: عِنْدَمَا اسْتَشْهَدَ ابْنُ عَقِيلٍ بِقَوْلِ ابْنِ حَجَرَ الْهَيْتَمِيِّ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِ مُعَاوِيَةَ «لَوْلَا هَوَايَ فِي يَزِيدَ لَأَبْصَرْتُ رُشْدِي»: «فِيهِ غَايَةُ التَّسْجِيلِ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّ مَزِيدَ حَبَّبَتْهُ لِيَزِيدَ أَعْمَتْ عَلَيْهِ طَرِيقَ الْهُدَى وَأَوْقَعَتِ النَّاسَ بَعْدَهُ مَعَ ذَلِكَ الْفَاسِقِ الْمَارِقِ فِي الرَّدَى»؛ لِمَاذَا لَمْ تُكْمَلْ بَاقِي كَلَامِهِ؟ ابْنُ حَجَرَ قَالَ هَذَا فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: تَطْهِيرُ الْجَنَانِ وَاللِّسَانِ عَنِ الْخَوْضِ وَالتَّفَوُّهِ بِثَلْبِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ كِتَابٌ فِي الدِّفَاعِ عَنِ مُعَاوِيَةَ! اسْمَعْ تِمَّةَ كَلَامِهِ حَيْثُ يُبَرِّرُ لِمُعَاوِيَةَ فَيَقُولُ:

«لَكِنَّهُ قَضَاءُ انْحَتَمَ، وَقَدَرُ انْبَرَمَ، فَسَلَبَ عَقْلُهُ الْكَامِلَ، وَعِلْمُهُ الشَّامِلَ، وَدَهَاوُهُ الَّذِي كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، وَزَيْنٌ لَهُ مِنْ يَزِيدَ حُسْنُ الْعَمَلِ، وَعَدَمُ الْانْحِرَافِ وَالْخَلَلِ، كُلُّ ذَلِكَ لِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الصَّادِقُ الْمُصْذِقُ ﷺ مِنْ أَنَّهُ

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَازَ أَمْرِهِ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ، حَتَّى يَنْفِذَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَمُعَاوِيَةٌ مَعْدُورٌ فِيهَا وَقَعَ مِنْهُ فِي يَزِيدٍ^١.

هُوَ يُبَرِّرُ فِعْلَةَ مُعَاوِيَةَ بِأَنَّ اللَّهَ سَلَبَهُ عَقْلَهُ حَتَّى يَنْفِذَ أَمْرَهُ فِي تَوَلِيَةِ يَزِيدٍ، وَيَجْعَلُ مُعَاوِيَةَ مَعْدُورًا!

يَا ابْنَ عَقِيلٍ، إِنْ كَانَ الْمِقْيَاسُ هُوَ حَدِيثَ خِيَانَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمَنْ يُؤَيُّ شَخْصًا وَهُنَاكَ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ؛ فَلِمَ إِذَا لَا تُدِينُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي وَلى مُعَاوِيَةَ؟! أَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ مَزْهُوًّا بِمُعَاوِيَةَ؟ فِي كِتَابِ الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ لِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ، وَالِاسْتِيعَابِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: «قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: كَانَ عُمَرُ إِذَا نَظَرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ: هَذَا كِسْرَى الْعَرَبِ»^٢. يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ صَنَعَ لِلْعَرَبِ كِسْرَى! مُعَاوِيَةَ يَلْبَسُ الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ، وَيَسْكُنُ الْقُصُورَ، وَالنَّاسُ تُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَعُمَرُ (الَّذِي كَانَ غَلِيظًا شَدِيدًا مَعَ بَاقِي الْوَلَاةِ يَضْرِبُهُمْ وَيُقَاسِمُهُمْ أَمْوَالَهُمْ) كَانَ يُعَامِلُ مُعَاوِيَةَ بِلُطْفٍ شَدِيدٍ، رَغَمَ عِلْمِهِ بِتَهَافُتِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْمُلْكِ، وَأَنَّ صِفَاتِهِ صِفَاةٌ "كِسْرَوِيَّةٌ"!

^١ تطهير الجنان واللسان لابن حجر ص ٤٣

^٢ الإصابة لابن حجر ج ٦ ص ١٢١

أسباب تفضيل بني أمية

يَنْقُلُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الإِصَابَةِ عَنِ المَدَائِنِيِّ، نَظَرَ أَبُو سَفِيانٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ فَقَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ^١». فَقَالَتْ هِنْدُ: قَوْمَهُ فَقَطْ؟! ثَكَلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدَّ العَرَبَ قَاطِبَةً!^٢.

هَذَا هُوَ نَهْمُهُمُ لِلسُّلْطَةِ! تُؤَلُّونَ الطُّلُقَاءَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا كَرَهًا بِالسَّيْفِ وَتَتْرَكُونَ الصَّالِحِينَ؟!!

ما سرُّ حُبِّ عُمَرَ لِمُعَاوِيَةَ وَعِنَايَتِهِ بِهِ؟

وَهُنَا مَسْأَلَةٌ حَسَّاسَةٌ تُفَسِّرُ سِرَّ اهْتِمَامِ عُمَرَ بِمُعَاوِيَةَ؛ حَادِثَةٌ مُبَايَعَةٍ هِنْدٍ كَرَهًا يَوْمَ الفَتْحِ. يَنْقُلُ الطَّبْرِسِيُّ فِي مَجْمَعِ البَيَانِ وَابْنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ البَلَاغَةِ؛ «رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَهُنَّ، وَكَانَ عَلَى الصِّفَاءِ، وَكَانَ عُمَرُ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَهِنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ مُتَنَقِّبَةٌ مُتَّكِرَةٌ مَعَ النِّسَاءِ، خَوْفًا أَنْ يَعْرِفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أُبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا». فَقَالَتْ هِنْدُ: إِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا مَا رَأَيْنَاكَ أَخَذْتَهُ عَلَى الرِّجَالِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَايَعَ الرِّجَالَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الإِسْلَامِ وَالجِهَادِ فَقَطْ، فَقَالَ ﷺ: «وَلَا تَسْرِقْنَ». فَقَالَتْ

^١ أي جدير وأهل لأن يسود قومه.

^٢ الإصابة لابن حجر ج ٦ ص ١٢١

هِنْدُ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مُمَسِّكٌ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِهِ هَنَاتٍ، فَلَا أُدْرِي
أَيُّحِلُّ لِي أُمَّ لَا. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا أَصَبْتُ مِنْ مَالِي فِيهَا مَضَى، وَفِيهَا غَبَرَ،
فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَهَا، فَقَالَ لَهَا: «وَإِنَّكَ لَهِنْدُ
بِنْتُ عُتْبَةَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ! فَقَالَ
ﷺ: «وَلَا تَزْنِينَ». فَقَالَتْ هِنْدُ: أَوْتَرَنِي الْحُرَّةُ؟ «فَتَبَسَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِمَا
جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ»^١.

لِهَذَا السَّبَبِ كَانَ عُمَرُ مُحِبًّا لِمُعَاوِيَةَ، لِأَنَّهُ نَامَ مَعَ أُمِّهِ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ
يَكُونَ مُعَاوِيَةَ ابْنَ عُمَرَ أَصْلًا، وَهَذَا الْقَوْلُ كَانَ يَقُولُ بِهِ الْمَرْجِعُ الْمَعْرُوفُ
مُحَمَّدُ حُسَيْنٌ كَاشِفُ الْغَطَاءِ، لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا وُلِدَ اخْتِصِمَ فِيهِ عِدَّةٌ مِنَ
الرِّجَالِ، تَمَّتْ تَسْمِيَةُ بَعْضِهِمْ، وَابْتِغَضُ الْآخَرُ اخْتِصَمَ بِتَسْمِيَتِهِمْ.

يَقُولُ مُحَمَّدُ حُسَيْنٌ كَاشِفُ الْغَطَاءِ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَلِي فِيهِ رَأْيٌ خَاصٌّ لِعَلِّي
قَدْ انْفَرَدْتُ بِهِ - عَلَى الظَّاهِرِ - وَهُوَ أَنَّ هِنْدًا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،
وَلَا أُدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ ابْنُهُ بِلَا رَيْبٍ، وَلِي عَلَى
ذَلِكَ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ لَا جَمَالَ لِذِكْرِهَا فِي هَذِهِ اللَّمْحَةِ الْعَابِرَةِ»^٢.

١ مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٦

٢ جنة المأوى ص ١٩٠

لتعرف من أنت؟

إِنَّ الْأَنْسَابَ عِنْدَهُمْ زِنًا وَسَفَاحٌ، وَلِذَا لَا يُحِبُّ عَلِيًّا إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا ابْنُ زَنَا. وَهَذَا يُفَسِّرُ الْعِلَاقَةَ الطَّيِّبَةَ بَيْنَ عُمَرَ لِمُعَاوِيَةَ!

رِسَالَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى مُعَاوِيَةَ: وَثِيقَةُ الْإِدَانَةِ الْكُبْرَى

إِنَّ الْمَشْكَلَةَ هِيَ عَدَمُ التَّمَسُّكِ بِالْمَبَادِيِ الْحُسَيْنِيَّةِ الَّتِي تُحَدِّثُ التَّطْهِيرَ الْقَهْقَرَائِيَّ الَّذِي يُطَهِّرُ مَا قَبْلَ كَرْبَلَاءَ كَمَا بَعْدَهَا. لَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا كَلِمَاتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَعَرَفُوا حَقِيقَةَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّاتِ، فَنَحْنُ لَا نَرَى تَوَلِيَّةَ يَزِيدَ أَوْ مُعَاوِيَةَ "اجْتِهَادًا"، فَلَا اجْتِهَادَ فِي مُقَابِلِ النَّصِّ، وَلَا اجْتِهَادَ فِيهَا هُوَ مُنْكَرٌ صَرِيحٌ.

انظروا إلى جوابِ الحُسينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمُعَاوِيَةَ لَمَّا هَدَّدَهُ، كَمَا رَوَاهُ فِي رِجَالِ الْكُشِّيِّ، حَيْثُ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خِتَامِهَا:

«فَأَبْشُرِيَا مُعَاوِيَةَ بِالْقِصَاصِ، وَاسْتَيْقِنِي بِالْحِسَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى كِتَابًا لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَكَيْسَ اللَّهُ بِنَاسٍ لِأَخْذِكَ بِالظَّنِّ، وَقَتْلِكَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى التُّهْمِ، وَنَفْيِكَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ دُورِهِمْ إِلَى دَارِ الْغُرْبَةِ، وَأَخْذِكَ النَّاسَ بِبَيْعَةِ ابْنِكَ، غُلَامٍ حَدَثٍ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَلْعَبُ بِالْكَلَابِ. لَا أَعْلَمُكَ إِلَّا وَقَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ، وَبَتَرْتَ دِينَكَ، وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ، وَأَخْزَيْتَ

أَمَانَتِكَ، وَسَمِعْتَ مَقَالََةَ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ، وَأَخَفْتَ الْوَرَعَ التَّقِيَّ لِأَجْلِهِمْ،
وَالسَّلَامُ»^١.

هَذِهِ كَلِمَاتُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ وَالْأَحْرَارِ، وَهَكَذَا يَتَصَدَّى لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ بِهَذَا
الْخُطَابِ الشَّدِيدِ. مِنَ الْحُسَيْنِ تَتَعَلَّمُ الْأُمَّةُ كَيْفَ تَثُورُ عَلَى طُغَاتِهَا ثَوْرَةً
عَقَائِدِيَّةً إِيْمَانِيَّةً؛ لِإِقَامَةِ الْمَعْرُوفِ وَمُحْوِ الْبَاطِلِ. وَلِهَذَا نُجَدِّدُ الْعِزَاءَ عَلَى
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. أَلَا فَابْكُوا سَيِّدَكُمْ.

^١ رجال الكشي ص ٤٩

لتعرف من أنت؟

المقاومة الحسينية..

مصادرة الأولوية

مُؤَامَرَةُ السَّقِيفَةِ وَمُصَادَرَةُ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مُنْذُ أَنْ وَقَعَ الْإِنْقِلَابُ الْمَشُورُومُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، اخْتَلَطَتْ كَثِيرٌ مِنْ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى خُطَّةٍ مَا كِرِهَ قَامَتْ بِهَا السُّلْطَةُ الْإِنْقِلَابِيَّةُ لِإِحْدَاثِ مِثْلِ هَذَا الْخَلْطِ.

كَانَ الْمَدْفُ وَالْعَايَةُ هُوَ مُصَادَرَةُ تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُحَدِّدُ مَوْقِعَ الشَّرْعِيَّةِ فِي خَارِطَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ تَسْتَحُوذَ هَذِهِ السُّلْطَةُ عَلَى تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ لِنَفْسِهَا. وَمِنْ أَبْرَزِ تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ: مَفْهُومُ "الْأَوْلَوِيَّةِ" أَوْ "الْأَحَقِّيَّةِ"؛ فَمَنْ هُمْ الْأَوْلَى بِالنَّبِيِّ الْخَاتَمِ ﷺ؟ وَمَنْ هُمْ الْأَحَقُّ بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا؟ وَمَنْ هُمْ وَرَثَتُهُ؟

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَدَدَ مَوْقِعَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خَارِطَةِ الْإِسْلَامِ، وَحَدَّدَهُ هَاهُنَا بِأَنَّ هَوْلَاءِ هُمْ الْأَوْلَى بِي، وَهَوْلَاءِ هُمْ الْأَحَقُّ بِمَقَامِي، وَهَوْلَاءِ هُمْ وَرَثَتِي، وَهَوْلَاءِ هُمْ النَّاطِقُونَ الشَّرْعِيُّونَ بِاسْمِي، وَهَوْلَاءِ هُمْ خُلَفَائِي،

لتعرف من أنت؟

وهؤلاء أولى بكم من أنفسكم كما أني أولى بكم من أنفسكم. ولكن، حين جاءت السلطة الانقلابية، أرادت أن تصدر هذه المفاهيم لنفسها حتى تقول للناس: نحن الأحق.

المقاومة الحسينية عبر الشعر والأدب

وكان من جملة أدوار سيد الشهداء عليه السلام مقاومة هذه المصادرة؛ فقد قاومها بمواقف عديدة وبشواهد كثيرة، أنتخب لكم منها صنفاً واحداً، وهو ما قاله عليه السلام شعراً. إن إمامنا الحسين عليه السلام له أشعار مبنوثة في كتب السير والآثار، وقد جمع بعضها في دواوين.

هذه الأشعار التي كان ينظمها الإمام الحسين عليه السلام كانت ذات أبعاد مختلفة؛ منها ما يشتمل على المعارف الدينية وعلى رأسها التوحيد، ومنها ما جاء في تأكيد أولويته هو وألويته أهل البيت عليه السلام بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هنالك عالم من أكابر علمائنا الأقدمين، وهو علي بن عيسى الأزدي رضوان الله تعالى عليه، وكان أستاذاً للعلامة الحلي رضوان الله تعالى عليه؛ هذا الرجل العظيم له كتاب مشهور مطبوع اسمه كشف الغمّة في معرفة الأئمة.

بعض أشعار سيد الشهداء

في هذا الكتاب تجدون شيئاً من أشعار سيد الشهداء عليه السلام وأبياته؛
إحداها:

«أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ *** الْبَدْرُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ»
«أَلَمْ تَرَوْا وَتَعَلَّمُوا أَنَّ أَبِي *** قَاتِلُ عَمْرٍو وَمُبِيرُ مَرْحَبِ»
«وَلَمْ يَزَلْ قَبْلَ كُشُوفِ الْكُرْبِ *** مُجَلِّي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ»
«أَلَيْسَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ *** أَنْ يَطْلُبَ الْأَبْعَدُ مِيرَاثَ النَّبِيِّ»
«وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْأَقْرَبِ»^١

يَقُولُ عليه السلام: أَنَا الْبَدْرُ فِي أَرْضِكُمْ، وَهَذَا نَسْبِي.

أَلَمْ تَدْرُوا وَتَعَلَّمُوا أَنَّ أَبِي قَاتِلُ عَمْرٍو وَمُبِيرُ مَرْحَبِ، وَلَمْ يَزَلْ قَبْلَ
كُشُوفِ الْكُرْبِ مُجَلِّي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ، فَمَنْ كَانَ يَكْشِفُ الْكُرْبَ عَنْ
وَجْهِ النَّبِيِّ؟

أَلَيْسَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الْأَبْعَدُ مِيرَاثَ النَّبِيِّ، وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى
بِحِفْظِ الْأَقْرَبِ؟ فَمَا بِالْكُمِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَذْهَبُونَ إِلَى الْأَبْعَدِ وَتُصَدِّقُونَهُ فِي

١ كشف الغمة ص ٢٤٦

لتعرف من أنت؟

دَعَوَاهُ أَنَّهُ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وَفِي مِيرَاثِ النَّبِيِّ؟ وَمِنْ ذَلِكَ الْمِيرَاثِ؛ الْحُكْمُ. فَهَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَبِيًّا فَقَطًّا، أَمْ كَانَ نَبِيًّا حَاكِمًا يُمَارِسُ الْحُكْمَ وَيُمَارِسُ السُّلْطَةَ؟ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرِثُ النَّبِيَّ ﷺ فِي هَذَا الشَّأْنِ؟

أحداث السقيفة وحجج السلطة الانقلابية

زَعَمَتْ سُلْطَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَنَّهَا أَوْلَىٰ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَتِلْكَ كَانَتْ حُجَّتَهُمْ. هَكَذَا خَطَبُوا فِي مَعْشَرِ الْأَنْصَارِ لَمَّا اجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ رَامِينَ أَنْ يُنْصَبُوا خَلِيفَةً، وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.

فَبَيَّانَةٌ حُجَّةٌ صَرَفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ الْخِلَافَةَ وَالْحُكْمَ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَسَائِرِ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: لِإِنَّا نَحْنُ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ، نَحْنُ أَهْلُهُ، نَحْنُ رَهْطُهُ، فَلِذَلِكَ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمَقَامِهِ وَبِسُلْطَانِهِ وَبِشُؤُونِ السُّلْطَةِ مِنْكُمْ.

لِنَأْخُذْ صُورَةَ تَارِيخِيَّةً عَمَّا جَرَى فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ. أَنْتَقِي لَكُمْ هَذَا الْمَقْطَعِ مِمَّا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَقْطَعُ وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ فِي مَصَادِرَ شَتَّى؛ كِتَابِ رِخِ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرِهِ. فِي الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ تَحْتَ عُنْوَانِ "حَدِيثُ السَّقِيفَةِ وَخِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ"، يَقُولُ: «لَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، اجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِيُبَايَعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَأَتَاهُمْ

وَمَعَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ الْجَرَّاحُ . فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ^١. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «مِنَّا الْأُمَرَاءُ وَمِنْكُمْ الْوُزَرَاءُ»، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ؛ عُمَرَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ». فَقَالَ عُمَرُ: «أَيْكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَخْلُفَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ؟^٢ فَبَايَعَهُ عُمَرُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ -أَوْ بَعْضُ الْأَنْصَارِ-: لَا نُبَايِعُ إِلَّا عَلِيًّا». قَالَ: «وَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ وَبَنُو هَاشِمٍ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ عَنِ الْبَيْعَةِ. وَقَالَ الزُّبَيْرُ: لَا أَعْمِدُ سَيْفًا حَتَّى يُبَايَعَ عَلِيٌّ». فَقَالَ عُمَرُ: «فَخَذُوا سَيْفَهُ وَاضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ». ثُمَّ أَتَاهُمْ عُمَرُ قَاخَذَهُمْ لِلْبَيْعَةِ... وَسَمِعَ عُمَرُ الْخَبَرَ فَأَتَى مَنْزِلَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِيهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ اخْرُجْ إِلَيَّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنِّي مُشْتَغِلٌ. فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ لَأَبْدُ لَكَ مِنْ حُضُورِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ، فَمَضَى مُسْرِعِينَ نَحْوَهُمْ وَمَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ». فَقَالَ عُمَرُ:

١ أَي إِذَا لَمْ تَكُونُوا قَائِلِينَ بِمِرْشِحِنَا سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تُصْبِحَ هُنَالِكَ اازِدْوَاجِيَّةً فِي الْإِمْرَةِ وَفِي السُّلْطَةِ؛ سُلْطَةً لِلْأَنْصَارِ عَلَيْهَا أَمِيرٌ، وَسُلْطَةً لِّلْمُهَاجِرِينَ عَلَيْهَا أَمِيرٌ.

٢ يَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ، فَمِنْ مِنْكُمْ يَتَقَدَّمُ هَذَيْنِ الْقَدَمَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ؛ لِأَنَّهُ كَمَا تَعْلَمُونَ، جَرَتْ مَوَاطِرَةٌ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، خُطَّةٌ مُدْبِرَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَائِشَةُ لِتَرْوِيرِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَيَّامِ النَّاسِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ لِكَيْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَكَانَتْ قَدَمَهُ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا، بَلْ كَانَتْ خُطَّةً بَيْنَهُمْ.

لتعرف من أنت؟

«فَاتَيْنَاهُمْ، وَقَدْ كُنْتُ زَوْرَتْ كَلَامًا أَقُولُهُ لَهُمْ^١، فَلَمَّا دَنَوْتُ أَقُولُ، أَسْكَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَتَكَلَّمْتُ بِكُلِّ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ^٢، فَحَمِدَ اللَّهُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا شَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ، لِيَعْبُدُوهُ وَيُوحِّدُوهُ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً شَتَّى مِنْ حَجَرٍ وَخَشَبٍ. فَعَظَّمُ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرُكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فَخَصَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ قَوْمِهِ بِتَصَدِيقِهِ وَالْمُوَاسَاةِ لَهُ وَالصَّبْرِ مَعَهُ عَلَى شِدَّةِ أَدَى قَوْمِهِمْ لَهُمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ. وَكُلُّ النَّاسِ لَهُمْ مُخَالِفٌ زَارٍ عَلَيْهِمْ^٣، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَشَنَفِ النَّاسِ لَهُمْ^٤. فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، لَا يُنَازِعُهُمْ إِلَّا الظَّالِمُ. وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَنْ لَا يُنْكِرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَا سَابِقَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ، فَنَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُرَرَاءُ، لَا تُفَاوِتُونَ بِمَشُورَةٍ، وَلَا تُقْضَى

١ أَي هَيَأْتُ كَلَامًا مُزَوَّرًا حَتَّى أَقُولَهُ لِلْأَنْصَارِ.

٢ يَقُولُ عُمَرُ إِنَّ تَزْوِيرِي لَمْ يُفْلِحْ، بَلْ ظَهَرَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَيْرٌ أَكْثَرَ مِنِّي فِي التَّزْوِيرِ، فَقَدْ أَسْكَنِي أَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ حَظِيْبًا، وَتَكَلَّمْتُ بِمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهُ وَبِأَحْسَنِ مِنْهُ.

٣ غَاضِبٌ عَلَيْهِمْ

٤ بُغِضَ النَّاسِ لَهُمْ

دُونَكُمْ الْأُمُورُ^١ فَقَامَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ الْجُمُوحُ^٢ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ،
 اْمْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي ظِلِّكُمْ، وَلَنْ يُجْتَرِيَ مُجْتَرِيٌّ عَلَيَّ
 خِلَافِكُمْ، وَلَا يَصْدُرُوا إِلَّا عَن رَأْيِكُمْ. أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ وَأَوْلُو الْعَدَدِ وَالْمَنْعَةِ
 وَذَوُو الْبَأْسِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ مَا تَصْنَعُونَ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيَفْسَدَ عَلَيْكُمْ
 أَمْرُكُمْ. فَإِنَّ أَبِي هَوُلاءِ إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ، فَمِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ». فَقَالَ عُمَرُ
 «هَيْهَاتَ! لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ فِي قَرْنٍ! وَاللَّهِ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ تُؤَمَّرَكُمْ وَنَبِيَّهَا

١ هَذِهِ الْخُطْبَةُ لِأَبِي بَكْرٍ عَلَى مَاذَا تَرْتَكِرُ؟ إِنَّهَا تَرْتَكِرُ عَلَى أَنَّهُ: نَحْنُ الَّذِينَ نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مُنْذُ
 بَدَأَ بَعَثْتَهُ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، لَا يُنَازِعُنَا إِلَّا ظَالِمٌ؛ لِأَنَّنا
 أَقْرَبُ، نَحْنُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَنْتُمْ أَنْصَارٌ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ بَعِيدُونَ عَنِ قَبِيلَةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَا
 نُنْكِرُ بِأَنَّكُمْ نَصَرْتُمْ وَهَاجَرَ النَّبِيُّ إِلَيْكُمْ، وَلَكِنَّا أَرْقَى مِنْكُمْ، مِنَّا الْأَمْرَاءُ وَمِنْكُمْ الْوُزَرَاءُ. وَمَعَ
 ذَلِكَ لَا نَسْتَبِدُّ عَلَيْكُمْ؛ فَلَا تُفَاوِتُونَ بِمَشُورَةٍ، وَدَائِمًا نَجْعَلُهَا سُورَى بَيْنَنَا، لَكِنَّ الْأَمْرَةَ لَنَا، وَلَا تَصِحُّ
 لِعَيْرِنَا، لِأَنَّنا نَحْنُ الَّذِينَ نَصَرْنَا، نَحْنُ الَّذِينَ تَعَبْنَا، وَنَحْنُ الَّذِينَ تَلَقَّيْنَا شَتْفَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ
 وَبَعْضَاءِهِمْ. نَحْنُ الَّذِينَ تَحَمَّلْنَا، نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ فَنَحْنُ أَوْلَى. إِذَنْ، هُوَ يَرْتَكِرُ عَلَى هَذَا
 الشَّيْءِ: عَلَى الْأَقْرَبِيَّةِ لِلنَّبِيِّ نَسَبًا، وَعَلَى الْأَكْثَرِ بِلَاءٍ وَتَحَمُّلاً وَصَبْرًا. وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مَرْدُودَانِ عَلَيْهِ.
 لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَحْتَجُّ بِالْأَقْرَبِيَّةِ، فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْرَبُ وَأَقْرَبُ. وَإِنْ كُنْتَ تَحْتَجُّ بِأَكْثَرِ
 بِلَاءٍ وَصَبْرًا وَتَحَمُّلاً وَجَهَادًا، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ جِهَادِ وَصَبْرِ عَلِيٍّ؟ أَيْنَ أَنْتَ وَأَيْنَ بُطُولَاتِكَ فِي الْحُرُوبِ؟
 وَأَيْنَ بُطُولَاتِكَ فِي الْعَرَوَاتِ؟ لَقَدْ كُنْتَ دَائِمًا فِي الصَّفِّ الْأَخِيرِ أَوْ هَارِبًا مَعَ صَاحِبِكَ! أَمَّا عَلِيٌّ فَهُوَ
 فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ فَاتِلْ عَمْرٍو وَمَيْمُرَ مَرْحَبٍ، كَمَا يَقُولُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ هَذَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ رَافِضًا فِي الْبِدَايَةِ لِبَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَمُصْرًا عَلَى مَبْدَأِ مَنَا أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ

لتعرف من أنت؟

مِنْ غَيْرِكُمْ^١ وَلَا تَمْتَنِعِ الْعَرَبُ أَنْ يُؤَيَّيَّ أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ^٢ وَلَنَا بِذَلِكَ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ، مَنْ يُنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ؟^٣.

كَانَ ارْتِكَازُهُمْ هُوَ هَذَا: عَلَى أَنَّ نَحْنُ الْأَقْرَبُ، نَحْنُ الْأَوْلَى، نَحْنُ الْعَشِيرَةُ، نَحْنُ الْأَوْلِيَاءُ، نَحْنُ أَهْلُ النَّبِيِّ.

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام وكشف المغالطات

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنَ الْأَيَّامِ الْأُولَى أَبْطَلَ وَأَدْحَضَ حُجَّتَهُمْ هَذِهِ. وَرَدَّ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: «قَالُوا: لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قَالَ عليه السلام: «مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ؟» قَالُوا: قَالَتْ: مَنَا أَمِيرُ

١ فَالنَّبِيُّ مِنْ فُرَيْشٍ، نَحْنُ مِنْ فُرَيْشٍ، وَأَنْتُمْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، فَالنَّبِيُّ لَيْسَ مِنْكُمْ فَالْعَرَبُ لَا تَقْبَلُ بِكُمْ.

٢ وَهَذَا أَيْضًا مَرْدُودٌ عَلَى عَمَرَ؛ فَالنُّبُوَّةُ فِي أَيِّ قَبِيلَةٍ مِنْ فُرَيْشٍ؟ بَنُو هَاشِمٍ. فَإِذَنْ، عَلَى مِيزَانِكَ وَقِيَاسِكَ أَيْضًا: لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ تُؤَمَّرَكُمْ يَا سَائِرَ بَطُونِ قَبَائِلِ فُرَيْشٍ وَنَبِيَّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ، وَلَا تَمْتَنِعِ الْعَرَبُ أَنْ تُوَيَّيَّ أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ، إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نَخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَأْتِي لِنَسْتَبْعِدَ أَصْنَافًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَيْضًا، لِنَرَى أَيَّ بَيْتٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ؟ بَيْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عليه السلام. وَهَكَذَا تَسِيرُ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْأَقْرَبِينَ، وَلَيْسَ هُنَالِكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَدِهِ. هَذَا شَيْءٌ وَاضِحٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اثْنَانِ، فَلِمَاذَا لَمْ تُسَلِّمُوا لَهُمُ الْأَمْرَ؟ هَذِهِ مُصَادَرَةٌ لِلأَوْلِيَّةِ؛ يُرِيدُونَ أَنْ يُصَادِرُوا الْأَوْلِيَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام وَيَجْعَلُونَهَا حِكْرًا عَلَى بَطُونِهِمْ وَعَلَى قَبَائِلِهِمْ. وَاللَّطِيفُ أَنْ عَمَرَ يُفِرُّ وَيَقُولُ: «وَلَنَا بِذَلِكَ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ»

٣ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٨٧

وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟» قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا فِي حُجَّةٍ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَرُ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ^١. ثُمَّ

١ أَنَّ النَّبِيَّ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، إِذَا كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ فَلِمَاذَا يُوصِي الْآخَرِينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ؟ لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَرُ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ، يَعْنِي أَنْ يُوصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ. وَبَعْضُ الْحَمَقَى مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ الْآنَ، يَحْتَجُّونَ بِهَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقَوْلِ: إِنَّهُ لَا إِمَامَةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ هُمُ الْأَوْصِيَاءُ وَالْوَصِيَّةُ فِيهِمْ، وَأَمِيرُكُمْ عَلِيٌّ يَقُولُ: "لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَرُ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ". هَوْلَاءِ حَمَقَى لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ "بِهِمْ" وَ"فِيهِمْ"! كَمْ هُنَاكَ مِنْ أَنْحِدَارٍ فِي الْفِكْرِ الْبَكْرِيِّ وَالنَّاطِقِينَ الْبَكْرِيِّينَ الْيَوْمَ وَبَقَايَا مَنْ يَنْطِقُ بِاسْمِ الْمَلَّةِ الْبَكْرِيَّةِ، يَقُولُونَ: إِذَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ الْوَصِيَّةُ "فِيهِمْ" فَإِذَنْ لَا إِمَامَةَ "لَهُمْ"! لَا يَعْرِفُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ قَوْلِنَا "الْوَصِيَّةُ فِيهِمْ" وَبَيْنَ قَوْلِنَا "الْوَصِيَّةُ بِهِمْ". إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَجَعَلَ وَصِيَّتَهُ "فِيهِمْ"، فَهَمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ. أَمَّا الْأَنْصَارُ فَأَوْصَى "بِهِمْ"، قَالَ: أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ. نَعَمْ، أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "بِهِمْ"، بِمَعْنَى أَنْ الْمُؤْمِنَ يَحْتَرِمُهُمْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَدَّوَّهُمْ، أَنْ يُحِبَّهُمْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، إِلَى مَا هُنَالِكَ. لَكِنَّ هَذَا مُخَالَفٌ عَنْ قَوْلِنَا: فَلَيْسَ هَذَا هُوَ مَوْرِدُ الْإِحْتِجَاجِ، مَوْرِدُ الْإِحْتِجَاجِ أَنْ الْوَصِيَّةُ فِي أَهْلِهِ، فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، فِي عِزَّتِهِ الْأَقْرَبِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لتعرف من أنت؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا: اِخْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «اِخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ»^٢.

مواجهة أمير المؤمنين المُباشرة لرموز الانقلاب!

وَهُنَاكَ مَوْقِفٌ آخَرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَحَضَ فِيهِ حُجَّةَ أَبِي بَكْرٍ .
يُرْوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ تَحْتَ عُنْوَانٍ: «إِبَايَةُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا». ثُمَّ يَفْصِلُ فَيَقُولُ: «ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَيْ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ». فَقِيلَ لَهُ: بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ: «أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، لَا أَبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْبَيْعَةِ لِي. أَخَذْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَاسْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمُ بِالْقَرَابَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَأْخُذُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ غَضَبًا؟! أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ لِلْأَنْصَارِ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ، فَأَعْطَوْكُمْ الْمَقَادَةَ، وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمْ الْإِمَارَةَ؟ وَأَنَا أَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا اسْتَجَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ: نَحْنُ أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَأَنْصِفُونَا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ،

١ اِخْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ شَجَرَةُ النَّبِيِّ، فَعَلَى فَرَضِ أَنَّكُمْ مِنَ الشَّجَرَةِ نَفْسَهَا -شَجَرَةُ قُرَيْشٍ-، فَشَجَرَةُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَفْرَعٌ، وَأَنْتُمْ ذَهَبْتُمْ بِهَا يَمِينًا وَيَسَارًا، فِي حِينٍ أَنْ هُنَاكَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَمَرَةٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، اِخْتَجُّونَ بِالشَّجَرَةِ وَتَضَيُّعُونَ الثَّمَرَةَ؟ يَعْني لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبُوا إِلَى الْأَقْرَبِ وَالْأَصْلِ؟

^٢ نهج البلاغة، الخطبة ٦٧

وَإِلَّا فَبُوءُوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «إِنَّكَ لَسْتَ مَتْرُوكًا حَتَّى تَبَايَعَ». فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «أَحْلِبْ حَلْبًا لَكَ شَطْرُهُ^١، وَاشْدُدْ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ يُرَدِّدُهُ عَلَيْكَ غَدًا^٢، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ يَا عُمَرُ لَا أَقْبَلُ قَوْلَكَ وَلَا أَبَايَعُهُ»^٣.

١ أَنْتَ تَحْلُبُ لِصَاحِبِكَ الْيَوْمَ حَتَّى تَأْخُذَ شَطْرَ الْحَلِيبِ لَكَ لِاحِقًا. هَكَذَا يُفَسِّرُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي العبارة التالية.

٢ أَنْتَ الْيَوْمَ مُتَحَمِّسٌ تُرِيدُ أَنْ تُثَبِّتَ أَرْكَانَ وَحُكُومَةَ وَسُلْطَةَ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَيُوصِيَ لَكَ. وَبِالْفِعْلِ هَذَا الَّذِي حَدَّثَ؛ فَأَبُو بَكْرٍ فِي حَالِ الْإِحْتِضَارِ قَالَ: إِنِّي أَوْلِيَّ عَلَيْكُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ تَقَاسُمَ مِيرَاثِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَيْسَتْ الْقِضِيَّةُ لِلَّهِ، بَلْ كُلُّهَا مَصَالِحُ دُنْيَوِيَّةٌ. هَلْ تَتَّصِرُ أَنْ عُمَرَ لَدَيْهِ اعْتِقَادٌ حَقِيقِيٌّ فِي أَبِي بَكْرٍ؟ كَلَّا، بَلْ أَنْ فِي بَعْضِ تَوَارِيخِ أَهْلِ الْخِلَافِ مَذْكَورٌ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنَ أَبِي فُحَّافَةَ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ عُمَرُ: «دُؤَيْبَةُ سَوْءٌ! وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ»؛ يَعْنِي أَنَّ أَبَاهُ كَانَ أَشَرَّ مِنْهُ. هَؤُلَاءِ قَوْمًا جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا، لَمْ يَجْمَعُهُمْ هَدَفٌ مُقَدَّسٌ. زُمْرَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَمْثَالُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَبُو عُيَيْدَةَ الْجَرَّاحُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَطَلْحَةُ، وَعُثْمَانُ، وَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا وَقَالُوا: لِنَنْتَهِزِ الْفُرْصَةَ؛ فَعَلِيَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَشْغُولٌ بِالنَّبِيِّ، وَالْعَرَبُ غَيْرُ رَاضِيَةٍ عَنْهُ وَلَا نُحِبُّهُ، وَقَدْ قَتَلَ أَبْطَاهُمْ وَلَهُ نَارَاتٌ فِي كُلِّ الْقَبَائِلِ، وَيَعْرِفُونَ عَنْهُ أَنَّهُ صَارِمٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُصَيِّقُ عَلَيْهِمْ؛ فَأَرَادُوا أَنْ يَتَنَفَّسُوا، فَإِذَا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيُخْتَقُونَ أَيضًا، فَاصْطَنَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ فَلَسَفَةً جَدِيدَةً، وَهِيَ الشُّورَى الدِّمُوقْرَاطِيَّةُ!

٣ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٨

الالتفاف على مفهوم "العتره" وتزييف دلالاته

إِنَّ السُّلْطَةَ الْإِنْقِلَابِيَّةَ لَمْ تَكْتَفِ بِمُصَادَرَةِ مَفْهُومِ الْأَوْلِيَّةِ وَالْأَقْرَبِيَّةِ، بَلْ بَلَغَ مِنْ وَقَاحَتِهَا أَنَّهَا صَادَرَتْ حَتَّى مَفْهُومَ "الْعِثْرَةِ". ادَّعَوْا أَنَّهُمْ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ. وَهَذِهِ نُقْطَةٌ لَمْ أَجِدْ فِي حُدُودِ اطِّلَاعِي حَتَّى فِي كُتُبِنَا نَحْنُ الْإِحْتِجَاجِيَّةِ مِنَ التَّفَتِّ إِلَيْهَا، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ.

لِمَاذَا كَانَ يَزْعُمُ هَذَا الزَّعْمَ يَدَّعِي هَذَا الْإِدِّعَاءَ الْخَطِيرَ؟ يُرِيدُ الْإِلْتِفَافَ عَلَى الْوَصَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْأَوَامِرِ الْمُتَوَاتِرَةِ مِنَ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ فِي اتِّبَاعِ الثَّقَلَيْنِ: الْقُرْآنِ وَالْعِثْرَةِ. رَسُولُ اللَّهِ دَائِمًا يُوكِّدُ عَلَى هَذَا الشَّيْءِ: الْخَلِيفَتَانِ الْقُرْآنُ وَالْعِثْرَةُ. فَمَاذَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ رَفَعُوا شِعَارَ «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ». وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمِضْ مَعَهُمْ حَتَّى يُلْغُوا السُّنَّةَ وَالْعِثْرَةَ. فَاضْطَرُّوا آخِرًا فِي أَوَّلِ مُنَازَعَةٍ فِي حُكُومَةِ أَبِي بَكْرٍ - الْمُنَازَعَةُ عَلَى أَرْضِ فَدَكٍ - هَلِ احْتَجُّوا بِالْقُرْآنِ؟ هَلِ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَاحْتَجَّ عَلَى الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُصَادَرَةِ فَدَكٍ مِنْهَا بِالْقُرْآنِ؟ لَمْ يَحْتَجَّ بِالْقُرْآنِ، بَلِ احْتَجَّ بِالسُّنَّةِ. زَعَمَ أَنَّ هُنَاكَ حَدِيثٌ - وَهُوَ مُخْتَلَفٌ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةٌ».

فَفِي أَوَّلِ اخْتِبَارٍ لِمَنْهَجِيَّةِ السُّلْطَةِ فِي أَنَّهَا بِالْفِعْلِ تَلْتَزِمُ بِشِعَارِ «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ» فَشِلْتِ فِي هَذَا الْاِخْتِبَارِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ أَخَذَتْ بِالْكِتَابِ فَقَطْ سَتَكُونُ الْحُجَّةُ لِلزَّهْرَاءِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. لِأَنَّ الزَّهْرَاءَ اخْتَجَّتْ بِالْكِتَابِ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ ١.

لَا يُوجَدُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُورَثُ. فَالزَّهْرَاءُ اخْتَجَّتْ عَلَيْهِمْ بِمَنْطِقِهِمْ وَبِالْقَانُونِ الَّذِي هُمْ سَنُوهُ، وَلَكِنْ وَجَدُوا أَنَّ هَذَا لَا يَتْلَأَمُ مَعَ مَصَالِحِهِمْ، فَالْجَبُّوا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى السُّنَّةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ أَفْرَادًا مُعَيَّنِينَ حَاكِمِينَ عَلَيْهَا، هُمْ يَبِينُونَ وَيُفْصَلُونَ السُّنَّةَ، فَلَيْسَ أَيُّ أَحَدٍ يَفْهَمُ السُّنَّةَ. وَهُمْ أَوْصِيَاؤُهُ مِنْ عِثْرَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

فَاضْطَرُّوا لِأَنَّ يَرْفَعُوا هَذِهِ اللَّافِتَةَ عَلَى حُكُومَتِهِمْ: «نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ». مُصَادَرَةٌ لِمَفْهُومِ الْعِثْرَةِ، يَعْنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيْسَ لَهُمْ أَيُّ مَزِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

لَا حِظَّ فِي كِتَابِ النَّهْيَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ لِابْنِ الْأَثِيرِ الَّذِي شَرَحَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْأَلْفَاظَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْأَحَادِيثِ، يُعَلِّقُ عَلَى قَوْلِهِ ﷺ: «خَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي» وَيَقُولُ: «عِثْرَةُ الرَّجُلِ

لتعرف من أنت؟

أَخْصُ أَقَارِبِهِ، وَعِترَةُ النَّبِيِّ بِنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقِيلَ أَهْلُ بَيْتِهِ الْأَقْرَبُونَ وَهُمْ
أَوْلَادُهُ وَعَلِيٌّ وَأَوْلَادُهُ وَقِيلَ عِترَتُهُ الْأَقْرَبُونَ وَالْأَبْعَدُونَ مِنْهُمْ، وَمِنْهُ حَدِيثُ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَحْنُ عِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْضَتُهُ الَّتِي تَفَقَّاتُ
عَنْهُ. لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ-^٢ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ وَسَّعَ مَفْهُومَ الْعِترَةِ اعْتِمَادًا
عَلَى كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ، فِي أَنَّهُ حَتَّى أَبُو بَكْرٍ الَّذِي هُوَ مِنْ قَبِيلَةِ تَيْمٍ، مَا شَأْنُهُ
بَيْنِي هَاشِمٍ أَصْلًا؟ عُمَرُ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي عَدِيٍّ، مَا شَأْنُهُ بَيْنِي هَاشِمٍ؟ عُثْمَانُ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةَ، مَا شَأْنُهُ بَيْنِي هَاشِمٍ؟ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَبَاعِدَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ
أَيْضًا مَشْمُولُونَ بِالْعِترَةِ!

مَعْنَى ذَلِكَ فِي التَّشْهَدِ حِينَ نَقُولُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ" مِنْ
حَيْثُ لَا نَشْعُرُ نَحْنُ نُصَلِّي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ! فَهَؤُلَاءِ -بِرِزْمِهِمْ-
عِترَةُ الرَّسُولِ! أَلَيْسَ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ عِترَةَ الرَّجُلِ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ الْخَاصُّونَ
بِهِ، الْأَدْنَوْنَ وَالْأَقْرَبُونَ؟ عَلَى هَذَا لَا يَكُونُ هُنَالِكَ اخْتِصَاصٌ لِلْعِترَةِ أَصْلًا!
الْعِترَةُ مِنْ أَيْنَ اسْتَقْتَّ لُغَةً؟ هُنَاكَ نَبْتَةٌ مَوْجُودَةٌ يُقَالُ لَهَا "الْعِترَةُ"، هَذِهِ النَّبْتَةُ
مِيزَتُهَا لَمَّا تَنْبَتُ، تَتَمَدَّدُ عَلَى الْأَرْضِ فَتُنْشِئُ لَهَا فُرُوعًا كَثِيرَةً مِنْ نَفْسِ

١ يُورِدُهَا عَلَى سَبِيلِ الـ"قِيلَ" لِكَيْ يَجْعَلَكَ مُتَذَكِّرًا وَأَنْ لَيْسَ هُنَاكَ مَعْنَى مُحَدِّدًا وَثَابِتًا، مَعَ أَنَّ عَلِيًّا
وَأَوْلَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمْ عِترَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَطْعًا

٢ النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧٧

الأصل، فهذه مجموعها يُقال لها عِترَةٌ. فيكون التشبيه لما أحد يقول "عِترتي" يعني قصده: أنا والفروع القريبة مني، أنا، أبنائي، بناتي، أبي، أخي، هؤلاء الأقرباء. فبين رسول الله وبين أبي بكرٍ كم هناك من مسافة حتى يجيء هذا ويصبح من نفس هذه البنتة! ما لكم كيف تحكمون؟
يدعي أبو بكرٍ هكذا ادعاءً تزيفًا وتحريفًا ومصادرةً للمفاهيم
الإسلامية

أثر مصادرة العترة في الفقه وأصوله

وبالفعل رتبوا على هذا الادعاء لأبي بكرٍ آثارًا. أرجعوا إلى بعض كتبهم الأصولية في أصول الفقه؛ هنالك حينما يردون على الشيعة في احتجاج الشيعة بأنه لازم اتباع أهل البيت عليهم السلام لأنهم العترة، يقولون: العترة لا تخص فقط أهل البيت، بل تتوسع وتشمل حتى بقية من يسمونهم الصحابة من قريش، وتشمل أبا بكرٍ، لأن أبا بكرٍ يقول هذا الكلام.

هنالك كتاب شهير من كتب الفرقة البكرية في أصول الفقه اسمه روضة الناظر لابن قدامة المقدسي، هذا الكتاب شرحه أحد أعلامهم، أو بالأحرى اختصره؛ مختصر روضة الناظر لنجم الدين سليمان الطوفي، هنالك تقرأ تحت عنوان "مسائل في الإجماع" تحت فرع إجماع أهل

لتعرف من أنت؟

الْبَيْتِ. يَقُولُ: «وَلَا يَنْعَقِدُ الْإِجْمَاعُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ وَحَدَهُمْ خِلَافًا لِلشَّيْعَةِ...»
قَالُوا: «كِتَابُ اللَّهِ وَعِزَّتِي». قُلْنَا: الْمُعَلَّقُ عَلَى شَيْئَيْنِ لَا يُوجَدُ بِأَحَدِهِمَا،
وَالْكِتَابُ يَمْنَعُ مَا ذَكَرْتُمْ، ثُمَّ الْعِثْرَةُ لَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْبَيْتِ».

فِي شَرْحِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ (فِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ) يَذْكُرُ هُنَا عِبَارَةً لَطِيفَةً،
يَقُولُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ قَوِيَّةٌ فِي جَوَابِ دَلِيلِ الشَّيْعَةِ، غَيْرَ أَنَّ
جَوَابَهُمْ عَنْهَا قَوِيٌّ مُتَيَسِّرٌ أَيْضًا... إِنَّ الْعِثْرَةَ لَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْبَيْتِ، بَلْ هِيَ فِي
اللُّغَةِ نَسْلُ الرَّجُلِ وَرَهْطُهُ الْأَذْنُونُ، كَذَا رَوَى الْجَوْهَرِيُّ. وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا
بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ. قُلْتُ: وَلَهُمْ أَنْ يُجِيبُوا عَنِ الْأَوَّلِ^٢
بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتَهُ لَنْ يَتَفَرَّقَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا لَا
يَتَنَافِيَانِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْبَيْتِ حُجَّةٌ بِنَفِي الرَّجْسِ عَنْهُمْ،
فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مُوَافَقَةُ الْكِتَابِ لِإِجْمَاعِهِمْ وَعَدَمُ مُنَافَاةِهِ لَهُمْ، وَأَنَّ مَا ذَكَرْتُمُوهُ

١ أَنَّ إِجْمَاعَهُمُ الَّذِي يُعْتَدُّ بِهِ عَمَلِيًّا هُوَ مَا خَرَجَ عَنْهُ أَهْلُ الْبَيْتِ! وَبَصْرِيحُ الْعِبَارَةِ يَقُولُ ابْنُ
خَلْدُونَ فِي تَارِيخِهِ ج ١ ص ٥٦٤: «وَشَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبِ ابْتِدَاعِهَا!» وَهُنَا يَقُولُ: «خِلَافًا
لِلشَّيْعَةِ»؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ رَأْيَ الشَّيْعَةِ، نَحْنُ أَصْلًا لَا نَقُولُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ، نَحْنُ نَقُولُ قَوْلَ
الْمَعْصُومِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ كُلَّ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ أَجْمَعُوا عَلَى شَيْءٍ، لَكِنَّ الْمَعْصُومَ قَالَ
بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَإِجْمَاعُهُمْ لَيْسَ حُجَّةً. الْإِجْمَاعُ الْحُجَّةُ عِنْدَنَا هُوَ الْإِجْمَاعُ الدُّخُولِيُّ فَحَسْبُ، الَّذِي
يَدْخُلُ فِيهِ الْمَعْصُومُ، وَالَّذِي هُوَ كَاشِفٌ عَنْ حُكْمِ الْمَعْصُومِ لَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

٢ دَعَايَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اقْتِرَانِ الْكِتَابِ بِالْعِثْرَةِ فِي الْإِجْمَاعِ

مِنْ دَلِيلِ الْإِجْمَاعِ الْعَامِّ لَا يَثْبُتُ وَقَدْ سَبَقَ مَا فِيهِ. وَعَنِ الثَّانِي^١: بِأَنَّهُ مَرْدُودٌ بِقَوْلِهِ: «وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ هُمْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ»^٢. وَبِالْفِعْلِ الْجَوَابُ صَحِيحٌ.

وهذا كالبركية الذين يقولون أن أهل البيت يعم حتى زوجات النبي بدلالة السياق في القرآن؛ أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٣، هذه واردة في سورة الأحزاب في مجموعة آيات فيها خطاب لنساء النبي ﷺ، فيقول هذه قرينة على أن المراد أن أهل البيت هن الأزواج.

في حين يعرض عن كل الأحاديث المستفيضة -وهو يرويها- وفيها أن النبي ﷺ يعين حدود أهل البيت ويقول: «هؤلاء أهل بيتي» تطهيراً. تأتيه أم سلمة تقول له: يا رسول الله، أدخلني معهم وأنا من أهل بيتك؟ فيقول: «إنت على مكانك وإنت على خير»^٤.

١ أن العترة لا تختص بأهل البيت لقول أبي بكرٍ نحن عترة رسول الله

٢ مختصر روضة الناظر لنجم الدين سليمان الطوفي، ج ٣ ص ١٠٧

٣ الأحزاب: ٣٤

٤ سنن الترمذي ح ٣٢٠٥

لتعرف من أنت؟

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُمْ: الْمُرَادُ بِكَلِمَةِ عِثْرَتِي هُمْ "أَهْلُ بَيْتِي"، فَيَتْرُكُونَ كَلَامَ النَّبِيِّ، وَيَأْخُذُونَ بِكَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي يَقُولُ: "نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ!" فَهَؤُلَاءِ أَتْبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ أَمْ أَتْبَاعُ أَبِي بَكْرٍ؟ نَبِيُّهُمْ مَنْ؟ رَسُولُ اللَّهِ أَمْ أَبُو بَكْرٍ؟ هَذِهِ مُشْكِلَتُنَا مَعَهُمْ؛ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ قَوْلًا فَيَتْرُكُونَهُ وَيَأْخُذُونَ قَوْلَ غَيْرِهِ، حَسَدًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ، انْكَارًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ، جُحُودًا لِلشَّرْعِيَّةِ، مُخَالَفَةً عَمْدِيَّةً لِلشَّيْعَةِ. الْمُهْمُ عِنْدَهُمْ يُخَالِفُ الرَّافِضَةَ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّمُ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ، وَعُمَرُ يُحَلِّلُ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ، فَيَأْخُذُونَ بِكَلَامِ عُمَرَ! رَسُولُ اللَّهِ يُحَرِّمُ وَلَا يَعْتَدُ بِالطَّلَاقِ الْبِدْعِيِّ -طَلَاقِ الثَّلَاثِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، أَوِ الطَّلَاقِ فِي غَيْرِ طَهْرٍ، أَوِ الطَّلَاقِ بِغَيْرِ إِشْهَادٍ-، رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ هَذَا الطَّلَاقُ لَا يَقَعُ، أَمَّا عُمَرُ فَقَدْ أَمْضَاهُ، فَيَقُولُونَ: نَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ! ثُمَّ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ السُّنَّةِ! إِنَّهَا سُنَّةُ عُمَرَ وَسُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَسُنَّةُ عَائِشَةَ.

وَإِلَّا لَمَا يَقَعُ تَعَارُضٌ بَيْنَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ هَؤُلَاءِ، أَلَسُنِّي الْحَقِيقِيُّ إِنَّمَا يَتَّبِعُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَتَّبِعُ هَؤُلَاءِ.

وَأَنْتُمْ تَرُودُونَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؑ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ وَغَيْرِهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؑ لَمَّا سُئِلَ: مَنْ أَهْلُ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ أَهْلُ السُّنَّةِ؟ قَالَ: «فَأَمَّا أَهْلُ

الجماعة فأننا ومن أتبعني وإن قلوا... وأما أهل السنة المتمسكون بما سنّه الله لهم ورسوله وإن قلوا وإن قلوا...»^١.

أحاديث العترة وتحديد رسول الله لمعناها

أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عِنْدَهُمْ بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ يُحَدِّدُ الْمَفْهُومَ مِنَ الْعِتْرَةِ فَيَقُولُ: «عِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي»، وَلَمْ يَقُلْ عِتْرَتِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. اِقْرَأْ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي بَابِ مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَاءِ يَخْطُبُ^٢ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»^٣.

وَبَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ بِحَدِيثَيْنِ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنِ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ

^١ كنز العمال ج ١٦ ص ١٨٤

^٢ لِأَنَّهَا آخِرُ حَجَّةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيُوكِّدَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ سَيَتَوَلَّى زِمَامَ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ

^٣ سنن الترمذي ح ٣٧٤٨

لتعرف من أنت؟

إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي. وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَاَنْظُرُوا
كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»^١.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»^٢.

فَمَعَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي يُحَدِّدُ فِيهَا النَّبِيُّ مَا الْمُرَادُ مِنَ الْعِثْرَةِ،
وَيَقُولُ عِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَدُ فَاطِمَةَ، مَعَ كُلِّ هَذَا الْوُضُوحِ، مَعَ كُلِّ هَذِهِ
الصَّرَاحَةِ، تَذَهَبُ لِتَتَشَبَّهَ بِمَقُولَةِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: "نَحْنُ عِثْرَةُ
رَسُولِ اللَّهِ!" وَتُرْتَبُ عَلَيْهَا آثَارًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفِي الْفِقْهِ، حَتَّى تُبْعَدَ الْأُمَّةُ
عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، عَنْ عِثْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّينَ!

وَاللَّطِيفُ أَنَّكَ تَجِدُ أَنَّهُمْ يَرُؤُونَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ خِلَافَ ذَلِكَ أَيْضًا، وَلَكِنْ
يَجْرَحُونَهُ وَيُضَعِّفُونَهُ.

فِي سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ، فِي "بَابِ الصَّدَقَةِ فِي الْعِثْرَةِ": يَبْحَثُ مَسْأَلَةَ الصَّدَقَةِ فِي
الْعِثْرَةِ فَيَقُولُ: «قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: هِيَ لِوَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ،

^١ سنن الترمذي ح ٣٧٥٠

^٢ سنن أبي داود ح ٤٢٨٢

وَلْعَشِيرَتِهِ الْأَذْنِينَ^١، يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا، وَبَيَضَتْهُ الَّتِي تَفَقَّاتَ عَنْهُ». - يَمْضِي الْبَيْهَقِيُّ فَيُرْوِي عَنْ أَبِي دَعْفَلِ الْهَجِيمِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ مَعْقَلَ بْنَ يَسَارِ الْمُزَنِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ». وَفِي هَذَا الْإِسْنَادِ بَعْضُ مَنْ يُجْهَلُ، وَيُذَكَّرُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ السَّقِيفَةِ: «نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ»^٢.

إِذَنْ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ احْتَجَّ بِأَنَّهُ هُوَ وَالْعِصَابَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ. أَرَبَطَ هَذَا بِمَا جَاءَ فِي بَدْءِ حَدِيثِنَا لَمَّا نَقَلْنَا مَا جَرَى فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ كَمَا فِي كِتَابِ الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ. لَمَّا قَالَتِ الْأَنْصَارُ: «لَا نُبَايِعُ إِلَّا عَلِيًّا». لِأَبَدٍّ وَأَنْ حَدَّثَتْ بَيْنَهُمْ مُسَاجَلَاتٌ؛ أَنْ لِمَاذَا لَا تُبَايِعُونَ إِلَّا عَلِيًّا؟ حَتَّمَا قَدْ قَالُوا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَانَا بِالْكِتَابِ وَالْعِثْرَةِ وَهَذَا هُوَ الْعِثْرَةُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَاضْطَرَّ أَبُو بَكْرٍ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِهَذَا الْجَوَابِ وَقَالَ: "نَحْنُ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ؛ حَتَّى يُصَادَرَ هَذَا الْمَقَامَ مِنَ الْخَلِيفَةِ الشَّرْعِيِّ.

١ أي: الصَّدَقَةُ الَّتِي حُرِّمَتْ عَلَى الْعِثْرَةِ هَذِهِ تَحْرُمُ عَلَى وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ، أَحْفَادِ ﷺ، وَأَيْضًا الْعَشِيرَةُ الْأَذْنِينَ الَّذِينَ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ! فَتَكُونُ الصَّدَقَةُ حَتَّى عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ حَرَامًا!

٢ سنن البيهقي برقم ١١٥٩٥

لتعرف من أنت؟

هَكَذَا يَجْرِي تَحْلِيلُ أَحْدَاثِ التَّارِيخِ حَتَّى تَفْهَمُوا طَبِيعَةَ الصَّرَاحِ،
وَطَبِيعَةَ تِلْكَ الْمُنَاوَشَاتِ، وَمَاذَا جَرَى مِنْ خِيَانَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
وَقَدْ نَقَلْتُ لَكُمْ فِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ أَنَّ بَعْضَ عُلَمَائِهِمْ لَمْ يَتَوَقَّفُوا عِنْدَ
هَذَا الْحَدِّ، بَلْ قَالُوا: "كُلُّ الْأُمَّةِ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَعِثْرَتُهُ". كُلُّ هَذَا
يَصْنَعُونَهُ جُحُودًا لِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِرَارًا مِنْ ثُبُوتِ حَقِّهِمْ فِي وِرَاثَةِ رَسُولِ
اللَّهِ، وَفِي وِرَاثَةِ سُلْطَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَقَامِ الْحُكْمِ وَالْإِمَامَةِ. كُلُّ هَذِهِ
الِادِّعَاءَاتِ لَمْ تَبْدَأْ إِلَّا الْآنَ، بَلْ بَدَأَتْ مِنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ لَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٍو رَفَعَا
هَذَا الشُّعَارَ، وَقَالَا: "لَنَا بِذَلِكَ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ".

مواقف الأئمة وبطولة الحسين عليه السلام في المواجهة

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا وَاجَهُهُمْ، وَالسَّبْطُ الْأَكْبَرُ الْحَسَنُ الْمُجْتَبَى
عَلَيْهِمَا وَاجَهُهُمْ، وَالسَّبْطُ الْأَصْغَرُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَلِيًّا وَاجَهُهُمْ كَذَلِكَ.
مَوَاقِفُهُ عَلِيًّا فِي مُوَاجَهَةِ هَذِهِ الْمُصَادَرَةِ لِلْأَحَقِّيَّةِ وَالْأَوْلَوِيَّةِ مِنْ أَرْوَعِ
الْمَوَاقِفِ، وَلَكِنْ وَاسْفَاهُ عَلَى أُمَّةٍ لَا تَعْرِفُ!

نَقَلْتُ فِي مُحَاضِرَاتِي كَيْفَ أَنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلِيًّا جَاءَ كَاللَيْثِ أَمَامَ
الطَّاعِيَةِ الثَّانِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَقَالَ لَهُ: «انزِلْ
أَيْهَا الْكَذَّابُ عَنْ مَنبَرِ أَبِي». وَالتَّتِي يَرُويهَا صَاحِبُ الْإِحْتِجَاجِ، الْعَلَّامَةُ

الطَّبْرَسِيُّ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، يقول: «أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ أَنَّهُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ^١، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: «انزِلْ أَيُّهَا الْكَذَّابُ عَنْ مِنْبَرِ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ لَا مِنْبَرِ أَبِيكَ». إِلَى أَنْ يَمْضِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولَ: «يَا بَنَ الْخَطَّابِ، فَأَيُّ النَّاسِ أَمَرَكَ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ تُؤْمَرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى نَفْسِكَ لِيُؤْمَرَكَ عَلَى النَّاسِ، بِلَا حُجَّةٍ مِنْ نَبِيِّ، وَلَا رِضَاً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَرِضَاكُمْ كَانَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِضَاً؟ أَوْ رِضَاً أَهْلِهِ كَانَ سُخْطاً؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِللِّسَانِ مَقَالاً يَطُولُ تَصْدِيقُهُ، وَفِعْلاً يُعِينُهُ الْمُؤْمِنُونَ، لَمَا تَخَطَّاتِ رِقَابَ آلِ مُحَمَّدٍ تَرَقَّى مِنْبَرَهُمْ^٢ وَصَرَّتِ الْحَاكِمَ عَلَيْهِمْ بِكِتَابِ نَزَلَ فِيهِمْ^٣، لَا تَعْرِفُ مُعْجَمَهُ،

١ هذا أيضاً من جملة المصادرات لمقاماتهم وحقوقهم عليه السلام، بل وصل الأمر إلى أن ادعت عائشة أن النبي لما أراد أن يكتب الكتاب أراد أن يُعين أبا بكرٍ وقال: «يَأْتِي اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» [صحيح البخاري ٥٦٦٦، صحيح مسلم ٢٣٨٧]! لَوْ كَانَ الرَّسُولُ سَيِّعِينَ أَبَا بَكْرٍ، هَلْ كَانَ عَمْرٌ يَصْنَعُ كُلَّ هَذِهِ الْجَلْبَةِ وَهَذَا الصِّيَاحِ وَيَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ؟ وَهُوَ نَفْسَهُ يَعْتَرِفُ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَنْ يُوَصِّيَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي شَرْحِ النَّهْجِ [ج ١٢ ص ١٩] يَقُولُ: «إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَهُ - أَيَّ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي مَرَضِهِ، فَصَدَدَتْهُ عَنْهُ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ وَانْتِشَارِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ...»

٢ «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِللِّسَانِ مَقَالاً يَطُولُ تَصْدِيقُهُ»؛ يَعْنِي اللَّسَانَ يُصْبِحُ طَوِيلاً بِحَيْثُ يُصَدِّقُ عَلَى الْأَرْضِ، مَعْنَى ذَلِكَ مُطَابَقَةُ الْفِعْلِ لِمَا قُلْتَهُ بِلِسَانِكَ. الَّذِينَ قَالُوا لَا نُبَايِعُ عَلِيًّا، مَا التَزَمُوا، «وَفِعْلاً يُعِينُهُ الْمُؤْمِنُونَ» لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَفْعَالٌ وَرِجَالٌ؛ «لَمَا تَخَطَّاتِ رِقَابَ آلِ مُحَمَّدٍ تَرَقَّى مِنْبَرَهُمْ»

٣ إِذْ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لتعرف من أنت؟

ولا تدري تأويله إِلَّا سَمَاعَ الْأَذَانِ الْمُخْطِئِ وَالْمُصِيبِ عِنْدَكَ سَوَاءً، فَجَزَاكَ
اللَّهُ جَزَاكَ وَيَسْأَلُكَ عَمَّا أَحَدَّثْتَ سُؤَالَ حَفِيًّا^١.

أَيْنَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الشَّيْعَةُ عَنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ؟

لِمَاذَا خُطَبَاءُ الْمَنْبَرِ الْحُسَيْنِيِّ لَا يَنْقُلُونَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي يَرَوِيهَا وَاحِدٌ مِنْ
أَكْبَرِ عُلَمَائِنَا، صَاحِبِ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ؟ لِمَاذَا عَلَى الْمَنْبَرِ أَوْ عَلَى
الْحُسَيْنِيَّاتِ لَا تُرْفَعُ هَذِهِ اللَّافِتَةُ: قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «انزِلْ
أَيُّهَا الْكُذَّابُ عَنْ مَنْبَرِ أَبِي؟» حَتَّى تَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ الْحُسَيْنَ وَصَفَ عُمَرَ
بِالْكَذَّابِ! لِمَاذَا نَكْتَفِي بِأَنْ نُعَلِّقَ فِي الْحُسَيْنِيَّاتِ مَا قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي
يَزِيدَ، كَقَوْلِهِ عليه السلام: «وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ». أَلَيْسَ لَازِمًا أَنَّ الْأُمَّةَ تَعْرِفُ
مَوْقِفَ الْحُسَيْنِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَائِشَةَ؟

تَعَالَ وَانظُرْ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ فِي عَائِشَةَ
وَكَيْفَ وَصَفَهَا بِالْفَاحِشَةِ فِي قَضِيَّةِ مُنَارَعَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَعَ عَائِشَةَ
يَوْمَ الْبَغْلَةِ لَمَّا قَامَتْ عَلَى بَعْثِهَا تَأْمُرُ بِرَشْقِ جِنَازَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ
عليه السلام بِالسَّهَامِ!، قَالَ لَهَا: «وَقَدْ أَدْخَلْتِ أَنْتِ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الرَّجَالَ^٢.

١ الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٣

٢ الكافي ج ١ ص ٣٥٠

هَذِهِ الْحَقَائِقُ يَجِبُ أَنْ تَظْهَرَ لِلْأُمَّةِ، هَذَا يَسْتَأْهَلُ أَنْ يُضَحِّيَ الْإِنْسَانُ
بِرُوحِهِ مِنْ أَجْلِهِ، لِكِي لَا تَمُوتَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ.

هَذَا مَنَهْجُنَا؛ مَنَهْجُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، لِمَ يَسْكُتُ الْحُسَيْنُ، قَاوَمَ أَبَا بَكْرٍ
وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَائِشَةَ. وَقَدْ تَوَجَّحَتْ مَوَاقِفُهُ الْجِهَادِيَّةُ الْبَطُولِيَّةُ يَوْمَ الْعَاشِرِ
مِنْ مُحَرَّمٍ، تَوَجَّحَهَا فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمُقَاوَمَةِ يَزِيدَ. حَرَكَةُ الْمَصَادَرَةِ بَدَأَتْ مِنْذَ أَنْ
صَادَرَهَا أَبُو بَكْرٍ، حَيْثُ صَادَرَ الْأَوْلَوِيَّةَ وَالْأَقْرَبِيَّةَ وَالْعِثْرَةَ، وَمِنْ بَعْدِهِ جَاءَ
عُمَرُ، قَالَ: "أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ"، جَاءَ عُثْمَانُ فَصَادَرَهَا، وَدَارَ
الزَّمَانُ إِلَى أَنْ صَارَ يَزِيدُ هُوَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ! هُوَ الْأَوْلَى بِمِيرَاثِ
رَسُولِ اللَّهِ! أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُحَارِبُهُمْ بِالْأَمْسِ -بَنُو أُمَّيَّةَ
وَبَقَايَا الْأَحْزَابِ وَالطُّلُقَاءِ- جَاءُوا وَتَسَيَّدُوا عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ!

أشعار الإمام الحسين عليه السلام في إثبات أحقيته ومظلوميته

الْحُسَيْنُ عليه السلام لِمَ يَسْكُتُ. وَقَالَ أَشْعَارًا فِي تَأْكِيدِ أَنَّهُ عليه السلام لَهُ الْحَقُّ،
وَالْأَوْلَوِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ لَهُ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الْمُغْتَصِبُونَ لِلشَّرْعِيَّةِ، الْمُغْتَصِبُونَ
لِلْأَوْلَوِيَّةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ يَزِيدُ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ وَالْعَذَابُ). فِي كَشْفِ الْغُمَّةِ
هُنَالِكَ أَكْثَرُ مِنْ آيَاتِ شِعْرِيَّةٍ لَهُ عليه السلام نَخْتِمُ بِهَا. يَقُولُ عليه السلام:

أَبِي عَلِيٍّ وَجَدِّي خَاتَمُ الرُّسُلِ *** وَالْمُرْتَضُونَ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِي

لتعرف من أنت؟

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَالْقُرْآنُ يُنطِقُهُ *** أَنْ الَّذِي بِيَدِي مَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ لِي
مَا يُرْتَجَى بِأَمْرِي وَلَا قَائِلًا عَدْلًا *** وَلَا يَزِيغُ إِلَى قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
وَلَا يُرَى خَائِفًا فِي سِرِّهِ وَجَلًّا *** وَلَا يُحَادِرُ مَنْ هَفُوٍ وَلَا زَلَلٍ
يَا وَيْحَ ١ نَفْسِي مِمَّنْ لَيْسَ يَرْحُمُهَا ٢ *** أَمَا لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ مَثَلٍ
أَمَالَهُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ مُعْتَبَرٌ *** مِنَ الْعَمَالِقَةِ الْعَادِيَةِ الْأُولِ ٣
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَغْبُونُ، شِيمَتُهُ *** إِنِّي وَرِثْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ رَسُولٍ
أَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنْ آلِهِ فَبِمَا *** تَرَى اعْتَلَّتْ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ عِلَلٍ ٥
و فِي قَصِيدَةِ أُخْرَى يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

١ الْوَيْحُ كَلِمَةٌ رَحْمَةً تُقَابَلُهَا كَلِمَةُ الْوَيْلِ

٢ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَكَاَلَبُوا عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَصَادَرُوا حُقُوقَنَا، وَالنَّاسُ الَّذِينَ اغْتَرَوْا بِهِمْ.

٣ قِصَّةُ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ اعْتَدَوْا وَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ

٤ الْمَخْدُوعُ

٥ يَعْنِي بِأَيِّ عِلَّةٍ اعْتَلَّتْ، بِأَيِّ حُجَّةٍ احْتَجَجْتَ؟ «وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ عِلَلٍ»، أَلَدِّينُ صَرِيحٌ وَاضِحٌ
لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَالَاتٌ

٦ كَشَفَ الْغَمَّةَ ج ٢ ص ٢٤٧

إِذَا اسْتَنْصَرَ الْمَرْءَ امْرَأً لَا يَدَا لَهُ *** فَنَاصِرُهُ وَالْحَاذِلُونَ سَوَاءٌ^١
أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ تَعْلَمُونَ مَكَانَهُ *** وَلَيْسَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ طَخَاءٌ^٢
أَلَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ جَدِّي وَوَالِدِي *** أَنَا الْبَدْرُ إِنْ خَلَى النُّجُومَ خَفَاءُ
أَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ خَلْفَ بِيُوتِنَا *** صَبَاحًا وَمِنَ الصَّبَاحِ مَسَاءُ
يُنَازِعُنِي وَاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ *** يَزِيدُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ حَيْثُ يَشَاءُ
فَيَا نَصَحَاءَ اللَّهِ أَنْتُمْ وُلَاتُهُ *** وَأَنْتُمْ عَلَى أَدْيَانِهِ أَمْنَاءُ
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ *** تَنَاوَلَهَا عَنْ أَهْلِهَا الْبُعْدَاءُ.^٣

فَيْتَسَاءَلُ: بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَنَاوَلَ مِيرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ، مَقَامَ رَسُولِ
اللَّهِ، عَنَّا نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ، تَنَاوَلَهَا الْبُعْدَاءُ، حَتَّى كَمِثْلِ يَزِيدَ يَأْتِي وَيَتَنَاوَلُ
مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَهْلُهَا بَيْنَ ظَهْرَانِكُمْ!

هَذِهِ الْمَوَاقِفُ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَحْفَظَهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيُعَلِّمُونَهَا لِأَبْنَائِهِمْ، حَتَّى
يَعْرِفُوا أَدْوَارَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. هَذِهِ الْأَيَّامُ هِيَ أَيَّامُ النَّوْحِ وَالْبُكَاءِ،

١ أي إذا استنصرنا أحد لا قوة عنده ولا شجاعة، فهو والخاذل سواء.

٢ لا يوجد على الحق سحابة مظلمة تُغيب الحق.

٣ كشف الغمة ج ٢ ص ٢٤٥

لتعرف من أنت؟

وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تَمْتَرِجَ وَتَقْتَرِنَ بِإِظْهَارِ الْحَقَائِقِ عَنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا
قَالَ وَمَاذَا فَعَلَ؟

مَا زَالَتِ الْأُمَّةُ مَعَ الْأَسْفِ فِي نَقْصِ شَدِيدٍ عَنِ اكْتِشَافِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.
فمُعْظَمُ مَجَالِسِنَا - مَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ - تَعْرِضُ جَانِبًا يَسِيرًا، وَعَيْرَ مُتَعَمِّقٍ،
وَعَيْرَ مُتَدَبِّرٍ فِيهِ عَنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. نَحْتَاجُ إِلَى تَوْسِعٍ، وَنَحْتَاجُ إِلَى
تَعَمُّقٍ حَتَّى نَفْهَمَ الْحُسَيْنَ، وَنَفْهَمَ ثَوْرَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَلَا فَاذْدُبُوا إِمَامَكُمْ وَسَيِّدَكُمْ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ.

الحسين استدعاء لموت

القاطع للتشيط!

تأصيل الخنوع في الخطِ المُنَاوِي لأهل البيت

لَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْمُنَاوِيُّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام يُوصَلُ - وَلَا يَزَالُ بِنَحْوِ أَوْ
بِآخَرٍ يُوصَلُ لِهَذَا الْأَصْلِ الْمَعِيبِ - لِلْخُنُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ لِلظَّالِمِينَ.

فَعِنْدَمَا يَتَغَلَّبُ الظَّالِمُونَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا،
وَلَيْتَهُمْ يَكْتَفُونَ بِذَلِكَ، بَلْ إِنَّهُمْ يُضِيفُونَ إِلَيْهِ سَعْيًا بِالْفَسَادِ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ
وَمَفَاهِيمِهِ وَأُسُسِهِ. وَهَذَا الْأَمْرُ هُوَ مِنْ أخطرِ مَا يَكُونُ، وَمِنْ أَوْجَبِ مَا
يَتَطَلَّبُ الْمُوَاجَهَةَ وَالتَّصَدِّي؛ فَحِينَ يَعْبَثُ الْحَاكِمُ الظَّالِمُ بِالدِّينِ، فَإِنَّ هَذَا
الْعَبَثَ يُصْبِحُ مِنْ أَوْجَبِ التَّكَالِيفِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ الْمُؤْمِنِ مُوَاجَهَتُهَا
وَمُقَاوَمَتُهَا.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلِقِ بِالتَّحْدِيدِ، انْطَلَقَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ
إِغْمَاضَ الْعَيْنِ عَمَّا يَقُومُ بِهِ الظَّالِمُونَ مِنْ عِبَثٍ فِي دِينِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَلَا
يُمَكِّنُ التَّعَاضِي عَمَّا يَفْتَرُونَهُ مِنْ سَفْكِ لِلدَّمَاءِ، وَاسْتِثْنَارِ بِالْفِيءِ، وَظُلْمِ
لِلْعِبَادِ.

القعودُ الإيجابي (التقية الشرعية) مقابل القعودِ السلبي

وَفِي مُقَابِلِ هَذَا الْمَبْدَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُحْتُ الْإِنْسَانَ عَلَى أَنْ يَثُورَ ضِدَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، نَجِدُ الْمَبْدَأَ الْبَكْرِيَّ الَّذِي يُؤُولُ فِي حَقِيقَتِهِ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ لِلْأَمْرِ الْوَاقِعِ مَهْمَا حَدَثَ؛ فَإِنْ تَجَبَّرَ مُتَجَبَّرٌ، أَوْ اسْتَأْسَدَ ظَالِمٌ عَلَى النَّاسِ وَعَبَتَ بِيَدَيْهِ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْكَ هُنَا هُوَ مُجَرَّدُ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ لَا أَكْثَرَ، أَمَّا أَنْ تُعَيِّرَ شَيْئًا، أَوْ تَسْعَى لِلْمُوَاجَهَةِ، أَوْ تَهْتَمَّ بِالثَّوْرَةِ عَلَيْهِ، فَهَذَا أَمْرٌ غَيْرُ مُتَاحٍ لَكَ بَتَاتًا. وَهَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُصْطَلِحَ عَلَيْهِ بِـ"القُعودِ السَّلْبِيِّ".

إِنَّ الْقُعودَ عَنِ جِهَادِ الظَّالِمِينَ تَارَةً يَكُونُ قُعودًا إيجابيًا، وَهُوَ مَا يُصْطَلِحُ عَلَيْهِ فَفَهِيًّا بِمَرَحَلَةِ "التَّقِيَّةِ". وَالتَّقِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ - كَمَا بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ - هِيَ هَذَا الْقُعودُ الْإِيجابِي، الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ اسْتِرَاحَةِ الْمُحَارِبِ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ؛ إِذْ تَقْعُدُ لِعَدَمِ وُجُودِ الْكِفَاءَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْحُكْمِ الظَّالِمِ، أَوْ الْفِتْنَةِ الْمُتَجَبَّرَةِ الْبَاغِيَّةِ، وَلَكِنَّكَ فِي قُعودِكَ هَذَا تَسْتَجْمِعُ فُؤَاكَ، وَتُهَيِّئُ أَسْبَابَ الْمَنْعَةِ لِلْكَرَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، كَيْ تَعُودَ ثَانِيَةً لِمُقَاوَمَةِ هَذَا الْخَطِّ الْبَاطِلِ؛ خَطُّ الظُّلْمِ وَالتُّغْيَانِ وَالْإِنْحِرَافِ.

لتعرف من أنت؟

فَهَذَا هُوَ الْقُعُودُ الْإِيجَابِيُّ، أَمَّا الْقُعُودُ السَّلْبِيُّ فَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي يُنْظَرُ لَهُ
الْيَوْمَ عِنْدَ الطَّائِفَةِ الْبَكْرِيَّةِ، أَوْ الطَّائِفَةِ الْبَثْرِيَّةِ، أَوْ عِنْدَ بَعْضِ الْغَافِلِينَ مِنْ
الْإِمَامِيَّةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ تَحْوِيلَ التَّقِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى تَقِيَّةٍ مَغْلُوطَةٍ؛ فَيَسْعُونَ
لِتَحْوِيلِ التَّقِيَّةِ مِنْ حَالَةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ إِلَى حَالَةٍ دَائِمَةٍ، لِيُصْبِحَ الْوَاقِعُ الْعَمَلِيُّ
قَائِمًا عَلَى الْقُعُودِ الْمَحْضِ، لَا أَنَّكَ فِي قُعُودِكَ تُهَيِّئُ أَسْبَابَ الْقُوَّةِ لِلثَّوْرَةِ مِنْ
جَدِيدٍ.

وَهَذَا الْأَمْرُ يَنَاقِضُ كُلِّيَّةَ مِنْهَاجِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام، بَلْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
مِنْهَاجُ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ عَارَضُوا حَرَكَتَهُ، وَمِنْهَاجُ أَعْلَامِ الطَّائِفَةِ الْبَكْرِيَّةِ،
وَلَيْسَ مِنْهَاجَنَا وَلَا مِمَّا تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ أُمَّتِنَا عليه السلام، وَإِنَّمَا تَعَلَّمَهُ مُحَالِفُونَا مِنْ
أُمَّتِهِمْ، ثُمَّ جَاءَ عُلَمَاؤُهُمْ لِيُوصِّلُوا لَهُ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِيُشَكِّكُوا مِنْ خِلَالِهِ فِي
ثَوْرَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام.

السجال الفكري بين "منهاج الكرامة" و"منهاج السنة"

مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ؛ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ (رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ) أَلَّفَ كِتَابَهُ
الْمَعْرُوفَ مِنْهَاجَ الْكِرَامَةِ، وَفِي هَذَا الْكِتَابِ هَاجَمَ (عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ) طَائِفَةَ
أَهْلِ الْخِلَافِ، وَالْمُغَالِبِينَ مِنْهُمْ عَلَى التَّحْدِيدِ، فِي مَوْقِفِهِمْ مِنَ الطَّاعِيَةِ يَزِيدَ بْنِ
مُعَاوِيَةَ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، حَيْثُ قَالَ: "وَتَمَادَى بَعْضُهُمْ فِي التَّعَصُّبِ حَتَّى

اعْتَقَدُوا إِمَامَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ؛ مِنْ قَتْلِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَهْبِ أَمْوَالِهِ، وَسَبِي نِسَائِهِ".^١

وَفِي الْمَقَابِلِ، أَلَّفَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ أَسْمَاهُ مِنْهَاجُ السُّنَّةِ. وَفِي هَذَا الْكِتَابِ، يَرُدُّ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَلَى كَلِمَةِ الْعَلَّامَةِ الْحَلِيِّ فِي هَذَا الشَّأْنِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: "كَلَامُ الرَّافِضِيِّ عَلَى يَوْمِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَالرَّدُّ عَلَيْهِ".

وَتَحْتَ هَذَا الْعُنْوَانِ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الرَّافِضِيَّ (الْعَلَّامَةَ الْحَلِيَّ) قَدْ أَثَارَ قَضِيَّةَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا مَنَا وَعَاتَبْنَا عَلَى أَنَّنا اعْتَقَدْنَا إِمَامَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَنَحْنُ لَا لَوْمَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ!

فَبَحَثَ الْمَسْأَلَةَ وَسَوَّدَ صَفْحَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْعَلَّامَةِ الْحَلِيِّ، وَكَانَهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ دِفَاعِهِ عَنِ إِمَامَةِ يَزِيدَ، مُدَّعِيًا أَنَّ خُرُوجَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ كَانَ خُرُوجَ مَفْسَدَةٍ وَلَمْ يَكُنْ خُرُوجَ مَصْلَحَةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ لِرَامًا عَلَى الْحُسَيْنِ أَنْ يَخْضَعَ وَيَرْكَعَ لِيَزِيدَ، وَيُسَلِّمَ لَهُ وَيَقْبَلَ بِهِ!

وَيَرَى ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنَّ وظيفَةَ الْحُسَيْنِ عِنْدَمَا رَأَى مُنْكَرَاتِ يَزِيدَ هِيَ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ بِالْإِذْنِ فَقَطْ، وَأَنْ يَقْتَدِيَ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ

^١ منهاج الكرامة للعلامة الحلي ص ٨١

لتعرف من أنت؟

هُوَ مِنْ كِبَارِ أَعْلَامِ أَهْلِ الْخِلَافِ مِنَ التَّابِعِينَ، يَفْتَدُونَ بِهِ وَيُقَدِّسُونَهُ كَثِيرًا، فِي حِينِ أَنَّ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَصَفَهُ بِأَنَّهُ "سَامِرِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ" ١. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ "لَا مَسَاسَ"، وَكَانَ يَنْفِي وَجُوبَ جِهَادِ الْبَاغِينَ وَالَّذِينَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَيَنْظُرُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ إِلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ، وَتَدْمِيرِ الْإِسْلَامِ، وَالْعَبَثِ بِدِينِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَالْقَتْلِ، وَالِاغْتِصَابِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْجَوْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى أَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَا أَكْثَرَ، وَلَا يَتَحَرَّكَ خَشْيَةً وَقُوعِ الْمَفْسَدَةِ! وَهَذَا بِعِبَارَةٍ أُخْرَى يَعْني تَعْطِيلَ وَظِيْفَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَنْ تُحِبَّ السُّلْطَةَ حِينَهَا مِثْلَ هَذَا الشَّخْصِ؛ لِأَنَّهُ يُسَاعِدُهَا دَائِمًا، وَيَدْعُو إِلَى تَثْبِيْطِ النَّاسِ وَتَنْوِيْمِهِمْ، مَعَ إِفْرَارِهِ بِأَنَّ السُّلْطَةَ ظَالِمَةٌ.

وَلَمَّا جَاءَ عَصْرُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ (لَعَنَهُ اللَّهُ)، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مُعَاصِرًا لَهُ، ثَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْحَجَّاجِ لِطُغْيَانِهِ وَجَوْرِهِ، فَمَآذَا كَانَ يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي إِنْكَارِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الثَّائِرِينَ؟ هَذَا هُوَ عَيْنُ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ مِنْهَاجِ السُّنَّةِ عِنْدَمَا رَدَّ عَلَى الْعَلَّامَةِ

١ الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٦١

الْحَلِيِّ تَحْتَ الْعُنْوَانِ الْمَذْكُورِ أَنْفَاءً؛ حَيْثُ يَسْتَشْهَدُ بِكَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ
الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: "إِنَّ الْحَجَّاجَ عَذَابُ اللَّهِ، فَلَا تَدْفَعُوا عَذَابَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ،
وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْتِكَانَةِ وَالتَّضَرُّعِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ
أَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ وَمَا تَضَرَّعُوا﴾" ١.

فَيَرَى أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْوَضِيفَةُ الْمَحْضَةُ، بِمَا أَنَّ الْحَجَّاجَ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ،
فَكَيْفَ نَقَاوِمُ عَذَابِ اللَّهِ؟ وَلَا يَنْبَغِي دَفْعُهُ بِالْأَيْدِي - أَي لَا تَثُورُوا عَلَيْهِ - بَلْ
عَلَيْكُمْ بِالْخُنُوعِ وَالتَّضَرُّعِ فَقَطْ! وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا مَبْدَأٌ فِي غَايَةِ الْخُطُورَةِ،
مَبْدَأٌ يَهْدِمُ أُسُسَ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ أَخَذَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ كَلِمَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ هَذِهِ قَاعِدَةً وَأَمْثُولَةً لِيُدِينَ
بِهَا حَرَكَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَهَضَتْهُ الْمَجِيدَةَ، زَاعِمًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَفْرُوضِ
عَلَى الْحُسَيْنِ أَنْ يُفَكِّرَ بِمِثْلِ عَقْلِيَّةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسْلُوكُ
الصَّحِيحُ.

١ المؤمنون: ٧٨

٢ منهاج السنة ج ٤ ص ٥٢٩

تَنَاقُضَاتُ ثَوَرَاتِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مَعَ مَدْرَسَةِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَالْيَوْمَ وَجَدْنَا هَؤُلَاءِ
الثَّائِرِينَ عَلَى بَشَارِ الْأَسَدِ يَعْتَرِضُونَ بِابْنِ تَيْمِيَّةَ وَيَعْتَبِرُونَهُ قُدُورَةً لَهُمْ، فَلِمَاذَا
إِذَنْ تُخَالِفُونَ مَنْهَجَهُ؟!

فَهُوَ يَسْتَدِلُّ بِكَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ الْقَائِلِ: "إِنَّ الْحَجَّاجَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
فَلَا تَدْفَعُوا عَذَابَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ". فَإِذَا رَفَعْنَا كَلِمَةَ الْحَجَّاجِ وَوَضَعْنَا مَكَانَهَا
بَشَارَ الْأَسَدِ، لَقَلْنَا بِمُوجِبِ مَذْهَبِكُمْ: "بَشَارٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَلِمَاذَا تَدْفَعُونَ
عَذَابَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ"؟ وَعَلَيْكُمْ بِالْإِسْتِكَانَةِ وَالتَّضَرُّعِ! فَهَلْ يَقْبَلُ ثَوَارُ
سُورِيَا أَوْ مَا كَانَ يُسَمَّى بِـ"الْجَيْشِ الْحُرِّ" بِهَذَا الْكَلَامِ؟ قَطْعًا لَا يَقْبَلُونَ، بَلْ
يَقُولُونَ: كَيْفَ نَقْبَلُ بِالظَّالِمِ بَعْدَ أَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا، وَدَمَّرَ بِلَادَنَا، وَفَعَلَ مَا
فَعَلَ؟

إِذَنْ، كَيْفَ تَحْتَرِمُونَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ وَتُصَحِّحُونَ مَنْهَجَهُ وَتَدْعُونَ أَنْ كِتَابَهُ
هُوَ مَنْهَاجُ السُّنَّةِ؟

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ حَسَبَ ادِّعَائِكُمْ، فَلَا يُمَكِّنُكُمْ تَصْحِيحُ
ثَوَرَتِكُمْ شَرْعًا إِلَّا إِذَا قُلْتُمْ إِنَّ مَنْهَجَكُمْ حُسَيْنِيٌّ، وَلَيْسَ مَنْهَجَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَلَا
مَنْهَجَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَلَا مَنْهَجَ أَعْلَامِ أَهْلِ الْخِلَافِ. فَلَا يُمَكِّنُ تَصْحِيحُ

أَيُّ ثَوْرَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَّا بِاتِّبَاعِ أُسُسِ الْمَنْهَجِ الْحُسَيْنِيِّ، بِأَنْ تَسْتَدِلَّ بِكَلَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَرَجَ عَلَى يَزِيدَ وَقَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَامٍ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُحَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ"^١، وَقَالَ أَيْضًا: "إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَبِي عَلِيٍّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ"^٢.

فَهَذَا الْمِنْهَاجُ إِذَا اتَّخَذْتَهُ، تَمَكَّنْتَ مِنْ إِقَامَةِ الثَّوَرَاتِ، وَقُلْتَ إِنَّهَا ثَوَرَاتٌ شَرْعِيَّةٌ. أَمَّا إِذَا أَخَذْتَ بِمِنْهَاجِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَوْ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، أَوْ مَنْهَجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَوْ مَنْهَجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَهِيَ الْمَنَاهِجُ الَّتِي تَأَسَّسَتْ بِنَاءً عَلَى أَعْلَامٍ وَأَرْكَانٍ وَرُمُوزٍ الطَّائِفَةِ الْبَكْرِيَّةِ، فَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ الثَّوَرَاتِ تُعَدُّ عَضِيانًا لِلَّهِ بِمُوجِبِ مَذْهَبِكُمْ نَفْسِهِ.

١ تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٤

٢ مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٩

لتعرف من أنت؟

وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَرِّضُونَ الْيَوْمَ مِنْ كَهَنَةِ الطَّاغُفَةِ الْبَكْرِيَّةِ عَلَى الْفَضَائِيَّاتِ، مِثْلَ الْعَرَعُورِ وَغَيْرِهِ، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الثَّوَرَاتِ وَالْقَتْلِ وَالْمَقَاوِمَةِ، هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُرْتَدُّونَ عَنِ الْمَذْهَبِ الْبَكْرِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ يُخَالِفُونَ أُسُسَهُ وَيُغَالِطُونَ وَاقِعَهُمْ.

فَإِذَا صِرْتَ رَافِضِيًّا سَاعَتَيْدٍ يَكُونُ لَكَ الْحَقُّ فِي الثَّوْرَةِ، أَمَّا الْبَكْرِيَّةُ فَهِيَ دَائِمًا حَلِيقَةُ السُّلْطَانِ وَمَعَهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ السُّلْطَانُ رَافِضِيًّا فَيُثَوِّرُونَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أَلْبَسُوا هِمَّةَ الرَّفْضِ لِبَشَارِ الْأَسَدِ لِيَبْرُرُوا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَوَصَفُوهُ بِالْعَلَوِيِّ، مَعَ أَنَّ بَشَارًا لَا دِينَ لَهُ بَلْ دِينُهُ الْحَزْبِيُّ (الْبَعْثُ).

الغاية العظمى لنهضة سيد الشهداء عليه السلام

هنا مسألة لا يُتَّبَعُ إِلَيْهَا جَيِّدًا: آيَةُ ثَوْرَةٍ تِلْكَ الَّتِي طَلَبَهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هَلْ هِيَ الثَّوْرَةُ الَّتِي كَانَ يَبْتَغِي مِنْ وَرَائِهَا الْحُصُولَ عَلَى الْحُكْمِ فَقَطْ وَفَقَطْ؟ أَمْ الْحُصُولُ عَلَى الْحُكْمِ لِأَجْلِ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهِيَ ثَوْرَةُ الدِّينِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؟ لَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ هُوَ الثَّانِي.

ثُمَّ هُنَا سُؤَالَ ثَانٍ مُهِمٌّ جَدًّا لَا يُتَلَفَتُ إِلَيْهِ عَادَةً، وَهُوَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِحَسَبِ اعْتِقَادِنَا نَحْنُ الشَّيْعَةَ - كَانَ عَلَى اتِّصَالٍ بِاللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) يَتَلَقَّى الْأَوَامِرَ مِنْهُ، وَكَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُ سَيُقْتَلُ لَا مَحَالَةَ. وَهَذَا الْإِعْتِقَادُ لَيْسَ حَكْرًا

عَلَيْنَا، بَلْ حَتَّى الْمُخَالِفُونَ مَشْحُونُونَ بِالْأَدِلَّةِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِهَذَا؛ إِذْ تَضَافَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي تَنْبَأُ بِاسْتِشْهَادِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا هُمْ يَرَوْنَهُ، وَكَذَلِكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ، بَلْ وَعَنِ الْحُسَيْنِ نَفْسِهِ.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَالِمًا قَطْعًا بِأَنَّ حَرَكَتَهُ وَثُورَتَهُ لَنْ تُفْضِيَ إِلَى انْتِصَارٍ مُسَلَّحٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ لَا وُجُودَ لِانْتِصَارٍ عَسْكَرِيٍّ إِنِّي بَلْ سَيُقْتَلُ؛ فَمَا الْفَائِدَةُ الْمَرْجُوءَةُ مِنْ هَذِهِ الثَّوْرَةِ طَالَمَا أَنَّهَا لَنْ تُوَصِّلَ إِلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ؟

الْفَائِدَةُ تَتَجَلَّى فِي إِيقَاطِ الْأُمَّةِ؛ فَقَدْ كَادَتْ وَظِيفَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَكَادَ حُكْمُ جِهَادِ الظَّالِمِينَ أَنْ يُنْسِيَا عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِسَبَبِ رُمُوزِ الطَّائِفَةِ الْبَكْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُوَصِّلُ لِلْمَبْدَأِ الْمُنْحَرِفِ الَّذِي يَدْعُو لِلِاسْتِكَانَةِ وَالخُنُوعِ. وَفِي مُقَابِلِ هَذَا، مَنْ ذَا الَّذِي يُعِيدُ الْأُمَّةَ إِلَى مَبَادِيئِهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَيُوقِظُهَا وَيَجْعَلُهَا تَنْتَبِهَ إِلَى أَهْمِيَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجِهَادِ الظَّالِمِينَ وَالطَّوَاغِيَتِ؟ إِنَّهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: لَكَ أَنْ تَقْعُدَ إِذَا كُنْتَ أضعفَ مِنَ الْعَدُوِّ عَمَلًا بِالتَّقِيَّةِ، فَهَذَا حَقُّكَ الشَّرْعِيُّ، وَلَكِنْ إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِقُعُودِكَ مَبْلَغًا يُنْسَى فِيهِ الْإِسْلَامُ، أَوْ تَنْهَدِمُ أَحْكَامُهُ أَوْ أُسُسُهُ أَوْ مَبَادِيئُهُ، فَهَذَا لَا يَسَعُكَ الْقُعُودُ بِحُجَّةِ التَّقِيَّةِ

لتعرف من أنت؟

أَبَدًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَثُورَ، وَأَنْ تُمَدَّ رَقَبَتَكَ لِلسَّيْفِ. فَإِذَا قَعَدْتَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ كُنْتَ آثِمًا، وَتَكُونُ التَّقِيَّةُ الَّتِي تَتَشَبَّثُ بِهَا تَقِيَّةً مَغْلُوطَةً لَا شَرْعِيَّةً، وَلِيَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ جَلِيًّا وَوَاضِحًا؛ لِأَنَّ هَذَا الْإِلْتِبَاسَ رَاجِعٌ بَيْنَ النَّاسِ.

فَلَسَفَةُ الْمَوَاقِفِ: قُعودُ الْحَسَنِ وَقِيَامُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

إِنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَعَدَ وَلَمْ يَثُرْ، لِأَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفٍ أضعَفَ مِنْ كَفَّةِ مُعَاوِيَةَ (لَعَنَهُ اللهُ عَلَيْهِ) وَأَتْبَاعِهِ أَتْبَاعِ الضَّلَالَةِ. فَلِمَاذَا قَعَدَ الْحَسَنُ وَالْحَالُ ذَاتَهُ تَقْرِيبًا كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ؛ إِذْ كَانَتْ جَبْهَةُ الْحُسَيْنِ أضعَفَ عَسْكَرِيًّا مِنْ جَبْهَةِ يَزِيدَ؟ فَلِمَ لَمْ يَقْعُدْ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَيَسْتَنْ بِسُنَّةِ أَخِيهِ؟

الْجَوَابُ يَكْمُنُ فِي أَمْرَيْنِ: أَوَّلًا، إِنَّ قُعودَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ جَاءَ بَعْدَ مُنَاوَسَاتٍ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ.

ثَانِيًا، حِينَ قَعَدَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَبَادِيءُ الْعُظْمَى قَدْ نُسِيَتْ بَعْدُ؛ فَوْضِيْفَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ كَانَتْ حَاضِرَةً وَلَوْ فِي حُدُودِهَا الدُّنْيَا، وَلَمْ تُحْدَفْ مِنَ الْقَامُوسِ الْإِسْلَامِيِّ. أَمَّا حِينَ آلتِ النَّوْبَةُ إِلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ الْوَضْعَ قَدْ اخْتَلَفَ جَذْرِيًّا؛ إِذْ شَرَعَ النُّظَامُ الطَّاعِي فِي تَأْصِيلِ مَنْهَجٍ جَدِيدٍ يَقْضِي بِحَدْثِ الْمَبَادِيءِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ

القَامُوسِ عَمَلِيًّا، فَلَا أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا نَهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا جِهَادَ
لِلْمُتَجَبِّرِينَ، بَلْ أُصَلَّتِ الدَّلَّةُ كَيْ تَبْقَى وَتَسْتَحْكِمَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِيُصْبِحَ
دِينُ النَّاسِ دِينَ الْمَدَّةِ لَا دِينَ الْإِبَاءِ وَالْعِزَّةِ.

فَالْوَضْعُ كَانَ مُحْتَلِفًا تَمَامًا، وَلَا يَسَعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقْعُدَ، بَلْ كَانَ لِرِزَامًا
عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَضَ وَيَقُومَ؛ لِأَنَّ قُعودَهُ كَانَ يَعْنِي انْهَادَ الْإِسْلَامِ، بَيْنَمَا قُعودُ
الْإِمَامِ الْحَسَنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ؛ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ
لَا نَهَدَمَ الْإِسْلَامَ حِينَهَا؛ إِذْ كَانَ سَيُسْحَقُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ،
وَلَا نَفْرَدَ مُعَاوِيَةَ بِالْأَجْوَاءِ كُلِّهَا، وَهُوَ الرَّجُلُ الْمَاكِرُ الْحَيْثُ الثَّغْلُبُ الَّذِي
يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدُلُ مَعَالِمَ الدِّينِ كُلَّهُ بِمَكْرِهِ، بِخِلَافِ يَزِيدَ الَّذِي كَانَ طَائِشًا
لَا يَبْلُغُ مَكْرَهُ وَخِدَاعَهُ مُسْتَوَى أَبِيهِ.

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَإِنَّ مَوْقِفَ كِلَا الْإِمَامَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هُوَ الصَّوَابُ بِعَيْنِهِ فِي
ظُرُوفِهِمَا، وَلِذَلِكَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ:
"الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا"^١. وَلِمَاذَا لَمْ يَكْتَفِ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ
"إِمَامَانِ" فَقَطْ، بَلْ أَضَافَ "قَامَا أَوْ قَعَدَا"؟ لِكَيْ لَا يَشْتَبَهَ أَحَدٌ فَيَعْتَرِضَ عَلَى
قُعودِ الْحَسَنِ أَوْ قِيَامِ الْحُسَيْنِ، كَمَا فَعَلَ بَعْضُ الْقَاصِرِينَ الَّذِينَ جَاءُوا

١ علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٩

لتعرف من أنت؟

لِلْحَسَنِ وَاسْتَنَكروا قعوده وأرادوا القيام! وَجَاءَ آخِرُونَ لِلْحَسَنِ
وَاسْتَنَكروا خروجه وقيامه، وَكِلَا الطَّرْفَيْنِ كَانَا مُحْطِئَيْنِ؛ لَوْ تَدَبَّرُوا كَلَامَ
النَّبِيِّ ﷺ لَعَلِمُوا أَنَّهُمَا إِمَامَانِ مَفْرُوضَا الطَّاعَةِ فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ، وَهُمَا
أَعْلَمُ بِالْوَاجِبِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُصَحِّحَ لِلْإِمَامِ مَوَاقِفَهُ.

وَمِنْ هُنَا، كَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْحَسَنِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقُومَ، وَالْأَ
يَلْتَفِتَ إِلَى مَا يَطْرَحُهُ الْمُشَبِّطُونَ. وَهَؤُلَاءِ الْمُشَبِّطُونَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَرَادِلِ
النَّاسِ، بَلْ كَانُوا مِنْ عَلَيْهِ الْقَوْمِ وَمِنْ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ الرُّمُوزِ الْبَارِزَةِ فِي
الْمُجْتَمَعِ حِينَهَا، وَكُلُّهُمْ وَقَفُوا ضِدَّ الْحَسَنِ وَخَطَّوْا حَرَكَتَهُ، وَاعْتَبَرُوا
خُرُوجَهُ نَوْعًا مِنَ التَّهَوُّرِ وَالْمُخَاطَرَةِ غَيْرِ مُحْمُودَةِ الْعَوَاقِبِ. وَجَاءَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِلِسَانِ النَّاصِحِ يَدْعُوهُ لِلانْصِرَافِ عَنِ مَسِيرَتِهِ الْإِسْتِشْهَادِيَّةِ
التَّوْرِيَّةِ مُتَدَرِّعًا بِحُجَّةٍ مَا.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ! هَذِهِ الْحُجُجُ وَالذَّرَائِعُ مَا زَالَتْ تُسَوِّقُ إِلَى الْيَوْمِ، لَيْسَ
فَقَطُّ عِنْدَ أَهْلِ الْخِلَافِ، بَلْ حَتَّى فِي طَائِفَتِنَا أَيْضًا، حَيْثُ نَجِدُ الْمَنْطِقَ نَفْسَهُ
الَّذِي يُحَاوِلُ تَنْوِيمَ وَإِجْهَاضَ كُلِّ حَرَكَةٍ نَهْضَوِيَّةٍ تَبْتَغِي عَوْدَةَ الْأُمَّةِ إِلَى
صَفَاءِ دِينِهَا وَنَبْدِ الْمُنْحَرِفِينَ، لَا سِيَّمَا مَنْ تَسَلَّطَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُنْحَرِفَ إِذَا حَازَ
السُّلْطَةَ وَالْقُدْرَةَ صَارَ تَأْثِيرُهُ أَضَرُّ بِكَثِيرٍ، وَتَكُونُ مُوَاجَهَتُهُ أَضْعَبَ مِمَّا لَوْ
كَانَ بِلا سُلْطَةٍ. وَلَمْ يَلْتَفِتِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَؤُلَاءِ، بَلْ أَجَابَ كُلَّ وَاحِدٍ

مِنْهُمْ بِمَا يُنَاسِبُ عَقْلَهُ، مُسْتَحْضِرًا الْمَوْتَ الْقَاطِعَ لِتَشْبِيهِ الْمَثْبُطِينَ، وَمُطْلَقًا
كَلِمَتَهُ الْمَقْدَسَةَ الذَّهَبِيَّةَ: "مَوْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ
اللَّهِ".^١ فَإِذَا جَلَسْتُ وَاتَّبَعْتُ حُجَجَكُمْ صِرْتُ عَاصِيًا لِلَّهِ، وَهَذَا مَا لَا يَكُونُ
مِنِّي أَبَدًا.

حُجَجُ الْمَثْبُطِينَ وَمَوْقِفُ ابْنِ عَبَّاسٍ الدُّنْيَوِيِّ

وَبَعْدَ ذَلِكَ، تَوَجَّهَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام إِلَى الْحَجِّ، لَكِنَّهُ قَطَعَ حَجَّهُ وَحَوَّلَهُ
إِلَى عُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ رَئِيسِيَيْنِ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِمَا جِدًّا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْأَحْيَانِ؛

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: أَنَّ يَزِيدَ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) أَمَرَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ (لَعَنَهُ اللَّهُ) عَلَى
رَأْسِ جَيْشٍ، وَوَلَّاهُ أَمْرَ مَوْسِمِ الْحَجِّ لِيَقْبِضَ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْلَ
أَنْ يَأْمُرَهُ لِأَحِقًّا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى كَرْبَلَاءَ.

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنَّ يَزِيدَ شَكَّلَ فِرْقَةَ اغْتِيَالٍ سَرِيَّةٍ قِوَامُهَا ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ
شَيَاطِينِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى مَكَّةَ لِاقْتِتَالِ الْحُسَيْنِ كَيْفَمَا
اتَّفَقَ وَحَيْثُمَا وُجِدَ.

^١ نهج السعادة ج ٢ ص ٥٥٣

لتعرف من أنت؟

وَمَا وَصَلَ هَذَانِ النَّبَّانِ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، اضْطُرَّ لِقَطْعِ حَجَّهِ وَالْمَسَارَعَةِ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَمِنْهَا جُعِجِعَ بِهِ إِلَى كَرْبَلَاءَ. وَحِينَ شَاعَ فِي مَكَّةَ أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ قَطَعَ حَجَّهَ وَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ لِإِعْلَانِ الثَّوْرَةِ، قَامَتْ قِيَامَةٌ مَنْ يُعَدُّونَ حِينَهَا مِنْ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ ثَنِيَهُ عَنِ الْمَسِيرِ مُتَّخِذًا حُجَّتَهُ الشَّخْصِيَّةَ.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، الَّذِي جَاءَ إِلَى الْحُسَيْنِ مُتَحَدِّثًا بِمَنْطِقِ دُنْيَوِيٍّ بَحْتٍ، يُطَالِبُهُ فِيهِ بِالِامْتِنَاعِ عَنِ الْمَسِيرِ أَوْ تَعْدِيلِ الْخُطَّةِ الثَّوْرِيَّةِ لِيَكْسِبَ نَجَاحًا دُنْيَوِيًّا مَادِيًّا. وَنَعْرِفُ طَبِيعَةَ مَا دَارَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ خِلَالِ مُرَاجَعَةِ كُتُبِ التَّوَارِيخِ؛ وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو مَخْنَفٍ الْأَزْدِيُّ فِي كِتَابِهِ مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ، وَمَحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي كِتَابِهِ تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ، وَعَيْرُهُمْ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ كَابْنِ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ.

فَقَدْ ذَكَرُوا: "أَتَى الْحُسَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "يَا ابْنَ عَمِّ، إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ، إِنِّي أَتَخَوِّفُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْهَلَاكَ وَالِاسْتِئْصَالَ. إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدْرٌ فَلَا تَقْرَبْنَهُمْ، أَقِمْ فِي هَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ

الْحِجَازِ، فَإِنْ كَانَ أَهْلَ الْعِرَاقِ يُرِيدُونَكَ كَمَا زَعَمُوا فَارْتَبِطْ إِلَيْهِمْ فَلْيَنْفُوا
عَدُوَّهُمْ، ثُمَّ اقْدَمْ عَلَيْهِمْ^١ فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ، فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ؛ فَإِنَّ بِهَا
حُصُونًا وَشِعَابًا، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ، وَالْأَبْيَكُ بِهَا شِيعَةٌ، وَأَنْتَ عَنِ
النَّاسِ فِي عَزَلَةٍ، فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ وَتَبْتُ دُعَاتِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ
يَأْتِيَكَ عِنْدَ ذَلِكَ الَّذِي تُحِبُّ فِي عَافِيَةٍ^٢... فَإِنْ كُنْتَ سَائِرًا فَلَا تَسِرْ بِنِسَائِكَ
وَصَبِيَّتِكَ، فَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ تُقْتَلَ كَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَنِسَاؤُهُ وَوَلَدُهُ يَنْظُرُونَ

١ أي إن كانوا صادقين في طلب ولايتك، فارتبب إليهم ليقيموا بثورة مصغرة أولاً، ويخرجوا والي
بني أمية ويحرروا الكوفة، ثم تقدم عليهم، لا أن تأتي أنت لتبدأ مرحلة الثورة، بل دعهم يسبقوك
إليها.

٢ يرى أنه إذا صمم على الثورة، فعلى الأقل لا يذهب إلى العراق بل يتجه إلى اليمن لأن اليمن أرض
جبلية مليئة بالشعاب والجبال، مما يعني أنك تستطيع أن تذهب لتختبئ تحت تلك الشعاب حيث
لا يصل إليك العدو، فتتحصن هناك، ولديك في اليمن شيعه أيضاً، ليس في العراق فحسب، وهؤلاء
سيناصرونك. ومن هناك، وأنت في حصنك المنيع، تكتب رسائل للبلاد والأمصار تدعوهم فيها
للقيام والثورة، تكتب لهم ما تشاء، فيأتيك الأمر في عافية دون عناء، ويقومون هم بالثورة على
الظالمين من أجلك.

و لماذا يقترح ابن عباس على الإمام الحسين عليه السلام مثل هذه الاقتراحات؟ الجواب ببساطة: لأنه
غير معتقد بإمامته؛ فلو كان معتقداً بالإمامة لما اقترح مثل هذه الاقتراحات، إذ المعتقد بالإمامة
هو ذلك الذي يسلم للإمام تسليمًا مطلقًا، ويوقن أن ما يصنعه الإمام هو وحي يوحى من الله (عز
وجل)، فلا مجال للمناقشة ولا مكاناً لاقتراحات من هذا القبيل أصلاً.

لتعرف من أنت؟

إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِخُرُوجِكَ مِنَ الْحِجَازِ، وَهُوَ الْيَوْمَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعَكَ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَخَذْتَ بِشَعْرِكَ وَنَاصِيَتِكَ حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَيْنَا النَّاسُ أَطْعَمَنِي

١ إِنَّهُ لَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُخَاطَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، بِهَذَا الْمَنْطِقِ، وَأَنَّ يُمَاتِلَ بَيْنَ شَأْنِ الْحُسَيْنِ وَشَأْنِ الطَّاعِيَةِ عُمَيَّةَ عُثْمَانَ! وَبِالطَّبَعِ، لَمْ يَقْبَلِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيًّا مِنْ هَذِهِ الْإِفْتِرَاحَاتِ كُلِّهَا. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنِي بِذَلِكَ"، وَحِينَ سَأَلَهُ عَنْ حَمَلِ صَبِيئِهِ وَنِسَائِهِ أَجَابَهُ: "شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا". فَهَذَا أَمْرُ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَهَذِهِ تَضْحِيئَةٌ خَالِصَةٌ لِأَجْلِ الدِّينِ. لَكِنَّ هَذَا الْمَنْطِقَ لَا يَسْتَوْعِبُهُ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ رَجُلٌ دُنْيَوِيٌّ تَهْمُهُ الدُّنْيَا فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. لَقَدْ كَانَ كُلُّ حَوْفِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ أَنْ تَوَوَّلَ السُّلْطَنَةُ يَوْمًا مَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَلِلْعَلْمِ، كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَدُوَّيْنِ اللَّدُوْدَيْنِ، وَكَانَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَهُمَا مُسْتَحْكِمَةً لِدَرَجَةٍ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمُتُّ الْآخَرَ مَقْتًا شَدِيدًا. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحِجَازِ، فَسَيَسْتَفِرِدُّ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِهَا؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي ظِلِّ وَجُودِ الْحُسَيْنِ لَمْ يَكُونُوا يَعْدِلُونَ بِهِ أَحَدًا. كَانَ هُنَاكَ رُمُوزٌ وَأَكَابِرٌ، الرَّمْزُ الْأَوَّلُ وَالْأَعْظَمُ هُوَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَلِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ؛ هَؤُلَاءِ كَانُوا الرُّمُوزَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلٌ لَيْسَتْ لَهُ طَاقَةٌ عَلَى الثَّوْرَةِ، وَلَيْسَ صَاحِبَ سَيْفٍ أَوْ قِتَالٍ لِأَنَّهُ جَبَانٌ، فِي حِينِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ شُجَاعًا وَوَرِثَ الشَّجَاعَةَ عَنِ أَبِيهِ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ الطُّمُوحَ لِلسُّلْطَنَةِ. فَعَلِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ الْحُسَيْنَ إِذَا رَحَلَ، خَلَا الْأَمْرَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ. وَمِنْ هُنَا، كَانَ يَنْصَحُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَقَاءِ، أَوْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْيَمَنِ، لَيْسَ حِفْظًا لِحَيَاةِ الْحُسَيْنِ، بَلْ لِيَقْطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَى الْحُكْمِ. إِنَّهُ تَفَكَّرَ رَجُلٌ دُنْيَوِيٌّ بَحْتِ!

فَأَقَمْتُ، لَفَعَلْتُ ذَلِكَ^١ ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ:
قَرَّتْ عَيْنُ ابْنِ الزُّبَيْرِ. ثُمَّ أَنْشَدَ قَائِلًا:

يَا لِكَ مِنْ قُبْرَةٍ^٢ بِمَعْمَرٍ *** خَلَا لِكَ الْجَوْ فَيِضِي وَاصْفِرِي
وَنَقَّرِي مَا شِئْتُ أَنْ تُنَقَّرِي
هَذَا الْحُسَيْنُ يُخْرِجُ إِلَى الْعِرَاقِ وَيُخْلِيكَ وَالْحِجَازَ.

قيل: وكان الحسين يقول: "وَاللَّهِ لَا يَدْعُونِي حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَلَقَةَ
مِنْ جَوْفِي^٣ فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُدْهِمُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ مِنْ فُرْمِ
الْمَرْأَةِ". قال: وَالْفُرْمُ خِرْقَةٌ تَجْعَلُهَا الْمَرْأَةُ فِي قُبْلِهَا إِذَا حَاصَتْ"^٤.

١ انظروا إلى الجسارة والوقاحة وقلة الأدب! ابن عباسٍ يُخاطبُ سيِّدَ الشُّهَدَاءِ عليه السلام، حُجَّةَ اللَّهِ
وَإِمَامَ الْخَلْقِ فِي زَمَانِهِ، بِهَذَا الْأُسْلُوبِ! يَقُولُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّنِي إِذَا أَمْسَكْتُ بِشَعْرِكَ
وَنَاصِيَتِكَ وَجَرَرْتُكَ جَرًّا حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْنَا، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ تُطِيعُنِي وَتَبْقَى لَفَعَلْتُهَا، لَكِنِّي
أَعْلَمُ أَنَّنِي حَتَّى لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَنْ تُطِيعَنِي! هَلْ هَذَا خِطَابُ شَخْصٍ يَعْتَقِدُ بِإِمَامَةِ مَنْ يُحَاوِرُهُ؟!
كَيْفَ يُخاطِبُ إِمَامَهُ بِأَنْ يَقُولَ: أَخْذُ بِشَعْرِكَ وَنَاصِيَتِكَ؟! إِنَّهَا وَقَاحَةٌ مَا بَعْدَهَا وَقَاحَةٌ.

٢ (القُبْرَةُ) طَائِرٌ مَعْرُوفٌ، وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ. يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا نَصَبَ لَهَا فِخَاخًا وَوَضَعَ فِيهَا حُبُوبًا
لِيَصْطَادَهَا، وَانْتظَرَ سَاعَاتٍ فَلَمْ تَأْتِ، فَلَمَّا عَجَزَ أَخَذَ فِخْخَهُ وَهَمَّ بِالرُّجُوعِ، فَالْتَفَتَ وَرَاءَهُ فَإِذَا
بِالْقُبْرَةِ قَدْ جَاءَتْ تَأْكُلُ مِنَ الْحُبُوبِ، فَانْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي صَارَتْ مَثَلًا.

٣ أي يسفكوا دمي.

٤ مقتل الحسين لأبو مخنف ص ٦٥، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٨

لتعرف من أنت؟

انظر إلى منطِقِ ابنِ عَبَّاسٍ، إِنَّهُ مَنْطِقُ الْمَصْلَحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ لَمْ يَفْقَهُ وَلَمْ يَفْهَمْ ثَوْرَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا عَرَفَ مِنْهَا جَهْ، وَلَا دَرَى أَوْ اسْتَوْعَبَ أَنَّ الْحُسَيْنَ إِنَّمَا يَخْرُجُ نَائِرًا لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) لِإِيقَاطِ الْأُمَّةِ، لِإِيقَاطِ ضَمَائِرِهَا، لِإِحْيَاءِ الدِّينِ، لِإِمَاتَةِ الْبِدْعَةِ، لِإِقَامَةِ السُّنَّةِ، وَلِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. كُلُّ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ وَالغَايَاتِ وَالْأَهْدَافِ الْمَقْدَسَةِ لَمْ تَكُنْ مُسْتَوْعَبَةً عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مَنْطِقُهُ مَعَ الْحُسَيْنِ مَنْطِقًا دُنْيَوِيًّا نَفْعِيًّا بَحْتًا!

إِسْقَاطُ مَنْطِقِ الْمُشَبِّطِينَ عَلَى وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ

هَذَا سُؤَالَ مُهِمٍّ، أُرِيدُكُمْ أَنْ تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ جَيِّدًا؛ إِذْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِسَ قَضِيَّةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ. أَسْأَلُكُمْ: كَمْ شَخْصًا الْيَوْمَ يُعَارِضُ مِنْهَا جَنَّا هَذَا بِدَاعِي "الْمَصْلَحَةِ" وَبِنَفْسِ مَنْطِقِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟ تَقُولُ لَهُ: أَنَا أَثُورُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَالْمَعْرُوفُ هُوَ وَلايَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْمُنْكَرُ هُوَ وَلايَةُ أَعْدَائِهِمْ، فَهَذَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ نَنْهَى عَنْهُ. فَمَاذَا يَقُولُونَ لَنَا؟ يَقُولُونَ: "هَذَا خِلَافُ الْمَصْلَحَةِ!".

وَسُبْحَانَ اللَّهِ! هُمْ كَالزُّبُقِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَسِكَ بِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. أَتَذْكُرُ عِنْدَمَا كُنْتُ فِي الْكُوَيْتِ - وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ مِنْهَا جِي كَانَ هَكَذَا مِنْذُ الْبِدَايَةِ - أَنَّ جَمُوعَةً مِنْ أَكَابِرِ الرُّمُوزِ (الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أَدْوَارَ ابْنِ عَبَّاسٍ

وَابْنِ الزُّبَيْرِ) جَاؤُوا إِلَيَّ فِي الْمَكْتَبِ كَنَاصِحِينَ مُشْفِقِينَ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ
كَلَامِهِمْ لِي: "أَنْتَ الْآنَ - بِحَسَبِ تَعْبِيرِهِمْ - فِي دَوْلَةٍ سُنِّيَّةٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ
الِاسْتِمْرَارَ فِي هَذَا الْمَنْهَجِ الَّذِي تَمْشِي عَلَيْهِ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى
بِلَادِ الْغَرْبِ، إِذْهَبْ إِلَى لَنْدَنَ حَتَّى تَتَكَلَّمَ هُنَاكَ بِرَاحَتِكَ". هُوَ عَيْنُ مَنْطِقِ
ابْنِ عَبَّاسٍ! يَقُولُونَ: إِذْهَبْ إِلَى لَنْدَنَ كَمَا اقْتَرَحَ هُوَ الذَّهَابَ إِلَى الْيَمَنِ،
حَتَّى إِذَا عَاتَبُونَا نَقُولُ لَهُمْ: "لَا شَأْنَ لَنَا بِهِ، إِنَّهُ قَابِعٌ فِي الْخَارِجِ وَيَتَحَدَّثُ
مِنْ هُنَاكَ!".

وَأَخِيرًا، دَخَلْنَا السُّجْنَ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ، ثُمَّ جِئْنَا إِلَى لَنْدَنَ، فَمَاذَا
يَقُولُونَ الْآنَ؟ يَقُولُونَ: "هَا هُوَ جَالِسٌ فِي لَنْدَنَ، وَنَحْنُ هُنَا نَتَحَمَّلُ التَّبِعَاتِ
وَنَقَعُ فِي الْمَحْذُورِ. لَقَدْ أَصْبَحَتْ قَضِيَّةٌ "جُحَا وَالْحِمَارِ" الَّتِي لَا تَنْتَهِي.

أَيُّ شَيْءٍ تَقُومُ بِهِ مِنْ أَجْلِ النُّصْرَةِ لِلْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالِانْتِصَارِ لِهَذَا الدِّينِ،
سَتُوجِهُكَ فِيهِ ذَرَائِعٌ وَحُجَجٌ تَافِهَةٌ غَايَتُهَا أَنْ تُجْبِرَكَ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى
جُحْرِ تَمَكُّثٍ فِيهِ! هَذَا مَا يُرِيدُونَهُ لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الصَّدَامَاتِ،
الصَّدَامَاتُ الَّتِي خَاصَّهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَتْ مُشْكِلَتُهُمْ مَعَهَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ
أَنَّهُ لَا دُنْيَا مِنْ وَرَائِهَا. فَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بِالْفِعْلِ سَيَتَوَلَّى الْحُكْمَ،
لَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مَعَهُ، وَأَوْلَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ!

لتعرف من أنت؟

اقْرَأُوا فِي تَارِيخِ ثَوْرَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام؛ فَقَدْ خَرَجَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَكَّةَ، وَلَكِنْ طَوَالَ الطَّرِيقِ كَانَ الْحُسَيْنُ يَقُولُ: "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الشَّهَادَةِ، إِنِّي سَأَلْتَنِي بِجَدِّي رَسُولِ اللَّهِ". فَيَتَسَاءَلُونَ: مَا الَّذِي يَقُولُهُ؟ مَوْتُ وَقَتْلٌ وَشَهَادَةٌ؟ لَا دُنْيَا إِذَنْ وَلَا غَنَائِمٌ نُحْصِلُهَا! فَيَبْدَأُ هَذَا بِالْإِنْسِحَابِ، وَذَلِكَ بِالْإِنْشِقَاقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَرْجِعُ، حَتَّى صَفَا لَهُ الْأَمْرُ فِي النَّهَائَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ نَفْرًا فَقَطُّ! وَحَتَّى لَيْلَةَ الْعَاشِرِ كَانَتْ الْإِنْشِقَاقَاتُ تَمُحِّدُ عِنْدَمَا أَدْرَكُوا حَقِيقَةَ أَنْ لَا دُنْيَا هُنَاكَ بَلْ آخِرَةٌ فَقَطُّ. وَلَكِنْ، مَنْ ذَا الَّذِي يَفْهَمُ مَوَازِينَ الْآخِرَةِ؟

مُشْكَلَتُنَا دَائِمًا أَنَّنَا نَعْتَرُّ بِظَاهِرِ الدُّنْيَا، وَنُقِيمُ أُمُورَنَا كُلَّهَا بِمَقَايِسِهَا الرَّخِيفَةِ، فَهِيَ الَّتِي تُسَيِّرُنَا وَتَحْكُمُنَا. أَمَّا أَنْ يُفَكَّرَ الْمَرْءُ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْقَبْرُ - فَكَلْنَا مُسْتَقْبَلُنَا إِلَى الْقَبْرِ وَمِنْ ثَمَّ الْآخِرَةَ، وَلَا رَجْعَةَ فِيهِ - فَهَذَا مَا يَغِيبُ عَنَّا. إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْأَعْلَى وَانْكَشَفْتَ أَمَامَكَ صُورَةَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَإِنَّ كُلَّ سُلُوكِيَّاتِكَ سَتَتَعَدَّلُ وَتُقَوِّمُ. فَأَيُّ شَخْصٍ يَأْتِيكَ وَيَقُولُ لَكَ: "لَا تَتَحَدَّثْ عَنِّ عَائِشَةَ!"، سَتَقُولُ لَهُ: "وَيْحَاكَ! إِنِّي أَرَى أَمَامِي جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا تَكَلَّمْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَلْعُونَةِ الْفَاجِرَةِ الزُّنْدِيقَةِ الَّتِي قَتَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَحَرَقَتْ دِينَهُ، فَإِنِّي سَادُّخُلُ الْجَنَّةِ! هَلْ تُرِيدُنِي

أَنْ أَعْمَلَ بِكَلَامِكَ وَأَضِيعَ الْجَنَّةَ فَقَطْ حَتَّى لَا يَقْتُلُونِي؟! فَلْيَقْتُلُونِي إِذَنْ
وَلَا ذَهَبَ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي أَرَاهَا أَمَامِي!".

إِنَّ الَّذِي يَرَى الْجَنَّةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَرْخِصُ دَمَهُ وَرُوحَهُ.
وَهَلْ وَصَلْنَا نَحْنُ إِلَى هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ مِنَ الْيَقِينِ لِنَرَى الْحَقَائِقَ مِثْلَةَ أَمَامَنَا؟
هَذِهِ هِيَ مُشْكَلَتُنَا! لَمْ يَكُنِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، بَلْ حَتَّى
أَنْصَارُهُ كَانُوا يَرَوْنَ؛ فَحِينَمَا كَانَ يُحْزِرُ رَأْسَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ كَانَتْ تُسْمَعُ
ضَحَكَاتُهُ! أَقْرَأُوا فِي كُتُبِ الْمُقَاتِلِ؛ إِنَّهُمْ يُحْزِرُونَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَضْحَكُ! لِمَاذَا؟
لِأَنَّهُ يَمْتَلِكُ الْيَقِينَ، يَرَى الْجَنَّةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، يَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَرَى أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، يَرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقْبَلُ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ هُنَاكَ لَذَّةٌ أَعْظَمُ مِنْ
هَذِهِ؟! لِذَلِكَ لَا يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ. وَفِي الرَّوَايَاتِ أَنَّ الَّذِي يُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَشْعُرُ بِالْحَزِّ الرَّأْسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَتَدَخَّلُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
وَيَرْفَعُ عَنْهُ الْأَلَمَ لِيَرْتَاحَ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: التَّشْبِيهُ بِمَنْطِقِ الْعَاطِفَةِ وَتَخْرِيفِ النُّصُوصِ

ذَاكَ كَانَ مَنْطِقَ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي يُشْبَهُ مَنْطِقَ بَعْضِ النَّاسِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ.
وَهُنَاكَ مَنْطِقُ آخَرٍ، وَهُوَ مَنْطِقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ هَذَا
شَخْصٌ حَبِيثٌ فَاسِدٌ، وَلَكِنَّ الْحَبِيثَ أَحْيَانًا يَتَحَدَّثُ بِكَلَامٍ يُذِيبُ الْقَلْبَ،

لتعرف من أنت؟

كَلَامٍ عَاطِفِيٍّ مَعْسُولٍ. وَكَمْ لَدَيْنَا الْآنَ مِنْ خَبِيثِينَ مُتَسَتِّرِينَ فِي أَوْسَاطِنَا الشُّعْبِيَّةِ! هُمْ كُنْتَلَّةٌ مِنَ الْقَذَارَةِ يَتَصَدَّرُونَهَا بِعَمَائِمٍ، لَكِنَّ كَلَامَهُمْ عَاطِفِيٌّ مَعْسُولٌ يَسْتَدْرِجُكَ بِسُرْعَةٍ! لَذَا، كُنْ عَلَى حَذِرٍ، وَحَكِّمْ دَائِمًا عَقْلَكَ وَإِيمَانَكَ وَالْمَبَادِيَّ الشَّرْعِيَّةَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْكَلامِ الْعَاطِفِيِّ الْمَعْسُولِ.

مَاذَا يَرَوِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ كَمَا يَنْقُلُ الْوَاقِدِيُّ؟ يَقُولُ: "وَمَا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ، دَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا بِي وَنَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ: مَا لِي وَالْدُنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي، وَأَنْتَ بَضْعَةٌ مِنْهُ وَرِيحَانَتُهُ وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا يَزِيدُ رَأْسَ الضَّلَالَةِ وَمَنْ يُسْمَعُ مِنْهُ إِذَا قَاتَلَ ۱ وَلَسْتُ آمِنُ عَلَيْكَ مِنْهُ". فَلَمَّا رَأَهُ مُصِرًّا عَلَى الْمَسِيرِ، قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: "أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ مِنْ قَتِيلٍ"^٢.

لَمْ يُدْرِكْ أَهْدَافَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام، بَلْ تَوَهَّمَتْ أَنَّهُ خَرَجَ لِأَجْلِ أَهْدَافٍ دُنْيَوِيَّةٍ تُمَاتِلُ مَنْطِقَهُ وَأَفْكَارَهُ هُوَ. وَلَكِنَّ، تَأَمَّلْ فِي الْكَلَامِ الْمَعْسُولِ وَطَرِيقَةِ الْإِلْقَاءِ، فَإِنَّهُ عَيْنُ مَنْطِقِ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْمُتَسَتِّرِينَ الْفَاسِدِينَ فِي أَوْسَاطِنَا الْيَوْمِ! يَسْتَدْرِجُكَ لِثَبُّطِكَ عَنْ هَذِهِ الثَّوْرَةِ الرَّافِضِيَّةِ الْمَجِيدَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ

^١ يَعْنِي أَنَّ يَزِيدًا إِذَا قَاتَلَكَ فَإِنَّ النَّاسَ سَيَسْمَعُونَ لَهُ وَيُؤَلِّوْنَهُ، يَبْتِمَا أَنْتَ لَنْ يَقِفَ مَعَكَ أَحَدٌ.

^٢ تَذَكْرَةُ الْخَوَاصِّ لِسَبْطِ ابْنِ الْجَوَازِيِّ ج ٢ ص ١٣٨

بِمَنْطِقِ الْعَاطِفَةِ، قَائِلًا: "لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هَذَا؟ لِمَاذَا تَتَحَرَّكُونَ هَذَا التَّحَرُّكُ؟ أَلَا يُسَبِّبُ هَذَا قَلَاقِلَ؟ قَدْ تَذَهَبُ دِمَاؤُنَا بِسَبَبِ ذَلِكَ! يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَجِنَا هُوَ مِنْهَجَ أُمَّتِنَا، وَالْأُمَّةُ قَالُوا بِأَبِي هُمْ وَأُمِّي: التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي"^١.

يَسْتَدْرِجُكَ بِذَاتِ الْأُسْلُوبِ الَّذِي اسْتَخْدَمَهُ ابْنُ عُمَرَ عِنْدَمَا جَاءَ بِحَدِيثِ شَرِيفٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "مَالِي وَالدُّنْيَا... وَلَكِنَّهُ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَوْعِبِ الْأَهْدَافَ الْمُقَدَّسَةَ فَتَوَهَّمَ أَنَّ حَرَكَةَ الْحُسَيْنِ تُنَاقِضُ الْحَدِيثَ! وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ؛ يَأْتُونَ بِحَدِيثٍ صَحِيحٍ لِلْأُمَّةِ ﷺ لَكِنَّهُمْ يُورِدُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَيَتَصَوَّرُونَ أَنَّ نَهْضَتَنَا تُنَاقِضُهُ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَوْعِبُونَ الْأَهْدَافَ الْمُقَدَّسَةَ!

وَمَنْ الْمُضْحِكُ الْمُبْكِي فِي كَلَامِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ بَدَأَ قَائِلًا: "بِأَبِي وَنَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ"، وَلَكِنْ مَاذَا كَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ قَالَهَا؟ كَانَتْ: "أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ مِنْ قَتِيلٍ!" يَعْنِي: إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا^٢، وَأَمَّا أَنَا فَاسْتَوْدِعْكَ اللَّهُ! حِينَمَا جَدُّ الْجَدِّ تَرَكَهُ! وَكَمْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مَوْجُودٌ بَيْنَنَا الْيَوْمَ؟ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ وَيُنَادُونَ: "بِأَبِي وَأُمِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ!"، وَلَكِنْ قُلْ

١ هكذا يُتَدَاوَلُ، والصحيح: (التَّقِيَّةُ مِنْ دِينِي وَدِينِ آبَائِي)، راجع الكافي ج ٢ ص ٢٢٤

٢ اقتباس من الآية ٢٥ من سورة المائدة

لتعرف من أنت؟

لِأَحَدِهِمْ: هَلَمْ نُعِزُّ كَلِمَةَ الْحَقِّ - وَهِيَ مَسْأَلَةٌ لَا تَسْتَلْزِمُ سَيْفًا أَوْ حَرْبًا، وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ رَخِصَةٌ فِي سَبِيلِ أَهْلِ الْبَيْتِ - فَيَتَعَذَّرُ قَائِلًا: قَدْ لَا يَدْعُونِي بَعْدَهَا إِلَى هَذَا الْمَجْلِسِ، قَدْ يُمْنَعُونَ عَنِّي التَّأْشِيرَةَ لِلْحَجِّ، قَدْ يُسَبِّبُ ذَلِكَ لِي مُشْكَلَةً هُنَا أَوْ هُنَاكَ". فَأَيَّنَ ذَهَبَتْ إِذْنُ كَلِمَةُ "بِأَبِي وَأُمِّي لَكَ الْفِدَاءُ"؟! إِنَّمَا مَجْرَدُ كَلَامٍ! هَذَا هُوَ مَنْطِقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَهُوَ مَنْطِقُ مُدْمَرٍ مَلِيءٍ بِالْحِسَابَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَحْضَةِ، أَمَّا الْحِسَابَاتُ الْأُخْرَوِيَّةُ فَهِيَ خَارِجٌ قَامُوسِهِ نَهَائِيًّا.

لَقَدْ كَادَتْ عَقِيدَةُ "الْبِرَاءَةِ" أَنْ تُنْسَى فِي عَصْرِنَا! كَادَتْ أَنْ تُمْحَى لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَيَّضَ هَذِهِ الثَّلَاةَ الْمُؤْمِنَةَ الَّتِي نَهَضَتْ بِهَذِهِ الْوَضِيفَةِ وَجَدَّدَتْ وَأَخِيَّتْ مَبْدَأَ الْبِرَاءَةِ. فَبِاللَّهِ عَلَيْكُمْ، أَلَمْ تَكُنْ عَائِشَةُ، حَتَّى فِي أَوْسَاطِكُمْ، تُقَدَّسُ وَتُوصَفُ قَبْلَ سَنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ بِـ "السَّيِّدَةِ"؟! إِنَّ قَوْلَكَ "عَائِشَةُ سَيِّدَةٌ" هُوَ جُحُودٌ وَإِسَاءَةٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَكَأَنَّكَ تُصَوِّبُ خِنْجَرًا إِلَى صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا لِإِدَاءِ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ؛ فَقَوَامُ الدِّينِ الْبِرَاءَةِ، وَلَا دِينَ بِلَا بَرَاءَةٍ، وَاعْلَمْ - كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ - أَنَّكَ لَا تَنَالُ وِلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِبَعْضِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ! فَإِذَا

كُنْتُ مَاشِيًا عَلَى طَرِيقِ وِلَايَةِ اللَّهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُعَادِيكَ كَثِيرُونَ، وَيُبْغِضُوكَ،
وَتُبْغِضَهُمْ فِي اللَّهِ.

فَامُضْ عَلَى طَرِيقِكَ، وَلَا تَتَزَحَّزَحْ أَوْ تَتَرَاجَعْ، بَلْ قُلْ: "هَذَا مَبْدِي
وَهَذَا مِنْهَاجِي وَلَنْ أَحِيدَ عَنْهُ". وَمَنْ جَاءَكَ بِمَنْطِقِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْمَصْلَحَةِ، أَوْ
مَنْطِقِ ابْنِ عُمَرَ وَالْعَاطِفَةِ، فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، بَلِ اعْمَلْ كَمَا عَمِلَ مَوْلَاكَ
الْحُسَيْنُ عليه السلام، الَّذِي ثَبَّتَ مَوْقِفًا مَبْدِيًّا حَاسِمًا؛ فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللُّهُوفِ
عَلَى قَتْلِ الطُّفُوفِ لِلسَّيِّدِ ابْنِ طَاوُوسٍ (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ): "جَاءَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْحُسَيْنِ فَأَشَارَا إِلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ، فَقَالَ
لَهُمَا: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا مَاضٍ فِيهِ"^١.

فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ تَشْبِيْطَكَ عَنْ مُوَاصَلَةِ نَهْجِ ثَوْرَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَقَوْلِ الْحَقِّ فِي
أَعْدَائِهِمْ، فَقُلْ لَهُ: "إِنَّ مَوْلَايَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام أَمَرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا
مَاضٍ فِيهِ! فَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: "مَنْ أَعَانَنَا بِلِسَانِهِ عَلَى عَدُوِّنَا، أَنْطَقَهُ اللَّهُ
بِحُجَّتِهِ يَوْمَ مَوْقِفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ"^٢. وَهَذَا أَنَا أَعَيْنُهُمْ بِلِسَانِي عَلَى

١ اللهوف في قتلى الطفوف ص ٢٢

٢ أمالي المفيد ص ٣٣

لتعرف من أنت؟

عَدُوِّهِمْ". كُنْ شُجَاعًا صَرِيحًا بَطَلًا، تَمَثَّلْ بِأَخْلَاقِ الْحُسَيْنِ وَقُوَّتِهِ الْمُبْدِيَّةِ وَلَا تَنْزَحِزْ.

وَإِذَا جَاءَكَ أَحَدٌ فَقُلْ لَهُ: إِمَامِي الصَّادِقُ أَمَرَنِي أَنْ أُعِينَهُ بِلِسَانِي عَلَى أَعْدَائِهِ؛ فَافْضَحْ أَعْدَاءَهُمْ وَدَمِّرْهُمْ، وَاعْرِضْ مَخَارِيزَهُمْ وَلَا تَسْكُتْ عَنْهُمْ، فَالْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام حِينَمَا جَاءَهُ رَجُلٌ يَشْكُو مِنْ جَارٍ نَاصِبٍ يُحَاجُّهُ بِتَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَجَّهَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُنَازِرُهُ وَقَالَ لَهُ: "فَتَكَلَّمْ وَافْحَمْ صَاحِبَهُمْ وَاكْسِرْ عِزَّتَهُ وَفَلِّ وَحْدَهُ وَلَا تُبْقِي لَهُ بَاقِيَةً"^١. وَمَنْ يَأْتِيكَ لِيَقُولَ لَكَ بَانَ فِعْلَكَ حَرَامٌ أَوْ يُخَالِفُ التَّقِيَّةَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مُتَّفَقًا حَقًّا، بَلْ هُوَ يَمِثِّي عَلَى فِقْهِ ابْنِ عُمَرَ وَفِقْهِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا عَلَى فِقْهِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام! فَلَمْ يَكُنْ فِقْهُ أَهْلِ الْبَيْتِ يَوْمًا يَدْعُو لِلْقُعُودِ السَّلْبِيِّ وَالانزِوَاءِ فِي الْجُحُورِ تَرْكًا لِمُوَاجَهَةِ الطُّغْيَانِ وَالْبَاطِلِ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ: التَّشْبِيهُ بِمَنْطِقِ التَّخْوِيفِ وَفِرَازِ الْجُبْنَاءِ

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا مَنْطِقَ الْمَصْلَحَةِ الْمَرْدُودِ مِنْ قِبَلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَمَنْطِقَ الْعَاطِفَةِ الْمَرْدُودِ أَيْضًا، هُنَاكَ مَنْطِقٌ ثَالِثٌ يُسْتَعْمَدُ لِلتَّشْبِيهِ، وَهُوَ "مَنْطِقُ

١ الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٣، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ج ٢ ص ٣٦١

التَّخْوِيفِ! " حَيْثُ يُخَوِّفُونَكَ قَائِلِينَ: إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ وَرَاءَهُ الْمَوْتُ وَالْمَهْلَاكُ، لَنْ تَهْلِكَ أَنْتَ وَحَدَاكَ، بَلْ سَتُهْلِكُ أُسْرَتَكَ وَأَطْفَالَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ كَافَّةً!

وَهَذَا الْمَنْطِقُ جَاءَ بِهِ شَخْصٌ يُجِلُّهُ أَهْلُ الْخِلَافِ وَيَحْتَرِمُونَهُ وَيَعُدُّونَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، يُدْعَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُطِيعِ الْعَدَوِيِّ، وَهُوَ مِنْ عَشِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ) مِنْ بَنِي عَدِيٍّ. فَقَدْ جَاءَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى الْحُسَيْنِ بِمَنْطِقِ التَّخْوِيفِ مِنْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ مَالَهُ الْمَوْتُ وَالِاسْتِرْقَاقُ.

يَذْكُرُ الْحَافِي الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ التَّبَرُّ الْمَذَابُ فِي بَيَانِ تَرْتِيبِ الْأَصْحَابِ فِي الصَّفْحَةِ: "ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: "لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ لِقِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَى أَيِّنَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟، إِيَّاكَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ - وَذَكَرَهُ غَدْرَهُمْ وَفَعَلَهُمْ بِأَبِيهِ وَأَخِيهِ - ثُمَّ قَالَ: الزَّمِ الْحَرَمَ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ وَلَنْ يَعْدِلَ بِكَ أَحَدٌ، وَتَقْصِدُكَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَوَاللَّهِ لَنْ قَتَلَكَ بَنُو أُمَيَّةَ لَنْ يَهَابُوا بَعْدَكَ أَحَدًا، وَلَيَسْتَرْقَنَّ بَعْدَكَ الْأَحْرَارُ" فَقَالَ: يَا

١ يُخَوِّفُهُ قَائِلًا: سَنُضْبِحُ أَرْقَاءَ وَعَبِيدًا! وَهَذَا قَدْ وَقَعَ فِعْلًا لِاحْتِقَاقِ فِي وَاقِعَةِ الْحَرَّةِ لَمَّا اسْتِيْحَتْ الْمَدِينَةُ، حَيْثُ أُجْبِرَ النَّاسُ عَلَى الْمُبَايَعَةِ بِوَصْفِهِمْ عبيدًا فَنَّا لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. نَعَمْ حَصَلَ الْمَوْتُ وَالِاسْتِرْقَاقُ، لَكِنْ هَلْ تَرَاجَعَ الْحُسَيْنُ أَمَامَ مَنْطِقِ التَّخْوِيفِ وَالتَّهْوِيلِ مِنَ الْمَوْتِ؟ أَبَدًا! بَلْ رَفَعَ شِعَارَهُ الْخَالِدُ: "مَوْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ".

لتعرف من أنت؟

عَبَدَ اللهُ، أَكُلَّ ذَلِكَ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ؟ وَاللَّهِ الْمَوْتُ مَعَ الْحَقِّ أَوْلَى مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى الْبَاطِلِ! وَاللَّهُ لَجِهَادُ يَزِيدَ عَلَى الدِّينِ أَحَقُّ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ"¹.

أَيُّنَ تَجِدُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَبَادِيءِ إِلَّا فِي مِنْهَاجِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ إِنْ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهَا لَتَسْتَحِقُّ أَنْ تُكْتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَتُعَلَّقَ فِي الْبُيُوتِ لِنُعَلِّمَهَا أَبْنَاءَنَا! فَلَوْ أَنَّنَا عَلَّمْنَا أَبْنَاءَنَا كُلَّ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْحُسَيْنِيَّةِ لَأَصْبَحْنَا أَقْوَى أُمَّةٍ فِي الْعَالَمِ، لَكِنَّ مُشْكِلَتَنَا أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نُعَلِّمُهُ لِأَبْنَائِنَا هُوَ (التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي)! بَيْنَمَا يَقُولُ الْحُسَيْنُ: "وَاللَّهُ لَجِهَادُ يَزِيدَ عَلَى الدِّينِ أَحَقُّ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ".

وَهَذَا يَرُدُّ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ الْيَوْمَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: "إِنَّ أَمَامَنَا عَدُوًّا كَافِرًا صِهْيُونِيًّا مُشْرِكًا اسْتِكْبَارِيًّا اسْتِعْمَارِيًّا، فَيَجِبُ أَنْ نَغْضَّ الطَّرْفَ عَنِ الْخِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَأَنْ نَعْطِلَّ وَظِيْفَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الدَّاخِلِيِّ، لِكَيْلَا نُثِيرَ النِّزَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَأَهْمُ شَيْءٍ هُوَ مُوَاجَهَةُ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ". هَذَا الْمَنْطِقُ مُخَالَفٌ لِمَنْطِقِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ تَمَامًا! فَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ حُرُوبٌ وَمُنَاوَشَاتٌ وَغَزَوَاتٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَنِ يَزِيدَ أَيْضًا، وَكَانَتْ هُنَاكَ دَوْلٌ مُحِيطَةٌ تَتَأَمَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُعْطَلْ ثَوْرَتُهُ

¹ التبر المذاب للحافي الشافعي ص ٧٦

التَّصْحِيحِيَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ بِحُجَّةِ الْعُدُوِّ الْخَارِجِيِّ، بَلْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنَّ الْجِهَادَ
الدَّاخِلِيَّ لِتَصْحِيحِ الدِّينِ أَوْلَى وَأَحَقُّ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْخَارِجِ!
وَمَاذَا قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: "أَكُلَّ ذَلِكَ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ؟"؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ
كَانَ بِالْفِعْلِ جَبَانًا فَرَارًا! فَقَدْ فَرَّ فِي وَاقِعَةِ الْحَرَّةِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُجْبَرَ فِرَارُهُ
بِالْإِنْضِمَامِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فِي ثَوْرَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ فَخَسِرَ حَيَاتُهُ وَذَهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. أَفَرَأَوْا تَرْجَمَتَهُ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ
لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، حَيْثُ يَقُولُ: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ هَذَا، هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ حِينَ أَخْرَجُوا بَنِي أُمَيَّةَ مِنْهَا"، قَالَ الْوَاقِدِيُّ: إِنَّمَا كَانَ أَمِيرًا عَلَى
قُرَيْشٍ دُونَ غَيْرِهَا. قَالَ الزُّبَيْرِيُّ^٢: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ مِنْ جِلَّةِ قُرَيْشٍ
شَجَاعَةً وَجَلَدًا^٣، وَقُتِلَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ هَرَبَ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ،
فَلَمَّا حَصَرَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، جَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ يُقَاتِلُ وَيَقُولُ: "أَنَا

١ في ثورة الحرّة

٢ أي المؤرخ الزبير بن بكار

٣ إنها شجاعة على نمط شجاعة عمر بن الخطاب الذي يوصف بالشجاعة، ولكنه أول من يفر

لتعرف من أنت؟

الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ * وَالْحُرُّ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً، يَا حَبْدَا الْكَرَّةَ بَعْدَ الْفَرَّةِ *
لَأَجْزِينَ كَرَّةً بَفَرَّةً^١." ٢.

فَهَلْ تَسْتَوْعِبُونَ الْآنَ لِمَاذَا قَالَ لَهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ: "أَكُلَّ ذَلِكَ فِرَارًا مِنَ
الْمَوْتِ؟" لَقَدْ وَقَعَ آخِرًا فِيهَا كَانَ يَخْشَاهُ وَيَفِرُّ مِنْهُ.

وَكَمْ شَخْصًا الْيَوْمَ يَمْلِكُ مَنْطِقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ هَذَا؟ يَفِرُّونَ مِنَ الْمَوْتِ
ثُمَّ يَقَعُونَ فِيهِ! لَا أُرِيدُ أَنْ أَخُوضَ فِي هَذَا الْبُعْدِ كَثِيرًا كَيْلَا أَمَسَّ مَشَاعِرَ
الثَّكَالِي، وَلَكِنَّ بَيَانَ الدِّينِ يُلْزِمُ بِالْإِشَارَةِ؛ انظُرُوا كَمْ شَخْصًا قُتِلَ فِي هَاتَيْنِ
السَّنَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ فِي الْبَحْرَيْنِ وَالْقَطِيفِ وَفِي الْعِرَاقِ نَفْسِهِ فِي مُخْتَلَفِ
الِاضْطِرَابَاتِ، وَالكَثِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ كَانُوا يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا مَنْهَجَنَا بِدَعْوَى
الْفِرَارِ مِنَ الْمَوْتِ وَالِاضْطِهَادِ، لَكِنَّهُمْ وَقَعُوا فِيهَا كَانُوا يَعْيُونَهُ عَلَيْنَا،
لَكِنَّهُمْ وَقَعُوا فِيهِ لِأَجْلِ قَضَايَا سِيَاسِيَّةٍ مُحْضَةٍ.

لَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ يَمْلِكُ تَفْكِيرًا سَلِيمًا، لَذَهَبَ مَعَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَنَالَ الْإِسْتِشْهَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُسْتَشْهَدَ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ لِأَجْلِ طُمُوحِ سِيَاسِيٍّ دُنْيَوِيٍّ وَمُنَافَسَةِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى

١ أي أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْبُرَ فِرَارَهُ بِكَرَّةٍ آخِرَةٍ، فَرَزَى بِنَفْسِهِ وَقَتْلَ لِيَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ.

٢ الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٣٠٥

الْخِلَافَةَ! لَقَدْ ذَهَبَتْ دِمَاؤُهُ وَحَيَاتُهُ سُدًى، وَأَوْصَلَهُ جُبْنُهُ إِلَى حَضِيضِ جَهَنَّمَ
وَإِلَى عَارٍ يَلْحَقُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعِينَ الَّذِينَ
نَصَرُوا الْحُسَيْنَ، لَكُتِبَ اسْمُهُ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ عَلَى كُلِّ الْمَنَابِرِ، وَلَكِنَّا نَزَرُوهُ
فِي كُلِّ حِينٍ بِالزِّيَارَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي نَزَرُ بِهَا الْأُمَّةُ الْأَطْهَارَ قَائِلِينَ: "بِأَبِي
وَأُمِّي، طِبْتُمْ وَطَابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ"، وَلَكِنَّا نَعْظُمُهُ كَمَا نَعْظُمُ
زُهَيْرًا وَبُرَيْرًا وَالْحُرَّ الرَّيَاحِيَّ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ.

إِنَّ الْمَشْكَالَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَكْمُنُ فِي قُصُورِ الْفَهْمِ الَّذِي يُضَيِّعُ عَلَيْكَ فُرْصَةَ
الْجِهَادِ الدِّينِيِّ الْحَقِيقِيِّ حِينَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ! قَدْ تَخَسَّرَ الدُّنْيَا، لَكِنَّكَ فِي الْمُقَابِلِ
سَتَكْسِبُ الْآخِرَةَ وَتَكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْإِعْتِزَالَ الْأَبَدِيَّ. فَمَا الْفَائِدَةُ أَنْ
تَكْسِبَ الدُّنْيَا لِفَتْرَةٍ، كَأَنْ تَصِيرَ وَزِيرًا أَوْ تَتَمَتَّعَ بِالْقُصُورِ وَالْمَجَازِي
وَالْمَلَابِسِ وَالْأَطْعَمَةِ، ثُمَّ تَمُوتَ وَتُنْقَبَرَ وَيَمُوتَ ذِكْرُكَ مَعَكَ؟!

هَذِهِ هِيَ الْمَشْكَالَةُ الْمُتَأَصِّلَةُ؛ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ نَدَّعِي أَنَّنَا أَتْبَاعُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَمَا لَمْ نَسْتَوْعِبْ مِنْهَا جَهْدًا، وَلَمْ نَتَمَثَّلْهُ، وَلَمْ نُطَبِّقْهُ كَمَا يَنْبَغِي!
أَلَا فَابْكُوا سَيِّدَكُمْ وَانْدُبُوهُ...

لتعرف من أنت؟

الحسين عليه السلام طريق المخاطرة

والاستعداد

العُقُولُ الْقَاصِرَةُ عَنِ اسْتِيعَابِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

إِنَّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَمْ يَفْقَهُوا حَقِيقَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا اسْتَوْعَبُوا أَبْعَادَ حَرَكَتِهِ الْمَجِيدَةِ وَثَوْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَقَاصِدَهُ النَّبِيلَةَ وَغَايَاتِهِ الشَّرِيفَةَ؛ هُمْ الَّذِينَ حَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ. فَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ اعْتَرَضُوا طَرِيقَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَمَمِّصِينَ دَوْرَ النَّاصِحِينَ بِزَعْمِهِمْ، ظَنًّا مِنْهُمْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنَّهُ يُقَدِّمُ عَلَى حَرَكَةِ طَائِشَةٍ أَوْ مُتَهَوِّرَةٍ. وَقَدْ اتَّخَذَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَدُّوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَلِيَّةِ الْقَوْمِ مَنْطِقًا خَاصًّا فِي مُحَاوَلَتِهِمْ لِثَنِي سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَنِ الْمَسِيرِ نَحْوِ الْمَوْتِ الْمُقَدَّسِ، أَيْ الْإِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَأَحَدُهُمْ -وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ-، اتَّخَذَ مَنْطِقَ الْمَصْلَحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَرَفَضَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمَنْطِقَ وَأَصْرَّ عَلَى الْمُضِيِّ. وَالْآخَرُ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَقَدْ اتَّخَذَ مَنْطِقَ الْعَاطِفَةِ وَالتَّرَهُّدِ، مُحَاوِلًا تَصْوِيرَ حَرَكَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ وَكَانَهَا مِنْ قَبِيلِ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، فَرَفَضَ الْإِمَامُ هَذَا الْمَنْطِقَ أَيْضًا.

لتعرف من أنت؟

وَتَالِثُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ، اتَّخَذَ لُغَةَ التَّخْوِيفِ مِنَ الْمَوْتِ، فَرَفَضَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَنْطِقَ قَائِلًا لَهُ: «أَكُلْ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ؟ وَاللَّهِ، الْمَوْتُ عَلَى الْحَقِّ أَوْلَى مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى الْبَاطِلِ»، وَصَمَّمَ عَلَى الْمَسِيرِ.

لَمْ يَكْتَرِثِ الْإِمَامُ أَلْبَتَّةَ بِهَذِهِ النَّصَائِحِ الْمَرْعُومَةِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا كَانَ يُمِثِّلُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْبَاطِلِ، وَوَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ التَّخْدِيرِ عَنِ النَّهُوضِ نَحْوِ الْمَهْدَفِ الْمُقَدَّسِ.

وَمَا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ مَنْطِقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ، يُمِثِّلُ مَنْطِقَ الْكَثِيرِينَ مِنَّا فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَهُوَ لُغَةُ التَّخْوِيفِ مِنَ الْمَهْلَاكِ وَالِاسْتِئْصَالِ. أَنْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟ إِنْ ذَهَبْتَ فَإِنَّكَ سَتَهْلِكُ وَتُهْلِكُ مَعَكَ أَهْلَ بَيْتِكَ وَأَصْحَابَكَ وَشِيعَتَكَ، وَتُلْقِي بِهِمْ إِلَى الْحُتُوفِ، بَلْ وَيُسْتَرْقُ الْأَحْرَارُ بَعْدَكَ وَيَصِيرُونَ عَبِيدًا.

هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الْكَثِيرِينَ فِي زَمَانِنَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَخْدِمُ مَنْطِقَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمِلُ مَنْطِقَ ابْنِ عُمَرَ، وَآخَرُونَ يَرْكُونَ إِلَى مَنْطِقِ ابْنِ مُطِيعٍ.

فَمَا هُوَ الْوَاجِبُ الْمُلقَى عَلَى عَوَاتِقِنَا؟ إِنَّ الْوَاجِبَ يَقْتَضِي أَنْ نَتَمَنَّى بِمَنْطِقِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَلَّا نَعْتَرَّ بِمِثْلِ هَذِهِ النَّصَائِحِ الَّتِي تَبْدُو فِي

ظَاهِرَهَا نَصِيحَةً، بَيْنَمَا هِيَ فِي جَوْهَرِهَا مُخَالَفَةٌ لِمِنْهَاجِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ، أَيْ لِمِنْهَاجِ الْإِسْلَامِ ذَاتِهِ. لَقَدْ كَانَ الْهَدَفُ مُقَدَّسًا؛ أَلَا وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَصْحِيحُ الْأَعْوَجَاجِ الْمُسْتَشْرِي فِي الْأُمَّةِ. فَالْإِمَامُ صَرَّحَ قَائِلًا: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ»، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَمَّ الْفَسَادُ وَالطُّغْيَانُ إِلَى حَدٍّ لَا يَسَعُ مَعَهُ الْقُعُودُ؛ إِذْ إِنَّ الْقُعُودَ كَانَ يَعْني مَوْتَ الْإِسْلَامِ.

فَالْإِصْلَاحُ وَتَصْحِيحُ الْأَعْوَجَاجِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ هِيَ الْوَضِيفَةُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ أَسَّ الْوَضَائِفِ، وَلَا تُضَاهِيهَا أَوْ تُمَاتِلُهَا أَيُّ وَضِيفَةٍ شَرْعِيَّةٍ أُخْرَى، فَلَا الصَّلَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الزَّكَاةُ وَلَا الْحَجُّ تَعْدِلُ فَرِيضَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَهَذَا مَا رَكَزَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^١. فَتَأَمَّلُوا كَيْفَ قَدَّمَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَضِيفَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، جَاعِلًا إِيَّاهَا عِلَّةَ الْخَيْرِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَمُوَاجَهَةُ مَرْجِعِيَّاتِ الرَّيْفِ

وَلَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ: مَنْ مِنَّا الْيَوْمَ يَتَّخِذُ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ مِنْهَا جَا لِحَيَاتِهِ؟ مَنْ مِنَّا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ بِصِدْقٍ؟ يَجِبُ أَنْ نَتَحَدَّثَ بِصَرَاحَةٍ، فَهَذِهِ أَيَّامٌ لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ. يَنْبَغِي لِكُلِّ فَرْدٍ مِنَّا فِي أَيَّامِ عَاشُورَاءَ أَنْ يَقِيسَ مِنْهَا جَهَ فِي الْحَيَاةِ بِمِنَاجِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، لِيَنْظُرَ مَدَى تَطَابُقِهِ أَوْ ابْتِعَادِهِ عَنْهُ. فَإِذَا قُمْنَا بِهَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ بِصِدْقٍ، سَنَتَطَوَّرُ وَنَنْهَضُ وَنَتَخَلَّصُ مِنْ حَالَةِ الدُّلِّ وَالْقَهْرِ الَّتِي نَبْتُ مِنْهَا كَأُمَّةٍ مَظْلُومَةٍ وَطَائِفَةٍ مُضْطَهَدَةٍ. كَيْفَ لَنَا أَنْ نَرْتَقِيَ وَنَحُوزَ أَسْبَابَ الْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَالسِّيَادَةِ؟ لَقَدْ تَسَيَّدَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقُوَّةِ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ عَلَى أَرْضِ كَرْبَلَاءَ، فَأَصْبَحَ سَيِّدَ الْعَالَمِ بِلَا مُنَازِعٍ. فَمَنْ ذَا الَّذِي يُنَافِسُ الْحُسَيْنَ الْيَوْمَ فِي السِّيَادَةِ وَالْخُلُودِ؟ وَمَنْ غَيْرُهُ يَذْكَرُ اسْمَهُ فِي كُلِّ الْأَصْقَاعِ؟ إِنْ أَرَدْنَا السِّيَادَةَ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَمَثَّلَ مِنْهَجَ الْحُسَيْنِ.

لَقَدْ جَاءَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ عُدُّوا مِنْ كِبَارِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَرَاجِعَ لِلْمُسْلِمِينَ آنَذَاكَ - وَطَبَعًا كَانُوا مَرَاجِعَ بَاطِلٍ، وَلَمْ يَكُونُوا مَرَاجِعَ حَقٍّ - فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَرَعَ لِنَفْسِهِ بَابًا وَنَصَبَ رَايَةً يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا. فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَعْلَنَ مَرْجِعِيَّتَهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ مُطِيعٍ. هَؤُلَاءِ هُمْ مَرَاجِعُ الرَّيْفِ الَّذِينَ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَرْجِعِيَّةً قِبَالَ الْمَرْجِعِيَّةِ الْحَقَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ اتَّبَعَهُمُ النَّاسُ

وَقَدَّسُوهُمْ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سَارَ فِي الطَّرِيقِ حَدَّقَ بِهِ النَّاسُ تَعْظِيمًا
وَتَبْجِيلًا بِصِفَتِهِ "حَبْرَ الْأُمَّةِ". وَقَدْ زَادَ فِي أَسْهُمِهِ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ حِينَ أَشَاعَ
بَعْدَ إِصَابَتِهِ بِالْعَمَى أَنَّهُ رَأَى الْمَلَائِكَةَ فَلَمْ يَتَحَمَّلْ بَصْرَهُ النُّورَ فَعَمِيَ!

خُطْبَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، التَّارِيخِيَّةُ فِي النَّخْبِ

فَكَيْفَ وَاجَهَهُمُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ؟ هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْمِفْصَلِيَّةُ. لَقَدْ
اسْتَعْرَضْنَا سَابِقًا الرُّوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةَ الَّتِي تَضَمَّنَتْ رُدُودَهُ عَلَيْهِ عليه السلام عَلَى كُلِّ فَرْدٍ
مِنْهُمْ، لَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَغْفَلَ عَنِ الْخُطْبَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا سَيِّدُ
الشُّهَدَاءِ لِهَوُلَاءِ وَأَمْثَلِهِمْ مِنْ عِلْيَةِ الْقَوْمِ. وَهِيَ خُطْبَةٌ شَرِيفَةٌ أوردَهَا ابْنُ
شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ^١ فِي كِتَابِهِ "مُحْفُ الْعُقُولِ عَنِ آلِ الرَّسُولِ"، وَقَدْ عَنَوْنَ ابْنُ
شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ بِقَوْلِهِ: "وَرُويَ عَنِ الْإِمَامِ التَّقِيِّ السُّبُطِ الشَّهِيدِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي طَوَالِ هَذِهِ الْمَعَانِي. مِنْ كَلَامِهِ عليه السلام فِي
الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ". وَلِلْأَسْفِ، لَمْ يُلْتَفِتْ كَثِيرًا إِلَى هُوِيَّةِ
الْمُخَاطَبِينَ بِهَا مِنْ خِلَالِ تَأْمَلِ مُتُونِ كَلَامِهِمْ عليهم السلام

إِنَّ التَّمَلُّ فِي فِقَرَاتِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ يُدْرِكُ تَمَامًا لِمَنْ وَجَّهَتْ، فَالْإِمَامُ يَقُولُ
فِيهَا: «ثُمَّ أَنْتُمْ آيْتُنَا الْعِصَابَةُ، عِصَابَةُ بِالْعِلْمِ مَشْهُورَةٌ، وَبِالْخَيْرِ مَذْكُورَةٌ،

١ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ

لتعرف من أنت؟

وَبِالنَّصِيحَةِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِاللَّهِ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مَهَابَةٌ^١. لَقَدْ خَطَبَ فِيهِمُ
الإِمَامُ مُثَبِّتًا مَبَادِيَهُ وَأَهْدَافَهُ الْمُقَدَّسَةَ، وَمُؤَبِّخًا إِيَّاهُمْ عَلَى قُعُودِهِمْ عَنْ أَدَاءِ
وِظِيْفَةِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ.

قَالَ عليه السلام فِيهَا: «اعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ سُوءِ
ثَنَائِهِ عَلَى الأَحْبَارِ^٢، إِذِ يَقُولُ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ
الإِثْمُ﴾^٣.

وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

١ فَالْخِطَابُ مُوجَّهٌ بِوُضُوحٍ إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ، إِلَى الأَكَابِرِ، إِلَى أَمْثَالِ العَبَادِلَةِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ
الرُّبَيْعِ، وَابْنِ عُمَرَ، الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا اللهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ رَغْمَ أَسْمَائِهِمْ.

٢ وَكَانَتْ عليه السلام مُوجَّهًا لِلمُحَدِّثِ لِمَنْ يُدْعَى بِحَبْرِ الأُمَّةِ لِيَرَى كَيْفَ دَمَّ اللهُ أَسْلَافَهُ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ
وَالنَّصَارَى بِسُوءِ الثَّنَاءِ

٣ المائدة: ٦٤، وَهَذَا نَلْحَظُ أَهْمِيَّةَ التَّحْذِيرِ مِنْ "قَوْلِ الإِثْمِ" وَالقَوْلِ البَاطِلِ، كَادْعَاءِ أَنَّ اللهُ ثَالِثُ
ثَلَاثَةٍ، أَوْ الإِدْعَاءِ البَاطِلِ بِوُجُودِ مَنْ يَتَقَدَّمُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام. فَوِظِيْفَةُ الرَّبَّانِيِّينَ وَالأَحْبَارِ هِيَ
النَّهْيُ عَنِ قَوْلِ الإِثْمِ، وَاللَّهُ يَدْمُهُمْ عَلَى سُكُوتِهِمْ.

يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ وَإِنَّمَا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ
الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفَسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا
يَنَالُونَ مِنْهُمْ وَرَهْبَةً مِمَّا يَحْذَرُونَ ٣. وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ

المائدة: ٧٩-٨٠

٢ لَقَدْ سَمَى اللَّهُ السُّكُوتَ عَنِ الْأَقْوَالِ الْأَثَمَةِ الَّتِي تُرَوِّجُ فِي الْمُجْتَمَعِ عِصْيَانًا وَعُدُوَانًا وَمُنْكَرًا.
وَقَدْ سَاقَ الْإِمَامُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِيُسْقِطَهَا عَلَى الْوَاقِعِ الَّذِي عَاصَرَهُ، وَالَّذِي كَانَ مَلِيئًا بِالْمُنْكَرِ وَقَوْلِ
الْإِنِّمِ. كَانَ الْإِمَامُ يُوَجِّهُهُ الْخَطَّ الْإِنْهَزَامِيَّ الَّذِي أَصَلَ لَهُ أَمْتَالُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ (سَامِرِيِّ الْأُمَّةِ)،
الَّذِي كَانَ يَرُوجُ لِعَدَمِ دَفْعِ ظُلْمِ الْحَجَّاجِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ، مُكْتَفِيًا بِالِدُّعَاءِ وَالِاسْتِكَانَةِ.
وَهَذَا الْمَنْطِقُ يُؤَسِّسُ لِحَالَةِ سَلْبِيَّةٍ مُذَلَّةٍ تُخَيِّمُ عَلَى الْأُمَّةِ لِتَتَرَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ حَتَّى يَنْقَلِبَ دِينُهَا
وَتَكْفُرَ. وَلَوْلَا ثَوْرَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَعَادَتِ الْعَرَبُ إِلَى مِلَّتِهَا الْأُولَى وَعَبَدَتِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى. فَقَدْ كَانَ
مُخْطِطٌ بَنِي أُمِّيَّةٍ هُوَ إِظْهَارُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ، لِلدُّعْوَةِ إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ تَفَلُّتًا مِنْ قِيُودِ
الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ. وَلَوْلَا شُعْلَةُ الْحُسَيْنِ الَّتِي جَدَّدَتِ الْإِسْلَامَ الْأَصِيلَ وَحَفِظَتْهُ، هَمَيْمَتِ النُّسْخَةِ
الْمُزَيَّفَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ الَّتِي صَنَعَتْهَا السَّقِيفَةُ وَرَجَالُهَا -بِمَعَاوَنَةٍ مِنْ عَائِشَةَ وَأَمْتَالِهَا- عَلَى الْأُمَّةِ إِلَى
الْأَبَدِ. لَقَدْ كَانَ هَوْلًا مُفْرِّينَ بِأَنَّ السُّلْطَةَ ظَالِمَةً تَعْبَثُ بِالَّذِينَ، وَلَكِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْمُبَرَّاتِ لِقُعودِهِمْ
وَأِنْهَزَامِهِمْ. فَرَفَضَ الْحُسَيْنُ مَنْطِقَهُمْ.

٣ لَقَدْ وَصَعَ الْإِمَامُ يَدَهُ عَلَى الدِّعَاءِ الدَّفِينِ فِي نَفْسِهِمْ؛ أَلَا وَهُوَ "الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ". فَهُمْ يَطْمَعُونَ فِي
الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَ يُعْدِقُهَا عَلَيْهِمْ مُعَاوِيَةَ، الَّذِي كَانَ يَشْتَرِي ذِمَّتَهُمْ بِرَوَاتِبِ مُجْرِيَّةٍ، وَفِي الْوَقْتِ
ذَاتِهِ يَرْهَبُونَ إِزْهَابَ السُّلْطَةِ وَسَيْفِهَا.

لتعرف من أنت؟

وَإِخْشَوْنَ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْ مَنَّا يُطَبِّقُ هَذِهِ الْآيَةَ حَقًّا؟ إِنَّ مُشْكِلَتَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَدَّعِي اتِّبَاعَ الْحُسَيْنِ تَكْمُنٌ فِي خَوْفِنَا مِنَ الْإِرْهَابِ. فَبِمُجَرَّدِ أَنْ نَحَاوِلَ الْقِيَامَ بِحَرَكَةٍ تَصْحِيحِيَّةٍ لِلأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، يُقَالُ لَنَا: "أَلَا تَخَافُونَ أَنْ تُذَبِّحُوا وَتُسْفَكَ دِمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ؟". إِنَّ هَذَا الْمَنْطِقَ الْإِنْهَزَامِيَّ مَرْفُوضٌ عِنْدَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.

تَكْمُنُ الْمَشْكَالَةُ الْعُظْمَى فِي عَدَمِ التَّفَقُّهِ، حَيْثُ يَعْمِدُ الْبَعْضُ إِلَى اقْتِطَاعِ الْمَقُولَاتِ وَتَحْوِيلِهَا إِلَى أَحَادِيثَ لِتَبْرِيرِ الْقُعُودِ، كَمَا نَسَبَ الْبَعْضُ إِلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «رُبَّ شَخْصٍ فِي الْمَغْرِبِ يَقُولُ وَيَحَدِّثُ النَّاسَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ فِي مَأْمَنٍ وَيَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ فِي بِلَادِ الْخَوْفِ يَخَافُ» وَهُوَ كَذِبٌ مُحْضٌ لَمْ يَرِدْ عَنِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَيَصَوِّرُونَ الْجَهْرَ بِالْحَقِّ كَأَنَّهُ جَرِيمَةٌ لِأَنَّهُ قَدْ يُعْرَضُ الْآخِرِينَ لِلْخَطَرِ. وَالْحَقُّ أَنَّ التَّضْحِيَّةَ فِي بَعْضِ الْمَوَارِدِ تُصْبِحُ وَاجِبًا شَرْعِيًّا يُفْتِي بِهِ الْفُقَهَاءُ، حَتَّى مَعَ الْيَقِينِ بِوُقُوعِ الْقَتْلِ فِي صُفُوفِ الْمُؤْمِنِينَ. هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ حِينَ تَارَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِمَا سَيَحِلُّ بِالشَّيْعَةِ مِنْ تَضْفِيَّةٍ طَائِفِيَّةٍ بَعْدَهُ؟

١ المائدة: ٤٥

٢ تحف العقول ص ٢٣٧

وَعِنْدَمَا جَاءَ جَمَاعَةٌ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام بَعْدَ شَهَادَةِ أَبِيهِ الْكَاظِمِ عليه السلام فِي سُجُونِ هَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ: «إِنَّكَ مَتَكَلَّمٌ بِهَذَا الْكَلَامِ وَالسَّيْفُ يَقَطُرُ الدَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ لِلَّهِ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ حَمَاهُ بِأُضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمْلِ، فَلَوْ رَامَتْهُ الْبُخَاتِيُّ لَمْ يَصِلَنَّ إِلَيْهِ»^١. إِنَّ الْمَغْرَى هُوَ الْإِرْتِقَاءُ بِمُسْتَوَى التَّفَكِيرِ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَفِدِي الدِّينَ بِرُوحِهِ وَدَمِهِ، وَلَا يَنْتَظِرُ أَنْ يَفِدِيَهُ الدِّينُ. فَإِذَا كَانَ الدِّينُ فِي خَطَرٍ، وَجَبَ الْإِسْتِشْهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى لُغَةِ الْخَوْفِ. وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَاثِقًا بِاللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْمِيهِ كَمَا حَمَى وَادِي الذَّهَبِ بِأُضْعَفِ خَلْقِهِ.

نَعَمْ، إِذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ بِلا طَائِلٍ، وَلَا تُؤَدِّي إِلَى إِصْلَاحٍ، بَلْ وَتَسَبَّبُ فِي سَفْكِ دِمَاءِ الْمَعْصُومِ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ فَائِدَةٍ تُرْجَى، فَهَذَا تَجِبُ التَّقِيَّةُ. أَمَّا إِذَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ الْمَرْجُوءَةُ -وَهِيَ حَيَاةُ الدِّينِ وَبَقَاؤُهُ- أَعْظَمَ مِنَ الْمَفْسَدَةِ، فَحِينَئِذٍ يَجِبُ الْجَهْرُ بِالْحَقِّ، وَلَوْ كَلَّفَ ذَلِكَ عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْأَرْوَاحِ.

لِلشَّيْخِ الْأَعْظَمِ الْأَنْصَارِيِّ (رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ) رِسَالَةٌ فِقْهِيَّةٌ مَطْبُوعَةٌ وَمُلْحَقَةٌ بِكِتَابِ الْمَكَاسِبِ، يَضَعُ فِيهَا الْمِيزَانَ الدَّقِيقَ لِلتَّقِيَّةِ.. فَإِذَا كَانَتْ مَصْلَحَةٌ تَرُكُ التَّقِيَّةَ أَعْظَمَ مِنْ مَفْسَدَتِهَا فَتَعْمَلُ بِالتَّقِيَّةِ، وَإِذَا كَانَتْ

١ بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١١٨

لتعرف من أنت؟

المصلحة في ترك التقية فتركها. وإذا تساوت المصلحة والمفسدة تكون التقية مباحة.

النَوَايَا الدُّنْيَوِيَّةُ الْمُتَسْتَرَّةُ بِالدِّينِ

إِنَّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ حَاوَلُوا ثَنِي الإِمَامِ الحُسَيْنِ عَن مَسِيرِهِ إِنَّمَا تَحَدَّثُوا بِمَنْطِقِ التَّقِيَّةِ المَعْلُوطَةِ، مُتَذَرِّعِينَ بِحَقْنِ الدَّمَاءِ وَالخُوفِ مِنَ الإِسْتِرْقَاقِ وَالفِتْنَةِ. وَلَكِنَّ الحُسَيْنَ كَشَفَ حَقِيقَتَهُمُ المْتَمَثِلَةَ فِي "الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ". وَهَكَذَا هُوَ حَالُ بَعْضِ المُدْعِينَ فِي يَوْمِنَا هَذَا، مِمَّنْ رَتَّبُوا أَوْضَاعَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ مِنْ قُصُورٍ وَخَدَمٍ وَحَشَمٍ وَعَلاَقَاتٍ مَعَ السَّلَاطِينِ وَالرُّؤَسَاءِ بِاسْمِ الدِّينِ وَالمُرْجِعِيَّةِ.

هَؤُلَاءِ يَرُفُضُونَ الجَهْرَ بِالحَقِّ - كَالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَاءِ اللّهِ كَعَائِشَةَ - خَوْفًا عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَعَلاَقَاتِهِمْ، فَيَغْلُفُونَ دُنْيَوِيَّتَهُمْ بِغِلاَفِ التَّقِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ. لَقَدْ سُجِنْتُ فِي الكُوَيْتِ بِتَحْرِيزٍ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الدُّنْيَوِيِّينَ، الَّذِينَ لَهُمْ صِلَاتٌ بِالسُّلْطَةِ، وَقَدْ خَشُوا عَلَى عَلاَقَاتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ بَعْدَ أَنْ أُحْرِجُوا بِسَبَبِ مَوَاقِفِي العَقَائِدِيَّةِ، فَوَشَّوْا بِي وَسَعَوْا لِسَجْنِي.

إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الحَقَّ فِي قَرَارَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ، وَقَدْ صَارَحَنِي بَعْضُهُمْ بَعْدَ سَنَوَاتٍ بِأَنَّهُمْ يَضْطَرُّونَ لِقَوْلِ خِلاَفِ الحَقِّ أَمَامَ المَلَأِ خَشِيَّةً أَنْ تَخْرَبَ دُنْيَاهُمْ!

وَمَنْ تَشَرَّبَ مِنْهَا جَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يُبَالِي بِخَرَابِ الدُّنْيَا، فَقَدْ قَالَ أمير المؤمنين ﷺ: «طوبى لمن كذب مناه وأخرب دُنياه لعمارة أخراه»^١، وقال الإمام الصادق ﷺ: «تمنوا الفتنه، ففيها هلاك الجبارة، وطهارة الأرض من الفسقة»^٢. لقد واجه الحسين المتقاعسين بالقرآن: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ لِيَأْخُذَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^٣. وهذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليّ ﷺ، الذي كان يواجه الأعداء بلا حسابات للخوف والرغبة والرغبة. لذلك وصفته السيدة الزهراء ﷺ في خطبتها الاحتجاجية بـ "المتنمّر في ذات الله"، فالنمير ينقض على فريسته دون تردد أو تباطؤ بمجرد لمحها، بخلاف الأسد الذي يتأنى. هكذا كان عليّ بن أبي طالب يتوغّل في صفوف الأعداء، وهكذا هم شيعة الذين وصفهم الإمام العسكري ﷺ بقوله: «شيعة عليّ

١ غرر الحكم ص ٤٣٠

٢ أمالي الطوسي ص ٧٣٠

٣ آل عمران: ١٧٤-١٧٥

٤ حيث قالت ﷺ: نَقَمُوا -والله- منه شدة وطأته... وتنمّره في ذات الله... راجع دلائل الإمامة

لتعرف من أنت؟

هُمُ الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْعَعَ الْمَوْتِ عَلَيْهِمْ أَمْ وَقَعُوا عَلَى الْمَوْتِ»^١.
فَأَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ؟ بَلْ وَأَيْنَ الَّذِينَ لَا يُهَابُونَ قَوْلَ الْحَقِّ حَتَّى
دُونَ وُجُودِ تَهْدِيدِ جَدِّي بِالْمَوْتِ؟

ثُمَّ يَسْتَطِرِدُ الْحَسَنِ عليه السلام ويقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^٢، فَبَدَأَ اللَّهُ بِالْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِيضَةً مِنْهُ لِعَلِمِهِ بِأَنَّهَا إِذَا أُدِيَتْ وَأُقِيمَتْ
اسْتَقَامَتِ الْفَرَائِضُ كُلُّهَا هَيْئُهَا وَصَعُبُهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ
عَنِ الْمُنْكَرِ دُعَاءٌ إِلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ^٣ وَقِسْمَةِ الْفَيِّءِ
وَالْغَنَائِمِ، وَأَخَذَ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا وَوَضَعَهَا فِي حَقِّهَا.

ثُمَّ أَنْتُمْ آيَّتُهَا الْعِصَابَةُ، عِصَابَةُ بِالْعِلْمِ مَشْهُورَةٌ، وَبِالْخَيْرِ مَذْكُورَةٌ،
وَبِالنَّصِيحَةِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِاللَّهِ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مَهَابَةٌ، يَهَابُكُمْ الشَّرِيفُ،

١ تفسير الإمام العسكري عليه السلام ج ١ ص ٣٢٧.

٢ التوبة: ٧١

٣ حَتَّى لَوْ تَوَهَّمَ الْبَعْضُ وُجُودَ مَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ زَائِقَةٍ فِي ذَلِكَ. الْمَصْلَحَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكْمُنُ فِي رَدِّ
الْمَظَالِمِ، وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ آيْنَمَا ذَهَبَ.

٤ أَيِ تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ وَالْمَسَاوَاةِ فِي تَوْزِيعِ الثَّرَوَاتِ (قِسْمَةِ الْفَيِّءِ وَالْغَنَائِمِ)، بَدَلًا مِنْ تَكْدِيسِهَا لَدَى
طَبَقَةٍ فَاحِشَةِ الثَّرَاءِ عَلَى حِسَابِ طَبَقَةٍ مَسْحُوقَةٍ وَمَقْهُورَةٍ.

وَيُكْرِمُكُمْ الضَّعِيفُ، وَيُؤْتِرْكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ،
تَشْفَعُونَ فِي الْحَوَائِجِ إِذَا امْتَنَعَتْ مِنْ طَلَابِهَا، وَتَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ بِهَيْبَةِ
الْمُلُوكِ وَكَرَامَةِ الْأَكَابِرِ، أَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا نَلْتُمُوهُ بِمَا يُرْجَى عِنْدَكُمْ مِنَ
الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ أَكْثَرِ حَقِّهِ تُقْصِرُونَ؟

فَاسْتَخَفْتُمْ بِحَقِّ الْأُمَّةِ، فَأَمَّا حَقُّ الضُّعَفَاءِ فَضَيَّعْتُمْ، وَأَمَّا حَقُّكُمْ
بِرِعْمِكُمْ فَطَلَبْتُمْ^٢. فَلَا مَالًا بَدَلْتُمُوهُ، وَلَا نَفْسًا خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، وَلَا
عَشِيرَةً عَادَيْتُمُوهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ^٣ أَنْتُمْ تَتَمَنُونَ عَلَى اللَّهِ جَنَّتُهُ وَمَجَاوَرَةَ رُسُلِهِ
وَأَمَانًا مِنْ عَذَابِهِ؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُونَ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ

١ لَقَدْ فَضَحَهُمُ الْإِمَامُ وَكَشَفَ أَنَّ مَهَابَتَهُمْ وَمَكَانَتَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا بَنِيَتْ عَلَى حُسْنِ ظَنِّ الْعَوَامِّ
وَالْمَسَاكِينِ بِأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ حَقَّ اللَّهِ.

٢ فَهُمْ لَمْ يُؤَدُّوا حُقُوقَ الْأُمَّةِ الشَّرْعِيِّينَ، وَضَيَّعُوا حُقُوقَ الضُّعَفَاءِ، فِي حِينٍ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ مَطَالِبِهِمْ
الْحَاصَّةِ بِمَكَاسِبِ السُّلْطَةِ وَبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. نَعَمْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَدْفَعُونَ لِلْمَسَاكِينِ مِنْ أَجْلِ
التَّمَلُّقِ الْاجْتِمَاعِيِّ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ الطُّغَاةِ الْيَوْمَ لِيَكْتَسِبَ بَعْضَ الْوَلَاءَاتِ.

٣ هَذِهِ كَلِمَاتٌ مِفْصَلِيَّةٌ تُصَحِّحُ مَفَاهِيمَنَا عَنِ الْمَخَاطَرَةِ بِالنَّفْسِ إِنْ كَانَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتُشْرَعُنِ
الِاسْتِعْدَاءَ وَمُقَاطَعَةَ الْعَشَائِرِ أَوْ الْأَحْزَابِ الْمُوْغَلَّةِ فِي الشَّيْطَنَةِ وَالْبَاطِلِ (كَعَشِيرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ).
فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْمَخَاطَرَةُ بِالنَّفْسِ وَمُعَادَاةُ الْبَاطِلِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَكَيْفَ لِمَنْ يَتَّقَاعَسُ عَنْ ذَلِكَ أَنْ
يَرْجُو الْجَنَّةَ؟

لتعرف من أنت؟

نِقْمَةٌ مِنْ نِقْمَاتِهِ؛ لِأَنَّكُمْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ مَنْزِلَةً فَضَّلْتُمْ بِهَا، وَمَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ لَا تُكْرِمُونَ، وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ تُكْرِمُونَ وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَفْرَعُونَ^٢، وَأَنْتُمْ لِبَعْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَفْرَعُونَ! وَذِمَّةُ رَسُولِ

١ إذ لولا رسول الله ﷺ فلا فضل لهم. إنما صار لهم الفضل والمنزلة الرفيعة بنسبتهم لرسول الله، فهذا يقول: أنا من المهاجرين: والآخر يقول: أنا من الأنصار..

٢ إِنَّ أَعْظَمَ عَهْدٍ نُقِضَ هُوَ عَهْدُ الْوَلَايَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ. كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ تَفْرَعَ الْأُمَّةُ لِذَلِكَ وَتَثُورَ لِلْوَلَايَةِ، وَلَكِنْ فِي زَمَانِنَا هَذَا، نَرَى الْمَرْءَ يَفْرَعُ وَتَثُورُ ثَائِرَتُهُ إِنْ مَسَّ وَالِدُهُ أَوْ عَشِيرَتُهُ بِسُوءٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْرَعُ لِنَبِيِّهِ وَلَا لِظُلُومِيَّةِ السَّيِّدَةِ الرَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ! إِنَّهُ لِأَمْرٍ يُدْمِي قَلْبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُرْفَعَ اسْمُ عَمْرِ قَاتِلِ الرَّهْرَاءِ وَمُعْتَصِبِ حَقِّهَا فِي مَدِينَةِ النَّجَفِ الْأَشْرَفِ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَرْقَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُتَرْضَى عَلَيْهِ وَيُجْعَلُ أُسْوَةً، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِي اتَّخَذَهُ الْبَعْضُ عِجْلًا، مُبَرِّرًا ذَلِكَ بِالْوَحْدَةِ وَالتَّأَلُّفِ وَالتَّقِيَّةِ. وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَمَامَهُ مَدَحٌ صَدَامًا أَوْ دَعَا لِوَحْدَةٍ مَعَ الصَّدَامِيِّينَ لَقَامَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَفْعُدْ، فَكَيْفَ يُقْبَلُ بِمَدْحٍ مَنْ أَسَسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالْإِرْهَابِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ؟ لَقَدْ صِرْنَا مُصَدِّقًا لِمَا رُوِيَ فِي وَصْفِ مَنْ تَارُوا عَلَى عُثْمَانَ لِمَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ بَيْنَمَا سَكَنُوا عَنْ ظُلْمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ: "إِنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ عَدَلَا فِي النَّاسِ وَظَلَمَانَا، فَلَمْ تَغْضَبِ النَّاسَ لَنَا، وَإِنَّ عُثْمَانَ ظَلَمَنَا وَظَلَمَ النَّاسَ، فَغَضِبَتِ النَّاسَ لَأَنْفُسِهِمْ فَمَا لَوْ إِِلَيْهِ فَقْتَلُوهُ". [بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٨٩] فَمَتَى نَجْعَلُ نُصْرَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ هِيَ هَمُّنَا الْأَوَّلُ؟ وَمَتَى نَكُونُ مُسْتَعِدِّينَ لِنُصْرَةِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ (عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ) حِينَ يَظْهَرُ، بَدَلًا مِنَ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِ بِالتَّقِيَّةِ كَمَا أَخْبَرَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا فِي تَهْذِيبِ الْأَحْكَامِ ج ٦ ص ١٧٢: «وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ دُعِيتُمْ لِنُصْرَتِنَا لَقَاتَمْنَا لَنْفَعَلْ، إِنَّمَا نَنْتَقِي، وَلِكَا نَتَّقِيَّةَ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَوْ قَدْ قَامَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا احْتِجَّاجٌ عَنْ مَسَاءَلَتِكُمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَا أَقَامَ فِي كَثِيرٍ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ حَدَّ اللَّهِ».

اللَّهُ ﷻ مُحْقُورَةٌ وَالْعُمِّيُّ وَالْبُكْمُ وَالزَّمْنِي ١ فِي الْمَدَائِنِ مُهْمَلَةٌ لَا تَرَحُّمُونَ، وَلَا فِي مَنْزِلَتِكُمْ تَعْمَلُونَ، وَلَا مَنْ عَمِلَ فِيهَا تُعِينُونَ، وَبِالْإِدِّهَانِ ٢ وَالْمُصَانَعَةِ عِنْدَ الظَّلْمَةِ تَأْمُنُونَ. كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّهْيِ وَالتَّنَاهِي، وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ» ٣.

هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الْمَعَاصِرُ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ، فَبِأَحْثُوا فِي أَوْسَاطِنَا عَنْ أَمْثَالِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْمُثَبِّطِينَ الَّذِينَ يَسْتَعْلُونَ الْعَنَاوِينَ الدِّينِيَّةَ لِتُخْدِرِ الْأُمَّةَ وَمَنْعَ فِرْعَانَ لِنُصْرَةِ آلِ مُحَمَّدٍ. يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِعَمَلِيَّةٍ تَنْقِيَّةٍ وَتَصْفِيَّةٍ لِمُجْتَمَعَاتِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَنَاهِجِ الْإِنْهَزَامِيَّةِ الْمُنُومَةِ، لِتَكُونَ الْأَرْضِيَّةُ صَالِحَةً وَمُمَهَّدَةً لِظُهُورِ صَاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمَانِ ﷺ.

وَلَكِنِّي نَحَقِّقُ ذَلِكَ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَدَبَّرَ فِي هَذِهِ الْخُطْبِ، وَأَنْ نَسْتَلْهِمَ مَبَادِيَّ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ بَوَعِي وَعُمُقٍ، مُبْتَعِدِينَ عَنِ السَّطْحِيَّةِ النَّمَطِيَّةِ الَّتِي لَا تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ. إِنَّ أَحْيَاءَ هَذِهِ الْمَجَالِسِ وَالشَّعَائِرِ هُوَ الْحَبْدُ الْمَتِينُ الَّذِي يُبْقِي الرِّابِطَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ ﷺ وَعَلَيْنَا أَنْ نَضَخَّ

١ جمع الزماني أي المقعد.

٢ من المداهنة.

٣ تحف العقول ص ٢٣٧

لتعرف من أنت؟

تعاليم سيد الشهداء عليه السلام على أبنائنا وعلى الأجيال الصاعدة، لنتقيا إلى
المستوى الذي يرضيه، ونكون من الممهدين الصادقين لظهور وصيه
الطالب بناره، صاحب الأمر عليه السلام.

الانشقاق الحسینی والطاعة الحسينية!

الانشقاق الحسيني والطاعة العباسية

لَقَدْ وَقَعَ مُحَالِفُونَا - أهل البدعة - فِي حَرْجِ بَالِغٍ إِزَاءَ مَوْقِفِهِمْ مِنْ ثَوْرَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام. فَهَذِهِ الطَّائِفَةُ - كَمَا تَعْلَمُونَ وَخَبِرْتُمْ، نَشَأَتْهَا إِنَّمَا كَانَتْ نَشَأَةً حُكُومِيَّةً تَابِعَةً لِلسُّلْطَةِ؛ مِمَّا جَعَلَ مِنَ اللَّازِمِ وَالطَّبِيعِيِّ أَنْ يَقِفُوا إِلَى جَانِبِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ (لِعِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ) بِاعْتِبَارِهِ الْحَاكِمِ الفِعْلِيِّ. وَكَانَ حَتْمًا عَلَيْهِمْ - بِنَاءً عَلَى قَوَاعِدِهِمْ وَأُصُولِهِمْ وَفَلَسَفَتِهِمْ - أَنْ يُدِينُوا الْحُسَيْنَ عليه السلام وَيُحْطِئُوا حَرَكَتَهُ.

وَلَكِنْ، مَا الَّذِي دَفَعَ أَرْبَابَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَكَهَنَتَهَا إِلَى تَغْيِيرِ مَوْقِفِهِمْ تَجَاهَ الْحُسَيْنِ، عَلَى خِلَافِ مَا يَتَبَنَوْنَهُ مِنْ أُصُولٍ وَمَبَادِي؟
إِنَّ الدَّفَاعَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْحَرْجُ الشَّدِيدُ؛ إِذْ تَعَاطَفَ الْمُسْلِمُونَ عُمُومًا مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَهَاهُمْ وَأَرَعَبَهُمْ مَا جَرَى عَلَيْهِ.

لَقَدْ رَفَضَ الْوَجْدَانُ الْإِسْلَامِيَّ، بَلْ وَالْإِنْسَانِيُّ بِشَكْلِ عَامٍّ، مَا حَلَّ بِالْحُسَيْنِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَنِسَائِهِ وَأَطْفَالِهِ وَأَصْحَابِهِ.

وَنَتِيجَةً لِهَذَا الضَّغْطِ الْوَجْدَانِيِّ الْجَمَاهِيرِيِّ، حَاوَلَ كِبَارُ أَعْلَامِ الْفِرْقَةِ
الْبَكْرِيَّةِ التَّخْفِيفَ مِنْ حِدَّةِ مَوْقِفِهِمُ الْمُنَاصِرِ لِيَزِيدَ بِنِ مَعَاوِيَةَ وَالْمُوَيَّدِ
لِتَصْرُفَاتِهِ، وَالْمُخْطِئِي فِي الْمُقَابِلِ لِحَرَكَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ . فَلَجَّوْا إِلَى تَخْفِيفِ
عِبَارَاتِ الْمَحَامَاةِ عَنِ يَزِيدَ، فَلَا يُدَافِعُونَ عَنْهُ بِقُوَّةٍ وَجَلَاءٍ، كَمَا خَفَّفُوا مِنْ
لَهَجَةِ الْإِدَانَةِ لِلْحُسَيْنِ، فَتَحَاشَوْا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مُفْسِدٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ شَاقٌّ لِعَصَا
الْمُسْلِمِينَ وَمُفَرِّقٌ لِلْجَمَاعَةِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ، فِي عُمُومِ طَرَحِهِمْ، أَثْبَتُوا مَوْقِفَهُمُ
الْأَصْلِيَّ بِأَنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ مُخْطِئًا، لَكِنْ بِعِبَارَةٍ مُلَطَّفَةٍ، حَيْثُ قَالُوا: "إِنَّهُ كَانَ
مُجْتَهِدًا فَأَخْطَأَ". بَيِّنٌ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ كِتْمَانَ مَا فِي صَدْرِهِ، فَأَخْرَجَ
كَمَا بَيَّنَّ حِقْدَهُ مُصْرِحًا بِأَنَّ الْحُسَيْنَ أَفْسَدَ بِمَا صَنَعَ، وَرَأْسُ هَؤُلَاءِ هُوَ ابْنُ
تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، بَيْنَمَا تَذَبَذَبَتْ كَلِمَاتُ الْآخَرِينَ.

شَرْعُهُ التَّغْلِبُ وَتَبْرِيرُ حُكْمِ الطُّغَاةِ

إِنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ، بِنَاءً عَلَى أَصُولِهَا الْفِقْهِيَّةِ وَقَوَاعِدِهَا، مُلْزَمَةٌ بِإِدَانَةِ
الْحُسَيْنِ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تَتَعَامَلُ مَعَ كُلِّ ثَائِرٍ أَوْ خَارِجٍ عَلَى أَنَّهُ مُدَانٌ طَالَمَا أَنَّهُ لَمْ
يَتَوَلَّ الْحُكْمَ وَلَمْ يَتَخَطَّ عَتَبَاتِ قُضْرِ السُّلْطَةِ. أَمَّا إِذَا نَجَحَ، وَوَصَلَ،

لتعرف من أنت؟

وَتَرَبَّعَ عَلَى كُرْسِيِّ الْحُكْمِ، فَإِنَّ الْآيَةَ تَنْقَلِبُ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ
الإِدَانَةِ إِلَى وُجُوبِ الطَّاعَةِ، وَيُصْبِحُ "أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ" وَحَاكِمًا شَرْعِيًّا. وَلَوْ
أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلَ إِلَى الْحُكْمِ، لَأَصْطَفَوْا مَعَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ تَدُورُ
مَعَ الْحَاكِمِ حَيْثُ دَارَ، وَتُصَرِّحُ بِقَاعِدَتِهَا الذَّهَبِيَّةِ: "الْحُكْمُ لِمَنْ غَلَبَ".

لَوْ سَأَلْتُمْ فُقَهَاءَهُمْ: هَلْ تَتَعَقَّدُ خِلَافَةَ الْمُتَغَلَّبِ بِالْقَهْرِ؟ لِأَجَابُوا: نَعَمْ.
وَكَيْفَ تَتَعَقَّدُ الْخِلَافَةَ عِنْدَكُمْ؟ يَزْعُمُونَ أَوَّلًا أَنَّهَا بِالشُّورَى، لَكِنَّهُمْ يُرَدُّونَ
قَائِلِينَ: يُمَكِّنُ أَنْ تَتَعَقَّدَ بِالنَّصِّ أَيْضًا.

لَمَّاذَا قَالُوا بِالْأَمْرِ الثَّانِي؟ لَقَدْ ابْتَدَعُوا مَقُولَةَ الشُّورَى أَوَّلًا لِيُطِيلُوا حُجَّةَ
الشَّيْعَةِ؛ لِأَنَّ الشَّيْعَةَ يَقُولُونَ إِنَّ الْخِلَافَةَ بِالنَّصِّ وَلَيْسَتْ بِالشُّورَى، فَرَسُولُ
اللَّهِ ﷺ يَنْصُ عَلَى وِلَاةِ عَهْدِهِ، وَهُمْ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ، وَكُلُّ إِمَامٍ يَنْصُ عَلَى
الإِمَامِ الَّذِي يَلِيهِ. وَفِي مُقَابِلِ هَذَا، قَالُوا بِالشُّورَى لِيُصَحِّحُوا بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ
مُدَّعِينَ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ رَحِمِ الشُّورَى، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ
شُورَى، بَلْ كَانَتْ بَيْعَةً قَهْرِيَّةً لَا أَثَرَ لِلشُّورَى فِيهَا قَطُّ.

ثُمَّ وَاجَهَتْهُمْ مُشْكِلَةٌ أُخْرَى: إِذَا قُلْنَا إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَتَعَقَّدُ إِلَّا بِالشُّورَى،
فَكَيْفَ نَصَحَّحُ تَوَلِيَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّتِي جَاءَتْ بِالشُّورَى؟ لَقَدْ تَوَلَّى
عُمَرُ بِالنَّصِّ؛ حَيْثُ نَصَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ قَائِلًا فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ: "إِنِّي

استخلفت عَلَيْكُمْ بعدي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ "١. هُنَا رَأَوْا أَنَّ الْقَاعِدَةَ تَسْتَدْعِي تَعْدِيلاً، فَقَالُوا: فَتَنْعَقِدُ بِالشُّورَى كَمَا تَنْعَقِدُ بِالنَّصِّ! ثُمَّ اضْطَدَمُوا بِمُشْكَلَةِ ثَالِثَةٍ، وَهِيَ مَحْيَى حُكَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ - وَأَوَّلَهُمْ مُعَاوِيَةُ - الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى الْحُكْمِ وَالْخِلَافَةِ بِالتَّغْلِبِ وَقَهْرِ السَّيْفِ؛ فَقَالُوا حِينَهَا: إِنَّ الْخِلَافَةَ تَنْعَقِدُ بِالتَّغْلِبِ أَيْضًا! وَبِذَلِكَ اسْتَقَرَّتْ قَوَاعِدُهُمْ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ تَنْعَقِدُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ.

وَبِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ الْقَوَاعِدِ، فَإِنَّ يَزِيدَ خَلِيفَةً شَرْعِيًّا عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ وَالِدَهُ مُعَاوِيَةَ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ غَلَبَ وَاسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ.

حَتَّى إِنَّ قَائِلَهُمْ، وَهُوَ مُفْتِي (السُّعُودِيَّة) ٢، خَرَجَ عَلَى شَاشَاتِ التَّلْفَازِ فِي هَذِهِ السَّنِينَ الْأَخِيرَةِ لِيُصْرِّحَ عَلَنًا بِأَنَّ بَيْعَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ كَانَتْ بَيْعَةً شَرْعِيَّةً، وَأَنَّهُ خَلِيفَةٌ شَرْعِيٌّ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ مُحْطَطًا فِي خُرُوجِهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ قَائِلًا: "رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ!"

١ الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٤٩

٢ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ .

تَأْثِيرُ الْمَدِّ الشَّيْعِيِّ وَالضَّغْطِ الْجَمَاهِيرِيِّ

وَفَقًّا لِمَوَاقِفِهِمُ الْأَصِيلَةَ وَقَوَاعِدِهِمْ، كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَرْفُضُوا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَالْجَمَاهِيرُ سَتَنْقَلِبُ عَلَيْهِمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا فِي إِدَانَتِهِ بِلَهْجَةٍ حَادَّةٍ؟ وَأَنَا هُنَا لَا أَتَحَدَّثُ فَقَطُ عَنِ الضَّغْطِ الشَّيْعِيِّ -وَإِنْ كَانَ هَذَا الضَّغْطُ مَوْجُودًا وَمَوْثِرًا عَبْرَ الْقُرُونِ- حَيْثُ تَغَيَّرَتْ كَثِيرٌ مِنْ مَوَاقِفِ الطَّائِفَةِ الْبَكْرِيَّةِ بِفِعْلِ الْمَدِّ الثَّقَافِيِّ وَالْفِكْرِيِّ الشَّيْعِيِّ. لِذَلِكَ نَرَى بَعْضَ أَعْلَامِ أَهْلِ الْخِلَافِ يُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ فِي مَدْحِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، بَلْ وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ -وَمِنْ ضَمْنِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ-.

إِنَّ مَا دَفَعَهُمْ لِذَلِكَ هُوَ الْمَدُّ الْفِكْرِيُّ الشَّيْعِيُّ الَّذِي هَيَّمَنَ عَلَى الْأَجْوَاءِ الثَّقَافِيَّةِ لِلْأُمَّةِ فِي مَرَاكِلِ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ التَّارِيخِ، فَخَضَعُوا لِهَذِهِ الْهَيْمَنَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْ مِنْهُمْ تِلْكَ الْكُتُبَ وَالتَّصْرِيحَاتِ.

لَكِنْ هُنَاكَ ضَغْطٌ أَكْبَرُ وَأَعْمَقُ، وَهُوَ ضَغْطُ الْجَمَاهِيرِ الْمُسْلِمَةِ بِشَكْلِ عَامٍّ، مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانَتْ. فَهَذِهِ الْجَمَاهِيرُ تَنْتَفِضُ ضِدَّ كُلِّ مَنْ يُوجِّهُ إِدَانَةً حَادَّةً لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ. وَلَكَ أَنْ تُجَرِّبَ هَذَا الْأَمْرَ بِنَفْسِكَ الْآنَ؛ اذْهَبْ إِلَى أَحَدِ مَشَايخِ الْأَزْهَرِ، وَأَعْطِهِ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَعْتَلِيَ الْمِنْبَرَ فِي أَحَدِ مِيَادِينِ الْقَاهِرَةِ لِيُدِينِ الْحُسَيْنَ وَيَقُولَ إِنَّهُ كَانَ مُفْسِدًا. هَلْ يَقْدِرُ عَلَى

فِعْلٍ ذَلِكْ؟ بِالتَّأَكِيدِ سِرْفِضٍ؛ لِأَنَّ الْمَصْرِيَّيْنَ مُوَلَّعُونَ بِحُبِّ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ،
وَلَوْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَا نَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ إِلَّا وَالْأَحْذِيَّةُ تَنْهَالُ عَلَى رَأْسِهِ! فَلَا
أَحَدَ يَسْتَطِيعُ تَحْمَلُ هَذَا الطَّرْحِ أَوْ تَمْرِيرَهُ مُرُورَ الْكِرَامِ.

وَبِسَبَبِ هَذَا الضُّعْفِ، اضْطُرُّوا إِلَى تَخْفِيفِ الْعِبَارَةِ، مَعَ الْحِفَاطِ عَلَى
جَوْهَرِ الْمَوْقِفِ؛ فَصَارُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نَقُولُ إِنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ ظَالِمًا، أَوْ
مُفْسِدًا، أَوْ شَاقًّا لِعَصَا الْمُسْلِمِينَ مُحَدِّثًا لِفِتْنَةٍ كُبْرَى، وَلَكِنَّا نَقُولُ إِنَّهُ كَانَ
مُخْطِئًا فِي تَصَرُّفِهِ. وَفِي الْمُقَابِلِ، يَرُونَ أَنَّ يَزِيدَ "مَبْغِيٌّ عَلَيْهِ" وَمَظْلُومٌ؛ وَأَنَّ مَا
قِيلَ عَنْ كَوْنِهِ شَارِبًا لِلْخَمْرِ، تَارِكًا لِلصَّلَاةِ، مُرْتَكِبًا لِلْمُنْكَرَاتِ، زَانِيًا
وَفَاسِقًا، إِنَّمَا هِيَ مَحْضُ أَقَاوِيلَ لِلْخُصُومِ السِّيَاسِيِّينَ، وَافْتِرَاءَاتٍ مِنْ "الشَّيْعَةِ
السَّبْيِيَّةِ الرَّافِضَةِ".

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ يَزِيدَ، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ مُتَحَرِّيًا لِلِسُنَّةِ، مُلَازِمًا
لِلْحَقِّ، بَلْ هُوَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ! وَهَذِهِ لَيْسَتْ مَقُولَةَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَوْ كَلِمَةَ
شَخْصٍ عَادِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ؛ بَلْ هِيَ، كَمَا سَأُثْبِتُ لَكُمْ، كَلِمَةُ وَاحِدٍ مِنْ
أَعْظَمِ عُظَمَائِهِمْ وَأُمَّةِ مَذَاهِبِهِمْ، أَلَا وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، إِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنْبَلِيِّ، الَّذِي جَعَلَ يَزِيدَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ!

تَهَأَّتِ التَّقِيْمِ الْأُمُوِي لِثُوْرَةِ الْحُسَيْنِ ،

هُنَاكَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ وَمَطْبُوعٌ اسْمُهُ «الْعَوَاصِمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ فِي تَحْقِيقِ مَوَاقِفِ الصَّحَابَةِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ». إِنَّهُ لِأَحَدِ كِبَارِ أَعْلَامِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي عَصْرِهِ، الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بِنِ الْعَرَبِيِّ^١. هَذَا الرَّجُلُ فِي كِتَابِهِ «الْعَوَاصِمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ»، تَنَاوَلَ قِصِيَّةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ انْتَخَبَتْ لَكُمْ مِنْ فِقْرَاتِهِ الْآتِي: «فَلَمْ يَبْلُغِ الْكُوفَةَ إِلَّا وَمُسْلِمٌ بِنُ عَقِيلٍ قَدْ قُتِلَ وَأَسْلَمَهُ مَنْ كَانَ اسْتَدْعَاهُ^٢ وَيَكْفِيكَ بِهَذَا عِظَةً لِمَنْ اتَّعَظَ^٣ فَتَمَادَى وَاسْتَمَرَّ غَضَبًا لِلدِّينِ وَقِيَامًا بِالْحَقِّ^٤. وَلَكِنَّهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةَ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ ابْنِ

١ وَلَا يَقَعَنَّ فِي ذَهْنِكُمْ اسْتِنْبَاهُ، فَهَذَا لَيْسَ ذَلِكَ الْمَتَّصِفَ الرَّزْدِيْقِ الْأَكْبَرَ الَّذِي يُدْعَى ابْنَ عَرَبِيٍّ. هَذَا الثَّانِي عَاشٍ فِي الْقُرْنِ الْخَامِسِ، وَهُوَ فَقِيهٌ مَالِكِيٌّ، وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا جَعَلُوا لَهُ (أَل) التَّعْرِيْفِ فَسَمَوْهُ (ابْنَ الْعَرَبِيِّ)، بَيْنَمَا حَذَفُوْهَا مِنْ اسْمِ الثَّانِي؛ لِذَفْعِ الْإِسْتِنْبَاهِ بَيْنَهُمَا.

٢ أَيَّ أَنَّ الْحُسَيْنَ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْكُوفَةِ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ سَفِيْرُهُ، وَسَلَّمَهُ الدِّينَ اسْتَدْعَوْهُ لِابْنِ زِيَادٍ.

٣ هُنَا يَبْدَأُ فِي تَخْطِئَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّعِظَ بِمَا جَرَى لِابْنِ عَمِّهِ وَيَرْجِعَ أَدْرَاجَهُ دُونَ عِنَادٍ!

٤ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى، هُوَ يَصِفُ فِعْلَهُ بِالتَّهَوُّرِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ، حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَمَادَى، بَلْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ "عَقْلَانِيًّا" كَالْأَكَابِرِ الَّذِينَ سَبَقَ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ -ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ - الَّذِينَ نَصَحُوهُ بِمِلَازِمَةِ الْبَيْتِ.

عَبَّاسٍ^١، وَعَدَلَ عَنْ رَأْيِ شَيْخِ الصَّحَابَةِ ابْنِ عُمَرَ وَطَلَبَ الْإِبْتِدَاءَ فِي
الْإِنْتِهَاءِ، وَالِاسْتِقَامَةَ فِي الْإِعْوَجَاجِ، وَنَضَارَةَ الشَّيْبَةِ فِي هَشِيمِ الْمَشِيخَةِ،
لَيْسَ حَوْلَهُ مِثْلُهُ، وَلَا لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ يَزَعِي حَقَّهُ وَلَا مَنْ يَبْدُلُ نَفْسَهُ دُونَهُ^٢

١ الْحُسَيْنُ حُجَّةُ اللَّهِ وَرَيْحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، انْحَدَرَ بِهِ الدَّهْرُ عِنْدَهُمْ لِدَرَجَةِ
أَنْ يَقُولَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ إِنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَمَّذَ عَلَى يَدِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي لَمْ يَلْحَقْهُ هُوَ وَأَبُوهُ
بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَّا مُتَأَخَّرًا! هَلْ يَتَلَقَّى الْحُسَيْنُ تَكْلِيفَهُ الشَّرْعِيِّ مِنْهُمْ؟! لَقَدْ تَعَامَلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام
وَكَانَهُ "قَاصِرٌ" يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْجِيهِ مِنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْأَرَادِلِ الَّذِينَ
يَتَكَسَّبُونَ وَيَتَاجِرُونَ بِالدِّينِ، وَالَّذِينَ فَضَحَهُمُ الْحُسَيْنُ فِي خُطْبَتِهِ الْعِصْمَاءِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرَهَا فِي
المُحَاضِرَةِ السَّابِقَةِ حِينَ قَالَ إِنَّهُمْ عَيْدُ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الدِّينَ لَعَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

٢ كُلُّ هَذِهِ الْكِنَايَاتِ مَقْصُودٌ بِهَا أَنَّ الْحُسَيْنَ أَخْطَأَ التَّقْدِيرَ. وَهَذَا نَابِعٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَاطِئَةٍ وَجَهْلٍ
مُدْفَعٍ بِتَوَرُّةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام؛ فَكَيْفَ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَنْصَارٌ يَبْدُلُونَ النَّفْسَ دُونَهُ؟! أَفَرَأَى
صَفَحَاتِ الْمَجْدِ لِأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ؛ هَاتِ لَنَا أَنْصَارًا مِثْلَهُمْ، أَوْ أَصْحَابًا أَبْرَ وَأَوْفَى مِنْهُمْ! كَمَا قَالَ
هُوَ عليه السلام: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي». [الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٩١].

لَمْ تُنَجِبِ الْأَمَهَاتُ مِثْلَهُمْ أَبَدًا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ مَدْرَسَةً مُسْتَقَلَّةً. وَكَيْفَ يَتَفَوَّهُ بِقَوْلِهِ: "لَيْسَ
حَوْلَهُ مِثْلُهُ"؟! أَيْنَ أَنْتَ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ؟ أَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الْحُسَيْنِ فِي الْبُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ
وَالْإِقْدَامِ؟ لَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ عليه السلام ظِلَّ الْحُسَيْنِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ. إِنَّهُمْ مَحْرُومُونَ مِنْ اسْتِيعَابِ عَظْمَةِ
هَذِهِ التَّوَرَّةِ وَأَبْطَالِهَا.

لتعرف من أنت؟

فَأَرَدْنَا أَنْ نُظَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ حَمْرِ يَزِيدَ، فَأَرْقْنَا دَمَ الْحُسَيْنِ! فَجَاءَتْنا مُصِيبَةٌ لَا
يَجْبُرُهَا سُورُ الدَّهْرِ^١.

تَبْرِيرُ الْجَرِيمَةِ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ

وَمَا خَرَجَ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ^٢، وَلَا قَاتَلُوهُ إِلَّا بِمَا سَمِعُوا مِنْ جَدِّهِ
المُهَيَّمِنِ عَلَى الرُّسُلِ، المُخْبِرِ بِفَسَادِ الحَالِ، المُحذِّرِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الفِتَنِ،
وأقواله في ذلك كثيرة؛ منها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّهُ ستكونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ^٣، فمن
أرادَ أن يُفَرِّقَ أمرَ هذه الأمةِ وهي جميعٌ، فاضربوه بالسيفِ كائناً من

^١ هُوَ هُنَا لَا يُقَرُّ بِأَنَّ يَزِيدَ كَانَ شَارِبًا لِلْحَمْرِ، بَلْ يَقُولُ عَلَى وَجْهِ الفَرَضِ: حَتَّى لَوْ صَحَّ أَنَّهُ يَشْرَبُ
الحَمْرَ، فَإِنَّ المَفْسَدَةَ الأعْظَمَ هِيَ إِرَاقَةُ دَمِ الحُسَيْنِ. هُوَ لِأَنَّ أَفْزَامَ قَاصِرُونَ؛ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ خُرُوجَ
الحُسَيْنِ كَانَ مُجَرَّدَ أَنْ يَزِيدَ شَارِبٌ لِلْحَمْرِ، وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ لِيَقْتُلَعَ مِنْهَجًا فَاسِدًا مِنْ
أُسُسِهِ، وَلِيُفَيِّمَ المُسْلِمِينَ عَلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا تَائِهِينَ ضَائِعِينَ. لَقَدْ دَهَّمَهُ عَلَى طَرِيقِ
النَّجَاةِ، وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، مُؤَسَّسًا لِمَنْهَجِ سَارِ عَلَيْهِ وَرَثَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ. وَلَوْ لَمْ يَثْرُ، لَمَا عَرَفَ
النَّاسُ طَرِيقَ النَّجَاةِ أَبَدًا.

^٢ أَي مُتَّوَلٍ "اجتهد فأخطأ".

^٣ أَي أَشْيَاءَ قَبِيحَةٍ.

كان» ٢٠١. فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله... وهذا أحمد بن حنبل - علي
تَقَشُّفِهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ فِي الدِّينِ وَوَرَعِهِ - قَدْ أَدخَلَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي

١ صحيح مسلم، ١٨٥٢

٢ إِنَّ أَهْلَ الْخِلاَفِ يَرُونَ أَنَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ مَهْدُورُ الدَّمِّ، وَيَبْرُرُونَ قَتْلَ
مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَيَلْعَنُونَ قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَيَكْفُرُونَ بِهِمْ. أَمَّا مَنْ يَخْرُجُ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام، فَيَقُولُونَ: "اجْتَهَدَ
فَأَخْطَأَ"; بَلْ إِنَّ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مَلْجَمٍ قَتَلَ عَلِيًّا مُتَأَوِّلاً! [راجع الحاوي الكبير
للماوردي ج ١٣ ص ١٠٢] وَحِينَمَا تَأْتِي النَّوْبَةُ إِلَى قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِتَأْوِيلِ
وَتَطْبِيقًا لِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ؛ وَهَذَا شَاعَتْ مَقُولُهُ أَنَّ "الْحُسَيْنَ قُتِلَ بِشَرِّ جَدِّهِ". [راجع تاريخ

ابن خلدون ج ١ ص ٢٧١]

إِنَّهُمْ لَا يُطَبِّقُونَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ إِلَّا عَلَى آلِ رَسُولِ اللَّهِ؛ أَمَّا مَعَ غَيْرِهِمْ فَلَا تُسْتَحْدَمُ. هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُمْ
طَبَّقُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَنْ خَرَجَ ضِدَّ (الْقَدَّافِيِّ) مَثَلًا؟ الشَّعْبُ اللَّيْبِيُّ كَانَ مُجْتَمِعًا عَلَيْهِ، ثُمَّ
خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ لِتُفَرِّقَ هَذَا الْجَمْعَ، فَلَمَّاذَا أَفْتَى شَيْوْخُهُمْ - كَالْقَرَضَاوِيِّ - بِوُجُوبِ قَتْلِ الْحَاكِمِ بَدَلًا
مِنْ قَتْلِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ وَفَقَّاهُ لِمُعْتَقِدِهِمْ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ؟! الْجَوَابُ: إِنَّهَا مَوَاقِفُ تُحَرِّكُهَا السِّيَاسَةُ
وَالْأَهْوَاءُ، وَلَا تُطَبَّقُ الصَّرَامَةُ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام.

أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». [الترمذي: ٣٧٦٨، مسند أحمد:
١١٦٣٦]. بِمَا يَعْنِي قَطْعًا أَنَّ أَفْعَالَ الْحُسَيْنِ وَخُرُوجَهُ عَلَى يَزِيدَ تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ وَابْهَدَ
الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُدِينُهُ؟ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَوْضُوعَةُ صَنَعَتِهَا السِّيَاسَةُ الْأُمُويَّةُ لِسَلْبِ قَرَارِ الْأُمَّةِ فِي
مُوجَهَةِ الطَّعَاةِ. وَعَلَى فَرَضِ صِحَّتِهَا، فَيَجِبُ تَفْيِيدُهَا بِالْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَةِ الْعَادِلَةِ، وَلَوْ طَبَّقْنَاهَا
عَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدَانُ هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي رَكِبَتْ جَمَلَهَا وَفَرَّقَتْ أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ
بِخُرُوجِهَا عَلَى الْحَاكِمِ الْعَادِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ! هَلْ يَجْرُؤُ أَحَدُهُمْ عَلَى إِدَانَتِهَا؟

لتعرف من أنت؟

كتاب «الزهد» أنه كان يقول في خطبته: إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي، ثم تماثل، فلينظر إلى أفضل عملٍ عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوأ عملٍ عنده فليدعه. وهذا يدلُّ على عظيم منزلته عنده، حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم، ونعم، ما أدخله إلا في جملة الصحابة، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين^١، فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور؟! ألا تستحيون؟^٢.

شبهة "تفريق الأمة" والرد الحسيني

إنَّ هُمةَ إحدَثِ الفِتنةِ والشَّقاقِ لَيْسَتْ وَلِيْدَةَ اللَّحظةِ، بَلْ هِيَ هُمةُ أُمويَّةٍ قَدِيْمَةٍ. وَقَدْ أَرْسَلَ مُعاوِيَةَ كِتَابًا إِلَى الإِمَامِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ فِيهِ: "واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى الفتنة". فَأَجَابَهُ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ وِلايَتِكَ عَلَيْهَا"^٣. هَذَا هُوَ مَنْطِقُ

١ هَكَذَا يَتَّخِذُونَ مِنْ كَلِمَاتِ يَزِيدَ حِكْمًا يُقْتَدَى بِهَا، بَلْ وَأَدْخَلَهُ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي قِسْمِ الصَّحَابَةِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي ذِكْرِ التَّابِعِينَ! لِيَخْلُصَ ابْنُ العَرَبِيِّ إِلَى أَنَّ يَزِيدَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ كُلَّ مَا رُوِيَ عَنِ فُجُورِهِ هُوَ مِنَ المَوْضُوعَاتِ، وَبِالتَّالِي فَإنَّ الحُسَيْنَ مُخْطِئٌ وَمُدَانٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ الأَكابرِ وَشَقَّ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ!

٢ العواصم من القواصم ص ٢٣٧

٣ بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢١٥

سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ؛ إِذَا كَانَ الْإِنْشِقَاقُ وَالتَّفْرِيقُ فِي سَبِيلِ أَحْيَاءِ الدِّينِ وَإِقَامَةِ الْحَقِّ وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ، فَالشَّرْعُ يُرْحَبُ بِتَفْرِيقِ الْأُمَّةِ إِذَا كَانَ الْهَدَفُ إِمَارَةَ الْحَقِّ عَنِ الْبَاطِلِ الْمُخْتَلِطِينَ، كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ الْبِدَعِ الَّتِي أُدْخِلَتْ فِي الدِّينِ (كَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ الَّتِي شَرَعَهَا عُمَرُ). مَنْ يَدْعُونَ لِالتَّقْرِيبِ الْيَوْمَ وَيَحْجُبُونَ الْحَقَّ عَنِ مُحَالِفِيهِمْ لَا يُنْقِذُونَهُمْ؛ فَالْإِمَامُ الْحُسَيْنِيُّ كَانَ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ، وَلِذَلِكَ نَارَ لَيْسَتْ تَنْقِذُهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَحَيْرَةِ الْجَهَالَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي زِيَارَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ: «لَيْسَتْ تَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ»^١.

لَقَدْ وَوَجِهَ الْحُسَيْنِيُّ بِمَنْطِقِ الْمَصْلَحَةِ، وَهُوَ مَنْطِقُ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَمَنْطِقِ الْعَاطِفَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ النَّتَائِجِ الْخَطِيرَةِ لِثَوْرَتِهِ مِمَّا يُوَدِّي لِاسْتِئْصَالِ أَهْلِ بَيْتِ الْحُسَيْنِيِّينَ وَاسْتِرْقَاقِ الْأَحْرَارِ، وَهُوَ مَنْطِقُ (ابْنِ عُمَرَ)، وَمَنْطِقِ التَّخْوِيفِ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ مَنْطِقُ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ)، وَوَجِهَ بِمَنْطِقِ التَّخْوِيفِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْإِنْشِقَاقِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ هَذَا الْمَنْطِقِ هُمُ بَنُو أُمِّيَّةٍ، لِأَنَّ السُّلْطَةَ كَانَتْ بِيَدِهِمْ، وَأَيُّ سُلْطَةٍ يَثُورُ عَلَيْهَا الثَّائِرُونَ يَسْتُخْدِمُونَ لِمُوَاجَهَتِهَا دَعْوَى الْوَحْدَةِ وَالسَّلَامِ الْأَهْلِيِّ وَالْأَمْنِ، وَبِذَلِكَ يُدِينُونَ الثَّائِرِينَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ يَخَالِفُونَ هَذِهِ الْمَبَادِئَ.

^١ مِنْ زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لتعرف من أنت؟

يَذْكُرُ ابْنُ نَمَّاءٍ فِي «مُثِيرِ الْأَحْزَانِ»: «كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، اعْتَرَضَهُ يُحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، أُرْسِلَهُمْ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ^١. فَقَالُوا لَهُ: انصرف، إلى أين تذهب، فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه منهم امتناعاً قوياً. ومضى الحسين على وجهه فبادروه وقالوا: يا حسين الا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة فقال: ﴿لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ^٢﴾^٣» ٤.

وَمَنْ هُوَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هَذَا الَّذِي يَدْعُو لِعَدَمِ التَّفْرِيقَةِ؟ إِنَّهُ كَمَا فِي شَرْحِ النَّهْجِ: «لَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ ابْنِ زِيَادٍ يُبَشِّرُهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ، قَرَأَ

^١ والي المدينة في بداية زمن يزيد

^٢ يونس: ٤٢.

^٣ مثير الأحزان لابن نماء ص ٣٩، الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٦٨

^٤ فأبى أحد يواجهك بأنك تُثير الفتن والانشقاق فقل له لك عملك ولي عملي، لك طريقك ولي طريقي، فطريق الحق والباطل لا يجتمعان، طريق رسول الله ﷺ غير طريق عائشة، لأنها ناقضت طريق رسول الله ﷺ وأحكامه، وكذلك طريق علي عليه السلام غير طريق أبي بكر وعمر. وطريق الحسين غير طريق بني أمية، ولاحظ أن منطق بني أمية مماثل لمنطق هؤلاء الذين يثورون علينا بحجة إثارة الفتنة والانشقاق.

الكتاب على المنبر وأنشد شعرا، وأومأ إلى قبر الرسول قائلاً: "يا محمد، يوم
يَوْمِ بَدْرِ" ^١.

يَقُولُ لِلنَّبِيِّ: أَخَذْنَا ثَارَنَا مِنْكَ بِقَتْلِ فِلْدَةَ كَبِدِكَ. هَذَا اللَّعِينُ الْمَعْرُوفُ
بِـ"لَطِيمِ الشَّيْطَانِ" أَوْ "الأَشْدَقِ" ^٢، قُتِلَ لَأَحِقًّا عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ ^٣،

أَنَّ أَحَادِيثَ هَذَا الرَّجُلِ مُعْتَمَدَةٌ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَأَنَّهُ يُعَدُّ «ثِقَةً»
يَأْخُذُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ؟! وليس مجرد هذا الرجل، بل غيره أيضاً كخالد بن
سلمة المخزومي المعروف بـ"الفأفأ". هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ
بِـ«الإمام الفقيه» ^٤، ينقل ابن حجر في تهذيب التهذيب: «كان يُنشد بني
مروان الأشعار التي هُجِيَ بها المصطفى» ^٥. وَمَعَ ذَلِكَ، أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ

^١ شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٢

^٢ أي عظيم الشدقين - وهو الفم-

^٣ إنما قال ما قال في خطبته تشبيهاً لحكم بني أمية، وإذا به يُقتل على يد بني أمية أنفسهم.

^٤ سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٧٤

^٥ تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٨٤

لتعرف من أنت؟

وَالْتَرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَوَثَّقُوهُ. فَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ إِسْلَامٍ هَذَا الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ
أَعْدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ؟!

العَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ.. نَمُودَجُ الطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَمَنَّطَقُوا بِمَنْطِقِ الْمُتَخَاذِلِينَ، بَلْ تَمَنَّطَقُوا بِمَنْطِقِ
الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي كَانَتْ أَعْظَمُ خِصَالِهِ هِيَ الطَّاعَةُ الْمُطْلَقَةُ لِإِمَامِ زَمَانِهِ.
فِي مُقَابِلِ خَائِنِينَ كَعُمَرَ الْأَطْرَفِ الَّذِي هَنَأَ نَفْسَهُ حِينَ سَمِعَ بِمَقْتَلِ
الْحُسَيْنِ قَائِلًا: "أَنَا الْعَلَامُ الْحَازِمُ، لَوْ خَرَجْتُ مَعَهُمْ لَذَهَبَتْ فِي الْمَعْرَكَةِ
وَقُتِلْتُ"، كَانَ الْعَبَّاسُ عَبْدًا صَالِحًا مُطِيعًا.

نَقَرًا فِي زِيَارَتِهِ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم، السَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ وَعَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، أَشْهَدُ وَأَشْهَدُ
اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
الْمَنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّابُّونَ عَنِ
أَحْبَائِهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَأَكْثَرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَى جَزَاءِ

أحد مَن وفي بيعته واستجاب له دَعْوَتُهُ وَأَطَاعَ ولاةَ أَمْرِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ
بَالَعْتَ فِي النُّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ الْمَجْهُودِ...»^١.

لَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ مِثَالَ الطَّاعَةِ، حَتَّى حِينَ تَتَعَارَضُ طَاعَتُهُ مَعَ عَوَاطِفِهِ
وَحَمِيَّتِهِ. حِينَمَا مُنِعَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عليه السلام مِنْ أَنْ يُدْفَنَ بِجَوَارِ جَدِّهِ، وَرُمِيَتْ
جَنَازَتُهُ بِالسَّهَامِ مِنْ قِبَلِ عَائِشَةَ (لعنها الله)، سَلَّ الْعَبَّاسُ سَيْفَهُ، فَلَمَّا أَشَارَ
إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ بِأَعْيُنِهِ، كَظَمَ غَيْظَهُ وَأَطَاعَ فَوْرًا^٢. وَفِي كَرْبَلَاءَ، أَمَرَ بِسَلِّ
السَّيْفِ فَسَلَّهُ وَأَطَاعَ، مَعَ عِلْمِهِ بِبِقِيْنِ الْمَوْتِ.

وَلَمَّا جَاءَهُ الشُّمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ يَعْزِضُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ الْأَمَانَ مُنَادِيًا:
«أَيْنَ بَنُو أُخْتِنَا عَبْدِ اللَّهِ وَجَعْفَرِ وَالْعَبَّاسِ وَعِثْمَانَ؟ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، فَقَالَ لَهُمْ
الْحُسَيْنُ عليه السلام: أَجِيبُوهُ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا، فَقَالُوا لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: يَا بَنِي
أُخْتِي أَنْتُمْ آمَنُونَ. فَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ أُخْيِكُمُ الْحُسَيْنِ، وَالزَّمُوا طَاعَةَ

١ مفاتيح الجنان ص ٤٣٥

٢ جاء في كتاب العباس للمقرّم ص ٢٤٥: «وذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص ٨٤ أنه لما رأى جنازة سيّد شباب أهل الجنة ترمى بالسهم، عظم عليه الأمر، ولم يطق صبرًا دون أن جرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البلغة» لولا كراهية السبط الشهيد الحرب، عملاً بوصية أخيه «لا تهرق في أمري محجمة من دم»، فصبر أبو الفضل على أحرّ من جمر الغضا، ينتظر الفرصة، ويتربص الوعد الإلهي، فأجهد النفس، وبذل النفس في مشهد (النواويس)، وحاز كلتا الحسينين».

لتعرف من أنت؟

أمير المؤمنين يزيد، فقالوا له: لَعَنَكَ اللَّهُ وَلَعَنَ أَمَانَكَ، أَتُؤْمِنُنَا وَابْنُ رَسُولِ
اللَّهِ لَا أَمَانَ لَهُ؟! أَتَأْمُرْنَا أَنْ نَتْرِكَ سَيِّدَنَا وَأَخَانَا وَنَدْخُلَ فِي طَاعَةِ اللّٰعْنَاءِ
وَأَوْلَادِ اللّٰعْنَاءِ؟! فرجع شمر إلى عسكره مغضبا^١.

هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الْعَبَّاسِ الَّذِي بِهِ ارْتَفَعَ مَقَامُهُ الشَّرِيفُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، وَنَحْنُ مَنْطِقْنَا مَنْطِقُ الْعَبَّاسِ، فَلَا مَجَالَ لِطَاعَةِ اللّٰعْنَاءِ عَلَى حِسَابِ
سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ. أَلَا فَاذْكُرُوا سَيِّدَكُمْ الْعَبَّاسَ، وَابْكُوا أَخَاهُ الْحُسَيْنَ!

١ فاجعة الطف للسيد الحكيم ص ٧٢، اللهوف لابن طاووس ص ٥٤، الفتوح لابن أعمش الكوفي

الحسين عليه السلام غاية لا تبرر الويلة

الغاية لا تبرر الوسيلة: منهج أهل البيت عليه السلام

من أعظم ما يُميّز أهل بيت العِصمة والطهارة ﷺ أنهم أهل مبادئ ومُثلٍ عُلّيا، لم يتزحزحوا عنها قطّ، وذلك بخلاف غيرهم من سائر البشر. ومن أظهر ما يُميّزهم ﷺ أنهم لم يعملوا قطّ بالمبدأ الميكافيليّ القائل بأنّ "الغاية تبرر الوسيلة". فما كانوا ليقبلوا على أنفسهم أن يرتكبوا ما يُخالف المبادئ والمُثل السامية، أو ما يُخالف أحكام الإسلام والشرع الحنيف، تحت ذريعة أو دعوى أنّ الغاية حسنة، وأنّه لا بأس بالتوسّل بوسائل محرّمة للوصول إلى تلك الغاية النبيلة. وهذا الأمر نلاحظه جلياً وواضحاً في سيرة أهل البيت الطاهرين ﷺ.

وقد استقوا هذا المنهج وأخذوه من سيدهم ومعلمهم الأوّل؛ رسول الله ﷺ، والذي يُعدّ العظيم الأوّل في تاريخ البشرية كافّة، كما شهد له بذلك المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، والصديق والعدو على حدّ سواء. فالعدو قبل الصديق قد شهد بأنّ العظيم الأوّل هو رسول الله ﷺ. وهذا

العظيم، والمعلم الأكبر، هو ذلك الرجل الذي حينما انطلق بدعوته العظيمة، عُرِضَتْ عَلَيْهِ مُغْرِيَاتٌ جَسِيمَةٌ؛ إِذْ جَاءَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ قَرِيْشٍ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَعْضَرَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمَلِكِ، قَائِلِينَ: إِنَّ أَرَادَ ابْنُ أَخِيكَ مَلِكُنَا عَلَيْنَا، وَنَصَبْنَا مَلِكًا وَجَعَلْنَا حَاكِمًا، وَلَكِنْ شَرِيْطَةٌ أَنْ يَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ وَيَتَخَلَّى عَنْ دَعْوَتِهِ.

بَيَدَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْبَلْ بِهَذَا الْعَرْضِ، بَلْ قَالَ كَمَا اسْتَفَاضَتْ بِذَلِكَ الرِّوَايَاتُ عَنْهُ: "لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ".^١

فَلَمْ يَتَزَحَّزَحْ عَنْ مَبَادِيئِهِ قَيْدَ أُمَّلَةٍ. وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ آخَرَ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ لَا يَنْتَهِجُ مِنْهَا جَهْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَرَأَى فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَنْ رَفَضَ هَذَا الْعَرْضَ يُعَدُّ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الْحِمَاقَةِ؛ إِذْ لَا بَأْسَ مِنْ قَبُولِ هَذَا الْعَرْضِ رِيثًا يَسْتَفْرِدُ بِالسُّلْطَةِ وَيُثَبِّتُ مُلْكَهُ، وَيَتَوَجَّحُ مَلِكًا عَلَى قَرِيْشٍ، فَمَا هِيَ إِلَّا بَضْعُ سَنِينَ حَتَّى يَتَوَطَّدَ حُكْمُهُ، وَيَسْتَأْسَدَ، وَحَيْنَئِذٍ لَا يَتِمَكَّنُ أَحَدٌ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، فَيُعْلَنَ حِينَهَا الْإِسْلَامَ. وَمَنْ أَبِي وَاعْتَرَضَ، ضَرَبَهُ بِالسِّيفِ.

^١ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٦، تفسير القمي ج ٢ ص ٢٢٨ بهذا اللفظ: «لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا أَرَدْتَهُ».

لتعرف من أنت؟

فهذا النمط من التفكير يقول: دعني أقبل وأصبح حاكماً ومَلِكًا، وأجاري القوم لِعِدَّةِ سنواتٍ، إلى أن أُحْكَمَ قبضتي، وحينها أكون قد حَقَّقْتُ غايتي الشريفة وهي إقامة الإسلام. فبما أن القوم قد عرضوا التخلي عن إقامة الإسلام مُقابلَ تمليكي، فَلأقبل ولأُسأِرهم، ثم أنقلبُ عليهم لاحقًا عندما أكون على رأسِ السُّلطة بحيث لا يجروا أحدًا على مُخالفتي.

إنّ هذا الأمر، في العُرفِ السياسيِّ السائدِ في أيّامنا هذه، يُعدُّ أمرًا معقولًا ومقبولًا جدًّا، وهو تجسيدٌ لمبدأ "الغاية تُبرِّر الوسيلة". و"نيكولو ميكافيلي"، صاحبُ هذه المقولة المشهورة، يرى أنّ هذا المبدأ سليمٌ؛ فما دامت الغاية شريفةً، فأيُّ وسيلةٍ اتَّخذناها لتحقيقها تُعدُّ مُبرَّرةً، حتّى وإن كانت وسيلةً قبيحةً، وحتّى وإن تضمّنتِ التخلي عن المبادئِ والمثُلِ والعهودِ والمواثيقِ وما شاكل ذلك، فهذا كلُّه أمرٌ مقبولٌ لديهم.

ولكن رسول الله ﷺ لا يقبلُ بذلك أبدًا. لأنّه لو افترضنا أنّه قبلَ بذلك وسأير القوم، فإنّه بعد انقضاءِ السنواتِ وحينما يشرعُ في الدعوةِ إلى الإسلام، فلن يقبلَ منه أحدٌ دعوته إلا بالقهرِ والغلبة، لا عن طريقِ الاقتناعِ. فأني امرئٍ في مكانه لن يقتنعَ؛ إذ سيقولون له: لقد عشتَ طوالَ هذه السنينَ قابلاً ومُسأيرًا وصرتَ مَلِكًا، وقبِلتَ بعبادةِ الأصنام، ولم تنفوه

بكلمةٍ لرفضِ هذه العبادةِ أو هذا الكفرِ والشركِ، والآن بعد كلِّ هذه السنينِ تأتي لتفرض علينا الإسلامَ؟! فإن كنتَ صاحبَ مبدأٍ حقًّا، فلمَ قَبِلْتَ بحُكْمِكَ طوالَ هذه السنواتِ العَشرِ دونَ أن تدعوَ إلى الإسلامِ وتُبطلَ دينَ الشركِ والوثنيَّةِ؟ ولِمَ سكتَ طوالَ هذه الفترة؟ وإن كنتَ مبدئيًّا حقًّا، فبأيِّ ذنبٍ ضحيتَ بالذين ماتوا طوالَ هذه الفترةِ على دينِ الشركِ والجاهليَّةِ؟

وعليه، فلن يبدو رسولُ الله ﷺ حينها - فيما لو كان قد قَبِلَ بهذا العرضِ - صاحبَ مبدأٍ، ولن يبدو صاحبَ مُثُلٍ عاليةٍ ونبيلةٍ، ولن يقتنعَ به أحدٌ، بل سيكونُ على الأقلِّ قد أعطى الشرعيَّةَ، بنحوٍ أو بآخر، لدينِ الكفارِ؛ لأنَّه قَبِلَ به وبوجوده. وبعد أن يتوطَّدَ حُكْمُه ويقوى شأنه بعد عَشرِ سنواتٍ ويدعو إلى الإسلامِ، سيُقالُ له: هذه دعوى زائفةٌ، وأنتَ إمَّا تُريدُ بهذه الدعوى مجرَّدَ السيطرةِ والتوسُّعِ، وما مِن إسلامٍ ولا رسالةٍ ولا خَبَرٍ جاءَ من السماءِ. إنَّ هذا الموقفَ يُعدُّ أُمُودًا بارزًا مِن نماذجِ رَفُضِ مبدأٍ الغايةِ تُبرِّرُ الوسيلةَ.

الموقف العلوي في الشورى ورفض المساومة

وهناك نموذج بارز آخر، وهو معلّمنا الثاني، والعظيم رقم اثنين في تاريخ البشرية؛ مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله والسائر على منهاجه. فلقد قيل له بعد أن قتل "عمر" في يوم الشورى، إذ عرض عليه "عبد الرحمن بن عوف" قائلاً: "نبايعك لتصبح خليفةً وحاكماً، على أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسيرة الشيخين (أبي بكر وعمر). فرفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك العرض قائلاً: "بل أسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله...".^١

لقد كانت هذه الكلمة التي دونها المؤرخون عن أمير المؤمنين عليه السلام أعظم إدانة لمنهج أبي بكر وعمر؛ لأنه إن كانت سيرة أبي بكر وعمر هي ذاتها سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان منهجها هو منهج رسول الله، فلم يرفض علي عليه السلام ذلك؟ لا بد أن يكون من وراء رفضه لمنهجها وسيرتها أنه يرى منهجها مخالفاً لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه منهج منحرف؛ وهذا هو الحق والواقع الصراح. ولما قالوا "عثمان": "نبايعك على كتاب الله

^١ راجع الاستغاثة للكوفي ج ٢ ص ٦٤، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٦٢.

وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ وَسِيرَةَ الشَّيْخِينَ، قَبْلَ وَتَوَلَّى الْحُكْمَ^١. فَلِمَ رَفَضَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ رَفَضَ
لِأَنَّ الْغَايَةَ لَا تُبَرِّرُ الْوَسِيلَةَ.

فَعِنْدَ عَلِيٍّ وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُوجَدُ غَايَةٌ تُبَرِّرُ وَسِيلَةً مُحَرَّمَةً قَطُّ.
نَعَمْ، تُوجَدُ هُنَاكَ قَوَاعِدُ شَرْعِيَّةٌ، كَتَقْدِيمِ الْأَهْمِّ عَلَى الْمُهْمِّ وَغَيْرِهَا مِنْ
القَوَاعِدِ الْمَشَابِهَةِ، الَّتِي تَقْلِبُ حُكْمًا مَا وَتُحَوِّلُهُ إِلَى حُكْمٍ آخَرَ. فَمَا يَكُونُ
مُحَرَّمًا بِالْعُنْوَانِ الْأَوَّلِيِّ، يَغْدُو حَلَالًا بِالْعُنْوَانِ الثَّانَوِيِّ، وَهَذَا أَمْرٌ صَحِيحٌ
وَمُقَرَّرٌ. فَإِذَا ارْتَكَبَ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَ هَذَا فِي مَوْقِفٍ مَا أَبَاحَهُ
الشَّرْعُ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ أَنَّ الْغَايَةَ تُبَرِّرُ الْوَسِيلَةَ؛ لِأَنَّ الْوَسِيلَةَ هُنَا لَمْ
تَعُدْ مُحَرَّمَةً، بَلْ تَحَوَّلَتْ - بِسَبَبِ ظُرُوفٍ مُعَيَّنَةٍ وَمُزَاحِمَةٍ مَعَ مَا هُوَ أَوْلَى
وَأَهْمُّ - مِنْ مُحَرَّمٍ إِلَى حَلَالٍ، بَلْ قَدْ تَحَوَّلَ أَحْيَانًا إِلَى وَاجِبٍ شَرْعِيٍّ.
كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ فِي الصَّحْرَاءِ وَيُوشِكُ عَلَى الْهَلَاكِ وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُسَدُّ
بِهِ رَمَقَهُ إِلَّا الْحَمْرَ أَوْ الْمَيْتَةَ، فَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا، وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ
عَلَى الْجَوَازِ فَحَسَبِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّ حِفْظَ النَّفْسِ أَوْلَى وَأَوْجِبُ.
فَمِنْ هُنَا يَنْقَلِبُ الْحُكْمُ، فَإِذَا قَامَ شَخْصٌ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَلَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ
الْمَبْدَأُ الْمِيكَافِيلِيُّ، وَلَا يُقَالُ إِنَّهُ اتَّخَذَ مَبْدَأً "الْغَايَةَ تُبَرِّرُ الْوَسِيلَةَ"؛ لِأَنَّ حُكْمَ
الْوَسِيلَةِ قَدْ انْقَلَبَ وَتَغَيَّرَ، فَتَوَسَّلَ إِذْنًا بِوَسِيلَةٍ صَحِيحَةٍ وَلَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً.

^١ راجع سير أعلام النبلاء ج ٢٨ ص ١٦٥، وفيه: «ثم عرضت ذلك على عثمان فقال: نعم».

لتعرف من أنت؟

أما في موقف عليؑ، فإن الوسيلة نفسها محرمة؛ إذ إن تصحيح منهج الشيخين وتصحيح منهج الطاغوتين (أبي بكر وعمر) يعدُّ أمرًا محرّمًا. غير أنّ بعض القاصرين يتهمون عليًاؑ - والعياذُ بالله - بأنه أضاع الفرصة، وأنه كان من المفروض عليه سياسيًا أن يقبل بسيرة الشيخين. وهؤلاء القاصرون، لا تتصوّروا أنّهم من مخالفينا دائمًا، بل بعضهم محسوبٌ علينا.

إنّ "عبدالمجيد الخوي" كان يتفوه بهذا الكلام، وكان يقول - كما أخبرني عنه ثقةٌ كان حاضرًا - قبل فترةٍ من سقوط النظام: إنّ كلّ مشاكلنا بدأت من أمير المؤمنينؑ! وحين يُسأل لِر؟

يقول: لأنّه لِر يقبل بسيرة الشيخين؛ فلو كان قد قبل واستلم الحكم بلا دماءٍ وبلا مشاكل، ثمّ انقلب بعد ذلك على سيرة الشيخين، فما الذي كان سيُلزّمه بالعمل بها لاحقًا؟

ومن ذا الذي كان سيقدّر على الوقوف ضده بعد أن يُصبح حاكمًا وسُلطانًا وبيده الجيوش والأمن والمخابرات والشرطة؟ لو فعَلَ ذلك، لو فرّ علينا كلّ المصائب التي مرّت علينا نحن الشيعة إلى يومنا هذا؛ لأنّه كان سيتولّى الحكم بشكلٍ تلقائيٍّ وطبيعيٍّ، ولما جاء عثمان ولا بنو أمية، ولما

١ ابن آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوي (قدّس سرّه)

برزت عائشةُ ولا طلحةُ ولا الزبيرُ، ولما تمكَّنَ أحدٌ مِنَ التصدِّي له،
ولانتفت معركةُ الجملِ وصفينَ والنهروانِ. وحينما كانت ستُدركهُ الوفاةُ،
كان سيُوِّى وصيَّه الحسنُ، والحسنُ يوِّى الحسينَ، ولما وقعت عاشوراءُ،
ولانتفت كلُّ المشاكلِ وكُنَّا إلى اليومِ نعيشُ في راحةٍ!

هكذا يعتبرونَ موقفَ أميرِ المؤمنينَ خطأً سياسياً! ولكنكم رأيتم كيف
أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليه السلام انتقمَ منه؛ فذلك الذي أساءَ إلى أميرِ المؤمنينَ عليه السلام بمثلِ
هذا الكلامِ، رأيتم ما كانت عاقبتهُ، وحقيقةً كانت عاقبةً بشعةً.

وأين كانت؟ عندَ حاميِ الجارِ عليه السلام، الذي يعرفُ المؤالفَ والمُخالفَ أنَّه
يحمي جوارَه! فوا عجباً، لِمَ لم يَحْمِ أميرُ المؤمنينَ هذا الرجلَ الذي كان
يتوسَّلُ إلى آخرِ لحظةٍ وهو على أمتارٍ من مرقدهِ الشريفِ يُنادي: "يا أميرَ
المؤمنينَ، يا عليُّ أدركني"؟ لقد تركهُ أميرُ المؤمنينَ ليُفترسهُ المفترسونَ؛
ليكونَ عبرةً لغيره، لأنَّه نطقَ بمثلِ هذه الكلمةِ الكُفريَّةِ.

وفي إيرانِ أيضاً، نُشرَ مقالٌ في صحيفةٍ "كيهان" أو "جمهوري إسلامي"
وهما صحيفتان رسميتان أو شبه رسميتين بعد الثورة والانقلابِ، وكان
عنوانُ المقالِ: "اشتباهاً أميرِ المؤمنينَ".

لتعرف من أنت؟

ومن جملة الأمور المذكورة فيه هذه القضية ذاتها، وهي الادعاء بأنه كان من المفروض أن يقبل علي بسيرة الشيخين. فهؤلاء يقرأون الأمر سياسياً صرفاً، لأنهم أهل مصالح وأهل دنيا رخيصة، فيفكرون بهذه الطريقة، ولا يستوعبون سراً رفض علي بن أبي طالب. وإنما هو كلام يعطى، فليقبل بسيرة الشيخين ثم ينقلب عليها، وليس مهماً بعد ذلك ما دامت النتيجة توفير كل الحروب والمشاكل والمصائب!

بيد أن هؤلاء القوم لا ينظرون إلى الأمور بالمنظار الديني الشرعي، ولذلك يتكلمون بمثل هذا الهراء. فلو أن علياً عليه السلام قبل بذلك، أكان يستطيع أحد - إلى يومنا هذا - أن يرفض أبا بكر وعمر وسيرتهما؟

كلاً، حتى أنتم أيها الشيعة، كانت ستصبح سيرة أبي بكر وعمر حجة عليكم؛ لأن إمام الشيعة قد حكم بشرعية هذه السيرة وأضفى عليها الشرعية المطلقة، وحينها إلى يوم القيامة لن يستطيع أحد أن يخطئ أبا بكر وعمر.

فإن علي بن أبي طالب بمجرد قبوله سيكون قد منحها الشرعية، وستغدو سيرتهما سيرة يُعتدُّ بها شرعاً. ولما ملكنا أن نتفوه بكلمة واحدة ضد سيرة أبي بكر وعمر، ومعنى ذلك دمار الإسلام برمته! لكننا جميعاً نصلّي صلاة التراويح على سبيل المثال، فإذا قلتم: هي بدعة عمر!

ولكن علي بن أبي طالب قد أقرها من خلال إقراره لسيرة الشيخين،
فليس لكم حق الاعتراض! ولكان فقها كُله سيتغير، والفقهُ الشيعيُّ
الإمامي سيتلوث؛ إذ إنَّ بدعَ أبي بكرٍ وعمرَ ومن شاكلهما كانت ستصبحُ
سُننا عندنا بدلالة موافقة أمير المؤمنين عليه السلام وإكسابه الشرعية لسيرتهما.

ولكن أمير المؤمنين عليه السلام رفض وأبي. ومع ذلك الآن نعاني من خروج
"البترية"^١ الذين يمدحون أبا بكرٍ وعمرَ وسيرتهما، فكيف لو كان عليُّ قد
قبل؟ ما الذي كانوا سيصنعونه؟ حقًا لما بقي أحدٌ يتكلم على أبي بكرٍ
وعمرَ أو يصفهما بأنهما مُنافقان ظالمان اغتصبا حقوق أهل البيت عليهم السلام
وزيِّفا الإسلامَ وحرِّفاه وابتدعا فيه! ولَمَاتَ الدينُ كليًا! فهل كان عليُّ بنُ
أبي طالبٍ يُفكرُ بتفكيركم السياسيِّ المريضِ هذا؟

إنَّه صاحبُ مبدأ، والغايةُ عنده لا تُبرَّرُ الوسيلة. أنَّ السياسيَّ حين يقرأُ
الأمرَ قد يقول: كان من مصلحته أن يقبلَ ويوفَّرَ على نفسه الكثيرَ من
المشاكل، لكن حين تقرأُ الأمرَ دينيًّا، ترى العكسَ تمامًا. وحتى بالمنظارِ
السياسيِّ، فإنَّ هؤلاء قاصرون لِعَدَمِ امتلاكهم فقهاً سياسياً سليماً؛ فلنفترضُ
أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام قبل، ثمَّ انقلبَ على سيرة شيخهم، فمن ذا الذي

^١ تم الحديث بشكل مُفصَّل عن هذه الفرقة ونشأتها في سلسلة (صفعات رافضية على وجه البترية)
وقد وُقِّنا لتقريرها، فراجع .

لتعرف من أنت؟

يضمن أنهم كانوا سيتركونه في الحكم؟ لكانوا ثاروا عليه؛ فهم أصلاً قد ثاروا على عثمان وكانت إحدى حُججهم أنه لم يعمل بسيرة الشيخين! فكيف بعليّ الذي هم أصلاً يبغضونه؟ فإذا خالف سيرة الشيخين في شيء، سيقولون: هذا خلاف العهد الذي بيننا وبينك، وقد خلعناك من الخِلافَةِ. ولأشعلوا ضده ثورةً.

التقى معيارُ المواقفِ العلوِيّةِ

يُخاطبُ الإمامُ الهمامُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ النقيِّ الهادي عليه السلام جدّه أميرَ المؤمنين عليه السلام في "الزيارة الغديرية"^١ قائلاً:

«وكم من أمرٍ صدَّكَ من إمضاءِ عَزْمِكَ فيه التُّقى، واتَّبَعَ غيرُكَ في مثله الهوى^٢ فظنَّ الجاهلون أنَّكَ عَجَزْتَ عمَّا إليه انتهى، ضلَّ والله الظانُّ لذلك

^١ زيارة يوم الغدير التي رواها أكبرُ علمائنا كابنِ المشهدي وغيره عن الإمام الهادي عليه السلام.

^٢ أي: كم من أمرٍ كنتَ تستطيعُ أن تحصلَ عليه وتنالهُ، ولكن صدَّكَ عنه تقوى الله (عزَّ وجلَّ)؛ لأنَّه لا يرتكبُ محرِّمًا، ولا يرتكبُ ما يُخالفُ المثلَّ والمبادئَ، فليس عنده أن "الغاية تُبرِّر الوسيلة". وغيره ممَّن يكونُ في هذا الموقفِ، ويرى السُّلطةَ والإمارةَ والأموالَ والجاهَ وكلَّ ما لذَّ وطابَ يلمعُ أمامَ عينه وهو في مُتناوَلِ يده، فإنَّ هواهُ يميلُ إليه فيتبعه، ولا يُبالي بالحلالِ والحرامِ أو بالقوانينِ والأحكامِ الإسلاميَّةِ. ولكنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يصدُّه التُّقى، بينما غيره يتألَّ ذلك بالهوى.

وما اهتدى^١ ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وأمتري بقولك -
صلى الله عليك -: (قد يرى الحوّل القلب^٢ وجه الحيلة ودونها حاجز من
تقوى الله فيدعها رأي العين، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في
الدين)^٣.

لقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام هذا الإشكال لما رأى الناس أن الآخرين
كمعاوية قد وصلوا. فمعاوية وصل وصار حاكماً وديكتاتوراً، وحكم
عشرين سنة، وقبلها كان والياً، وهو "طليق بن طليق"، أي من أراذل
وأذيال المسلمين!

فكيف استطاع هذا أن يخترق الصفوف ويصعد حتى يصبح ملكاً على
المسلمين وعلى العرب والعجم؟ إن معاوية سياسي بارع ومُحنك، وقد

١ فقد ظنّ الناس الجهلة أن معاوية وغيره قد وصلوا، وأنّ علي بن أبي طالب لم يصل وكأنه كان
عاجزاً! وما كان علي عليه السلام عاجزاً قطّ، بل كان أذكى من ذلك وأبرع، ولو أراد الدنيا بما فيها
لحصّل عليها، غير أنّ الذي كان يمنعه هو التقى.

٢ المراد بـ "الحوّل القلب" أولئك الذين يقبلون الأمور ويدرسونها من كافة الوجوه حتى يروا
أصلحها وأفضلها. وقيل أنّ الحوّل هو من يعرف الحلول، والقلب هو العارف بالحلول والمجرب
لها، أي أنه يمتلك خبرة فيها.

٣ المزار الكبير لابن المشهدي ص ٢٧٦

لتعرف من أنت؟

وصل لما يُريد، مع أنه لم يكن له شأن يُذكر حتى زمانِ عمر بن الخطاب. ففي زمانِ عمر، كان معاوية يأخذ راتباً من سهم "المؤلفة قلوبهم" لكي يبقى على الإسلام! ثم إنَّ عمر ألغى سهمَ المؤلفة قلوبهم، وساوى بين معاوية والطلقاء وبين المهاجرين والأنصار، فصار الكل سواسية. فكيف لمن كان هذا وضعه المذل أن يُصبح ملكاً، بينما علي بن أبي طالب، أخو رسول الله ووصيه وأبو السبطين وفارسُ عدنان ومُضِر وفاتحُ خيبر وصاحبُ الأعجاز، لا يحصل على شيء؟

في أواخر أيام حكم أمير المؤمنين عليه السلام، أتدرون ما الذي كان يحكمه؟ كان يحكم ما يقاربُ خمسين دولة من دولنا حسب التقسيم الجغرافي الحالي، وهذا صحيح في بدايات حكمه، أما في نهايات حكمه فقد فقد السيطرة على معظم البلاد، ولم يتبق له سوى الكوفة. وحتى أهل الكوفة لم يكونوا يُطيعون أمره! كان يصعد المنبر ويأمرهم بالخروج فيتجاهلونه، حتى يضطر للشكوى قائلاً: "يا أشباه الرجال ولا رجال... قد ملأتم قلبي قبحاً... لا رأي لمن لا يُطاع"^١. وحتى عاصمته في الكوفة لم يكن مُسيطرًا عليها، ومصر ضاعت من يده.

١ الكافي ج ٥ ص ٦

لم يكونوا يريدون علي بن أبي طالب ولا صرامته ولا منهاجه؛ كانوا يريدون اللب والفوضى. ولذلك كان يدعو عليهم ويتمنى فراقهم. وحين تُقارنُ الناسُ، يقولون: إن معاوية وصل وثبت حكمه الحديدي الصلب، ونشر الأمن واستقرت الأوضاع في عهده، بخلاف علي بن أبي طالب الذي لم يحكم فعلياً سوى أربع سنوات وبضعة أشهر. بينما حكم معاوية عشرين سنة، وورث الحكم لأبنائه وأحفاده، واستمر حكم بني أمية عقوداً حتى جاءت دولة بني العباس، بل حتى بعد مجيء الدولة العباسية صنعت بني أمية حكومات في أقاصي الدنيا كالأندلس وغيرها مما لا يزال أثره باقياً.

فهل يُعقل أن معاوية أبرع سياسياً من علي بن أبي طالب صاحب العقلية الجبارة؟ كلا، القضية ليست هكذا؛ معاوية يغدر ويفجر، وعلي لا يغدر ولا يفجر. معاوية ليس له حاجز من التقى، فيدوس على كل شيء لتحقيق مراده، ويرتكب المحرمات، ويقتل النفوس البريئة، ويدوس على الإسلام، متخذاً مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. إن من أفضل من طبّق هذا المبدأ الشيطاني هو معاوية بن أبي سفيان، أما علي عليه السلام فلا يطبقه، ولذلك خسر الدنيا، بل الأحرى القول: إن الدنيا هي التي خسرت علياً عليه السلام.

١ بتأسيس عبدالرحمن الداخل

لتعرف من أنت؟

الإمام المهادي عليه السلام يُخاطبه قائلاً: "ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهمَ وامترى بقولك - صلى الله عليك -: (قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة، ودونها حاجز من تقوى الله، فيدعها رأي العين، ويتنهر فرصتها من لا حريجة له في الدين)"؛ فهم يرون الحيلة التي تُوصّلهم للهدف، ولكنّ بلوغها يقتضي الدوس على مبدأ دينيٍّ وحكمٍ شرعيٍّ، فيصدّهم حاجز تقوى الله عن ارتكابها وهم يرونها رأي العين. بيد أنه ينتهر فرصتها من "لا حريجة له في الدين"؛ أي الذي لا يتحرّج من ارتكاب المنكر ليقطف الثمار ويصل إلى مُبتغاه. ولذا قال عليه السلام: "والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر"^١.

تشخيص الاختلالات في الواقع الشيعي المعاصر

هذه كانت إطلاقة سريعة على منهج النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام في رفض مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. ونحن في هذه الليالي الحسينية، نضع واقعنا الحاضر في مرآة سيد الشهداء عليه السلام، لنقيس خطوتنا ومناهجنا وتياراتنا المنضوية تحت إطار التشيع؛ هل تتطابق أفكارنا وسلوكياتنا مع منهجية

^١ نهج البلاغة (١٩٨)

الإمام الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من بنيه عليهم السلام؟ أم تبتعد عنها والعياذ بالله؟

لا بُد لنا من تشخيص الأمراض والاختلالات الموجودة فينا وفي طرق تفكيرنا التي أبعدتنا عن منهجية أمتنا.

ففي زماننا هذا، تجد كثيرين منا - ومن أكابرنا، أعني الصف الأول وليس العوام - من اتخذ مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، بل وأصل لذلك شرعاً إما بتصريحاته وأقواله أو بسلوكيّاته.

لقد صرّح أحدهم قائلاً:

«وأريد أن أقولها لكم يا أبناء عليّ والحسين، وأبناء أبي بكرٍ وعمر، إنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السنيّ! إنّ الحكم السنيّ الذي مثله

١ وهذه مغالطة كبرى؛ فإذا كنت تقصد بالحكم السنيّ حكم أبي بكرٍ وعمر، فإنّ معركتنا نحن الشيعة أساساً هي مع حكم أبي بكرٍ وعمر! فما هي معركتنا منذ يوم السقيفة سواها؟ معركتنا منذ وقوع الانقلاب على عترة رسول الله صلى الله عليه وآله هي مع الحكم المناويّ لهم ومع منهج ذلك الحكم الخبيث. أمّا إن كنت تقصد بالحكم السنيّ حكم وسنة رسول الله وحكم أهل البيت عليهم السلام، فمن الطبيعيّ ألا يكون هناك معركة ضده.

الخلفاء الراشدون^١، والذي كان يقوم على أساس الإسلام

^١ وهنا وقع في مغالطة أخرى حينما وصفَ الحكمَ السُّنِّيَّ بحُكمِ أبي بكرٍ وعُمَرَ، قائلاً: "إِنَّ الحُكْمَ السُّنِّيَّ الَّذِي مَثَلَهُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ...". وهنا وقع في مغالطة أخرى حين وصف الحكم السني بأنه حكم «الخلفاء الراشدين»، قاصداً أبا بكر وعمر ومن تبعهما. والحال أن الخلفاء الراشدين في العقيدة الإمامية هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان. بل إن وصف هؤلاء بالخلفاء الراشدين يتنافى مع المعتقد الإمامي؛ لأن الخلافة الشرعية تبدأ بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين عليه السلام. كما أن بعض الألقاب الشرعية مختصة بأهلها، فلا يجوز إطلاقها على غيرهم، ومن ذلك لقب «أمير المؤمنين»، فقد ورد: «روي في الكافي ج ١ ص ٤٥٩: عن عمر بن زاهر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: لا ذاك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله. وفي تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٣: عن محمد بن إسماعيل الرازي عن رجل سمى الله عليه السلام قال: دخل رجل على أبي عبد الله فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقام على قدميه فقال: مه هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام، الله سماه به ولم يسم به أحد غيره فرضى به إلا كان منكوحاً وان لم يكن به ابتلى به». وكذلك فإن لقب «خلفاء رسول الله» خاص بالأئمة عليهم السلام. أما الاحتجاج بأن هذه الأوصاف متعارف عليها بين الناس فلا يغير من الحقيقة شيئاً؛ إذ إن المعيار هو ما يقتضيه الاعتقاد الصحيح لا ما اشتهر بين الناس. وعليه، فإن إطلاق وصف «خلفاء رسول الله» أو «الخلفاء الراشدين» على غير من تثبت لهم الخلافة شرعاً يعدّ خطأً لا مسوغ له.

والعدل^١، حَمَلَ عَلِيُّ السَّيْفَ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ، إِذْ حَارَبَ جُنْدًا فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ
تَحْتَ لِوَاءِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ^٢، وَكُنَّا نُحَارِبُ عَنْ رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَتَحْتَ
رَايَةِ الْإِسْلَامِ مَهْمَا كَانَ لَوْنُهَا الْمَذْهَبِيُّ... إِنَّ الْحُكْمَ الشُّنِّيَّ الَّذِي يَحْمِلُ رَايَةَ

١ إِنَّهُ تَسْدِيدُ سَهْمٍ إِلَى قَلْبِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ. فَحِينَ تَقُولُ إِنَّ حُكْمَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَ قَائِمًا عَلَى
أَسَاسِ الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ ظَلَمَهُمَا لَبِنَتْ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِسْلَامًا وَعَدْلًا! هَذَا هُوَ
الْمَعْنَى الْمَتَبَادِرُ. تَقُولُ إِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِذْ تَصْرَفْتَهُمْ كَانَتْ إِسْلَامِيَّةً، وَمَبْنِيٌّ عَلَى الْعَدْلِ،
فَإِذْ لَمْ يَظْلَمَا أَحَدًا! بَيْنَمَا الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَانَتْ تَصِيحُ وَتُعَلِّنُ ظُلَامَتَهَا، وَقَدْ سَارَتْ بِصِيحَتِهَا
الرُّكْبَانُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَزْمَانِ. فَهَلْ يَصِيرُ ضَرْبُ الزَّهْرَاءِ عَدْلًا؟ وَهَلْ يَصِيرُ ظُلْمُهَا وَظُلْمُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَاغْتِصَابُ حَقِّهِ عَدْلًا؟ وَهَلْ ضَرْبُ سَلْمَانَ وَعَمَّارٍ، وَنَفْيُ أَبِي ذَرٍّ، وَتِلْكَ الْبِدْعُ وَالْمُظَالِمُ
الَّتِي أَذَاقُوهَا لِابْنِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ كُلُّهَا قَائِمَةً عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ؟! شَيْءٌ لَا يَصْدَقُ أَنْ يَصْدَرَ مِنْ
رَجُلٍ يُطْرَحُ كَرَمِزٍ مِنْ رُمُوزِ الشَّيْعَةِ! فَمَاذَا أَبْقَيْتَ لِلْمُخَالَفِينَ إِذَا كَانُوا هُمْ يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ
وَعُمَرَ عَادِلَانِ، وَنَحْنُ نُجَاهِدُ وَنُكَافِحُ مُنْذُ ١٤٠٠ سَنَةٍ لِنَفِي هَذَا الْكَلَامِ انْتِصَارًا لِبِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ
وَنُؤَكِّدُ أَنَّهُمَا ظَلَمَا حَتَّى اسْتَشْهَدَتْ وَهِيَ غَاظِبَةٌ عَلَيْهِمَا؟

٢ مَتَى حَمَلَ عَلِيُّ السَّيْفَ دِفَاعًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ وَمِنْ أَيْنَ اسْتَقَى
هَذِهِ الْمَعْلُومَةَ؟ وَهَلْ سَمِعَ أَحَدٌ فِي التَّارِيخِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَارَبَ فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ؟ لَوْ كَانَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَارَبَ حَقًّا فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ لَاشْتَهَرَ الْأَمْرُ وَعُرِفَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَبُطُولَاتُ
وَصُورَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَنَاقَلَتْهَا الْأَلُوفُ مِنَ النَّاسِ، وَتَارِيخُهُ الْعَسْكَرِيُّ وَمَعَارِكُهُ كُلُّهَا مَعْرُوفَةٌ
بِالدَّقَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ أُعْجِبَةُ الزَّمَانِ فِي الْحُرُوبِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْفِيَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ
صَحِيحًا، لَطَارَ أَهْلَ الْخِلَافِ فَرَحًا بِهَذِهِ الْحُجَّةِ، وَلَقَالُوا لَنَا: لِمَ نَحَارِبُونَ أَبَا بَكْرٍ وَهَذَا إِمَامُكُمْ قَدْ
حَارَبَ تَحْتَ لِوَائِهِ؟ فَأَيْنَ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِيُشَارِكَ فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ وَهُوَ الَّذِي اعْتَزَلَ الْقَوْمَ مُنْذُ
يَوْمِ السَّقِيْفَةِ احْتِجَاجًا، وَمَكَثَ ثَمَسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي بَيْتِهِ لَا يَخْرُجُ إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ لِزِرَاعَةِ
النَّخِيلِ أَوْ لِحَلِّ مَسْأَلَةٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ؟

لتعرف من أنت؟

الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرنٍ بوجود الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصةً من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام! إن الحكم الواقع اليوم ليس حكمًا سنيًا وإن كانت الفئة المتسلطة تنتسب تاريخيًا إلى التسنن، إن الحكم السني لا يعني حكم شخص وُلد من أبوين سنيين، بل يعني حكم أبي بكر وعمر الذي تحداه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم^٢، فهم يتنهكون حرمة الإسلام

١ وهو يقصد بذلك "ثورة العشرين". وهل فُمننا بثورة العشرين حمايةً للحكم السني المتمثل بالعثمانيين الأتراك؟! إن العشائر الشيعية التي هبت في العراق لمحاربة الاحتلال البريطاني يفتوى مجتهدهم، إنما دافعت عن الإسلام لا عن حكم أبي بكر وعمر الذي يصوره هذا الرجل. ومثل هذا كمن يقول إن الشيعة في لبنان الذين يدافعون ضد العدو الصهيوني إنما يدافعون عن حكم الموارنة، بينما هم إنما يدافعون عن الإسلام والمسلمين.

٢ إنه يُنزّه حكم أبي بكر وعمر ويجعل صدامًا متحدثًا له! أليست جرائم صدام شعبةً من حكم أبي بكر وعمر منذ يوم السقيفة؟ أليست منهجية الطواغيت واحدة؟ هل تقبلون مني لو جئتكم أقول: إن حكم آل سعود يتحدث حكم أبي بكر وعمر؟ بل إن حكم أبي بكر أبشع! فإذا كان لصدام مقابر جماعية في، فإن لأبي بكر مقابر جماعية، وعمر فعل الشيء ذاته في قريّة معينة كقرية "عرب سوس" وغيرها. وقد استفاض عن أمتنا الأظهار عليهم السلام أن ما من بليّة في الإسلام ولا جريمة ولا إثم ولا مال استُحلّ من غير حله ولا فرج نُكح حرامًا إلا وهو في أعناق أبي بكر وعمر، لأنهما هما من أسسا هذا الطريق.

وحرمة علي وعمر معاً في كل يوم وفي كل خطوة من خطواتهم الإجرامية، ألا ترون يا أولادي وإخواني أنهم أسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها علي وعمر معاً؟ ألا ترون أنهم ملؤوا البلاد بالخمور وحقوق الخنازير وكل وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معاً؟^٣

١ أصبحت حُرمة عُمرَ عدلاً لِحُرمةِ عليٍّ! وهل لِعُمَرَ في الإسلامِ حُرمةٌ أصلاً؟! إِنَّ أُمَّتَنَا ﷺ قالوا: "ثلاثةٌ ليس لهم حُرمةٌ: صاحبُ هوى مُبتدع، والإمامُ الجائر، والفاسقُ المُعلنُ الفسق". [قرب الإسناد ص ٢١٢]، وهذه العناوينُ كُلُّها تنطبقُ على أبي بكرٍ وعُمَرَ بإطباقِ علمائنا. فَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِأَنَّ لِعُمَرَ حُرمةً تُقَرَّنُ بِحُرمةِ أميرِ المؤمنين؟! ثُمَّ فِيمَ هَتَكَ صِدَامَ حُرمةِ عُمرَ؟ هل قصفَ قَبْرَهُ كما قصفَ الحَضْرَةَ الحُسَيْنِيَّةَ؟! مَثَلُ هَذَا القَوْلِ كَمَنْ يُخاطَبُ شَعْبَ البَحْرَيْنِ قائلاً: إِنَّ هَؤُلاءِ الطواغيتِ يَنْتَهِكُونَ حُرمةَ الحُسَيْنِ وَيَزِيدَ مَعًا! أَنَّ الجَمْعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَعُمَرَ كالجَمْعِ بَيْنَ الحُسَيْنِ وَيَزِيدَ.

٢ وا عجباً! متى كان عُمرُ يُحاربُ المُجونَ؟، آخِرُ شَرِبَةٍ شَرِبَهَا عُمرُ في حَيَاتِهِ لَمَّا سُئِلَ: «أيُّ الشرابِ أحبُّ إِلَيْكَ؟ فقال: "النبيذ"». [سنن البيهقي ج ٣ ص ١١٣، وبلفظ آخر في تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٥٤] وقد جَلَدَ رَجُلًا شَرِبَ مِنْ قَرِيبَتِهِ فَسَكِرَ، وَحِينَ قالَ لَهُ الرَّجُلُ: "إِنَّمَا شَرِبْتُ مِنْ قَرِيبَتِكَ"، أَجابَهُ عُمرُ: "إِنَّمَا جَلَدْتُكَ لِسُكْرِكَ لا على شَرابِكَ". [العقد الفريد ج ١ ص ٣٤١]، أي كان المفروضُ أن تشربَ قليلاً كي لا تسكر! فهل هذا كان يُدافعُ عن الشعائرِ الدينيةِ أم يبتدعُ فيها، كابتداعِهِ صلاةَ التراويحِ والطلاقِ البدعيِّ وغيرها مِنَ المُنكَرَاتِ؟! أَي زَمَنٍ تَعِيسُ هَذَا الذي أَنجَبَ لَنَا مِثْلَ هَؤُلاءِ لِيَقُودُوا أُمَّتَنَا العَظِيمَةَ وَيَتَبَوَّؤُوا سُدَّةَ المَرَجِعِيَّةِ زُورًا، ثُمَّ يُطَبِّلُ لَهُمُ المُطَبَّلُونَ خِلافًا لِأحكامِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

٣ النداء الثالث لمحمد باقر الصدر.

لتعرف من أنت؟

هذا الكلام لا تسمعه من "القرضاوي" أو "سيد قطب" أو "حسن الترابي" أو "حسن البنا" أو "النبهاني"، بل تسمعه من "محمد باقر الصدر"! إن له ثلاثة نداءات مشهورة تُسمى (النداءات الثلاث للشهيد الصدر)، وهذا هو النداء الثالث قُبيل مقتله. ومُناسبة هذه النداءات أنه كان يُحرض على إسقاط النظام البعثي في العراق، لا سيما بعد أن رأى على مرمى حجرٍ منه نجاح الحُميني في إسقاط حكم الشاه المَقبور.

فسال لعابه وظن في نفسه أهلية قيادية وأنه يمتلك شخصية ذات "كاريزما" حقيقية - وهو كذلك فعلاً، فقد كان مُحدثاً ومُثقفًا ومُحبوبًا من الجماهير التي التفت حوله، وكان لديه حزب يرفع لواءه - . هكذا قرأ الواقع السياسي، معتقداً أن لديه الفرصة ليصبح حُمينياً ثانياً في العراق عن طريق المُجاهرة بالخروج والثورة على النظام واستلام الحكم. فما هو الخطأ الذي ارتكبه؟ خطؤه أنه اتبع غايةً تُبرر الوسيلة.

فالغاية هي إسقاط حكم العراق البعثي الكافر، لا نختلف في وجوبها بِالجملة، ولا أحد يُخالف في ضرورة إزاحة الجور عن كواهل الأمة وتحريرها من الجائرين والظالمين. إنما الخلاف يقع في السلوك والوسائل:

هل ندوسُ على الشرعِ مِنْ أجلِ أن نُحقِّقَ الهدفَ أم لا؟ هذه هي المعضلةُ التي يسقطُ فيها مُعظمُ الناسِ؛ إذ يجعلُ لنفسه هدفاً يُعَدُّ في نظره مُقدَّساً، ثُمَّ يدوسُ في سبيله على كافةِ المبادئِ الدينِيَّةِ دونَ أيِّ مُبالاةٍ. فإذا لم يكنْ مثلاً هذا الخِطابُ كَسْراً لمبادئنا، فأَيُّ شيءٍ هو الكَسْرُ إذن؟

الجذورُ الواهيةُ لدَعوى مُشاركةِ عليٍّ في حُرُوبِ الرِّدَّةِ

مُحورُ كلامه واستناده الباطلُ القائلُ بأنَّ عليّاً عليه السلام حمَلَ السيفَ دِفاعاً عن حُكْمِ أبي بكرٍ في حُرُوبِ الرِّدَّةِ لم يذكرْ مُشاركةَ أميرِ المؤمنينَ في هذه الحُرُوبِ، فَعَلِمَ استند؟

في هذا النِّداءِ لم يذكرْ مَصَدراً، ولكنَّه في كتابه المُسمَّى "فدك في التاريخ" - والذي يُفترضُ أنَّه أُلْفَ للدِّفاعِ عن الصِّدِّيقِ الكُبرى عليه السلام ولكنَّه للأسفِ كتابُ طاماتٍ، أحدُ هذه الطاماتِ قوله: "ومن مهزلةِ الأقدارِ أنَّ هذه الفتوةَ التي قدَّسها الهاتِفُ الإلهيُّ^١ كانت عيباً في رأيِ مشايخِ السقيفةِ وَنَقَصاً في عليٍّ يُوأخذُ عليه وينزلُ به عن الصِّدِّيقِ الذي لم يكن يمتازُ عليه إلا بسنينَ قضاها كافرًا مُشركًا، وأنا لا أدري كيف صار

^١ يقصد جبرائيل بقوله: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

لتعرف من أنت؟

الازدواج بين الجاهلية والإسلام في حياة شخص واحد مجداً يمتاز به عن من خلصت حياته كلها لله^١.

كيف يستحلُّ هذا الرجلُ وَصَفَ أَبِي بَكْرٍ بـ "الصَّديقِ"؟! إذا كان أبو بكرٍ صديقاً، فالزهراءُ إذن قد تجنَّت عليه لما اتَّهَمته بالكذبِ في روايةٍ (نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نورثُ). فكيف يكذبُ الصَّديقُ؟

أَلرُّ يَضَعُ حُسباناً لِقُوفِهِ أَمَامَ الزَّهراءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيامَةِ؟ خُصُوصاً وَأَنَّهُ مِنْ سُلالاتِها، وهذا يُوجِعُ قلبها عَلَيْهَا السَّلَامُ.

أَميرُ الْمُؤمِنينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقولُ في الحديثِ الَّذي رواهُ الْمُؤالِفُ والمُخالِفُ: "أنا الصَّديقُ الأكبرُ... لا يَقولها بَعدي إلا كاذبٌ"^٢.

فكيف يستحلُّ شرعاً وَصَفَ أَبِي بَكْرٍ بالصَّديقِ؟ وإذا زعمَ مُتزعِماً أنَّ ذلكَ لِلتَّقِيَّةِ، فأَيُّ سِيفٍ كانَ مُسلِطاً على رِقبتِهِ لِيَصِفَهُ بالصَّديقِ؟ وهل كانَ سِيتَضَرَّرُ لو اقتصَرَ على ذِكرِ اسمِ "أبي بكرٍ" مُجرِداً؟

١ فدك في التاريخ ص ٩٩

٢ المستدرک علی الصحیحین «٤٦٤٤»، سنن ابن ماجه «١٢٠»، فضائل الصحابة لابن حنبل «٩٩٣»، السنن الكبرى للنسائي «٨٣٣٨».

إِنَّ الْأُمَّةَ ﷺ قَدْ وَصَفُوا مَنْ يُلَقَّبُ أَعْدَاءَهُمْ بِالْقَابِئِمْ بِشَرِّ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، فَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُعْطِيَ أَلْقَابَ أَهْلِ الْبَيْتِ لِغَيْرِهِمْ، كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ عَنْ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ إِنَّهُ "الصَّادِقُ الْأَمِينُ".

أما في القضية التاريخية العجيبة، ففي ذات الكتاب "فدك في التاريخ" يقول: "أَنَّ عَلِيًّا الَّذِي رَبَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَبِّي الْإِسْلَامَ مَعَهُ -فَكَانَا وَكَلِدِيهِ الْعَزِيزِينَ- كَانَ يَشْعُرُ بِأَخَوْتِهِ لِهَذَا الْإِسْلَامِ، وَقَدْ دَفَعَهُ هَذَا الشُّعُورُ إِلَى افْتِدَاءِ أَخِيهِ بِكُلِّ شَيْءٍ حَتَّى أَنَّهُ اشْتَرَكَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ الَّتِي أَعْلَنَهَا الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَمْنَعُهُ تَزَعُّمُ غَيْرِهِ لَهَا عَنِ الْقِيَامِ بِالْوَجِبِ الْمُقَدَّسِ"^٢.
وقد جعل في الهامش مصدرًا أحالنا فيه إلى (شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، الجزء الرابع، صفحة ١٦٥ (الشهيد)^٣). وبالرجوع إلى "شرح

١ قال رسول الله ﷺ: شرار علماء أمتنا المضلون عتًا، القاطعون للطرق إلينا، المسمون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون أضدادنا بألقابنا... «تفسير الإمام العسكري ﷺ ص ٣٠١».

٢ فدك في التاريخ ص ١٠٦

٣ في الطبعة المنقول منها كتب في الهامش (الشهيد) بمعنى أن هذا الهامش كان لمحمد باقر الصدر. أي هو من همشه.

لتعرف من أنت؟

النَّهْج " نجدُ ابنَ أبي الحديدِ يقولُ: " روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير أنَّ رسولَ الله ﷺ لما مات...^١ .

فإذن، الصدرُ أحالنا إلى ابنِ أبي الحديدِ، والأخيرُ أحالنا إلى الطبري الذي هو المصدرُ الأساسيُّ. وبالرجوعِ إلى تاريخِ الطبري نجدُه يقولُ: " حدَّثني السُّري، قال: حدَّثنا شُعيب، عن سيف عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد قال: مات رسول الله ﷺ واجتمعت أسد وغطفان وطبيء على طليحة^٢ ... فعزمَ الله لأبي بكر على الحقِّ وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه وكان عقل الصّدقة على أهل الصّدقة مع الصّدقة فردّهم فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم، فأخبروا عشائهم بقله من أهل المدينة، وأطعموهم فيها، وجعلَ أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على انقاب المدينة نفراً: عليٌّ والزبيرُ وطلحةُ وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إنَّ الأرضَ كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة...^٣ .

^١ شرح النهج ج ١٧ ص ١٥٣ - حسب الطبعة التي ينقل منها سماحته.-

^٢ المتنبئ الكذاب.

^٣ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧٦

فغاية ما في رواية الطبري أن أبا بكر أحسَّ بتهديد للمدينة فجعلَ عليها حُرَّاسًا منهم عليٌّ عليه السلام. فهل هذا يُعدُّ مشاركةً في حُرُوبِ الرِّدَّةِ خارجِ المدينةِ تحتِ لواءِ أبي بكرٍ كما ادَّعى الصدرُ؟!

والفضيحةُ الكبرى هي أن هذه الرواية مأخوذةٌ عن "سيف بن عمر التميمي": الوضاع، الكذاب، الزنديق، الذي أجمعنا نحنُ والمخالفون على زندقته. وهو نفسه الراوي الأسطوريُّ الذي اختلقَ شخصيةَ "عبد الله بن سبأ" اليهوديِّ الذي يُتهمُ الشيعةُ بأنه مؤسسُ مذهبهم. فكيف يعتمدُ هذا المرجعُ على رواية سيف بن عمر في إثباتِ مشاركةِ عليٍّ في حُرُوبِ الرِّدَّةِ، في الوقتِ الذي نبذلُ فيه جهودنا لردِّ رواياتِ سيف بن عمر لإسقاطِ خُرافةِ ابنِ سبأ؟! فإمَّا أن تقبلَ برواياتِ سيف بن عمر كافةً، فيلزمُك الإقرارُ بوجودِ عبدِ الله بنِ سبأ وأنه مؤسسُ التشيع، وإمَّا أن ترفضها كافةً! إن هذه المهفوة تكشفُ عن المستوى المتدنِّي في التحقيق والتبُّع، وإن كان الكاتبُ بارعًا في الإنشاءِ وصياغةِ العباراتِ الرنانة. فقضيئنا هي في العلمِ والمضمونِ والجوهرِ لا في زخرفِ القولِ، وكَم من فقيهٍ ضليعٍ في العلمِ رغمَ بساطةِ بيانه!

التحذير من الفساد في الدين واتباع غير نهج الحسين ،

ما هو الدافع لكل هذا الانحراف وامتداح أبي بكر وعمر والادعاء بأن عليًا دافع عن حكمهما؟ الدافع أمر واحد؛ وهو استرضاء واستمالة أهل الخلاف؛ لأن الرجل كان لديه مشروع سياسي لإسقاط الحكم في العراق والوصول إلى السلطة، فرأى أن يتزلف لفته من الشعب تسير على هوى أبي بكر وعمر، متبعا مبدأ معاوية "الغاية تبرر الوسيلة"، مُستهينًا بجراحات الزهراء وأهل البيت عليهم السلام. فلم يحصل على مراده.

لقد روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «كتب رجل إلى الحسين عليه السلام: عظني بحرفين. فكتب إليه: مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَانَ أَفْوَتَ لِمَا يَرْجُو وَأَسْرَعَ لِمَجِيءِ مَا يَحْذَرُ»^١. وما أعظمها من كلمات! فلو كان هذا الرجل يفهم الحسين جيدًا لما صنع صنيعه هذا. فلقد طلب الحكم ففاته الحكم، وحاول أن يدفع عن نفسه القتل فقتل، وختم حياته بكلمة هي كلمة كفر حينما مدح ظلمي الزهراء عليها السلام. فماذا سيقول غدًا أمام أمير المؤمنين والزهراء ورسول الله؟ وهل كان إسقاط صدام يستحق هذا الثمن الفادح برفع أبي بكر

١ الكافي ج ٢ ص ٣٧٣

وعُمرَ إلى عَنانِ السماءِ حتَّى غدوا مُقدَّسينَ عِنْدَ بعضِ المُحسوبينَ على الشيعةِ؟!!

ولا يقولنَّ قائلٌ: إنّما قالها من بابِ التقيّةِ! فأبيّ التقيّةِ هذه وهو يثورُ على الحكمِ أساسًا؟! ثمّ إنّ من أهمِّ شرائطِ التقيّةِ ألاّ تُؤدّيَ إلى الفسادِ في الدينِ واختلاطِ الحقِّ بالباطلِ.

وقد أوردَ ثقة الإسلام الكليّني حديثَ عَن مَسْعَدَةَ بِنِ صَدَقَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ وَ سُئِلَ عَنِ إِيمَانٍ مَنْ يَلْزِمُنَا حَقُّهُ وَ أُخُوَّتُهُ كَيْفَ هُوَ وَ بِمَا يَثْبُتُ وَ بِمَا يَبْطُلُ، فَقَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَدْ يُتَّخَذُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ لَكَ مِنْ صَاحِبِكَ فَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ مِثْلُ الَّذِي تَقُولُ بِهِ أَنْتَ حَقَّتْ وَ لَآئِيَّتُهُ وَ أُخُوَّتُهُ إِلَّا أَنْ يَجِيءَ مِنْهُ نَقْضٌ لِلَّذِي وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ وَ أَظْهَرَهُ لَكَ فَإِنْ جَاءَ مِنْهُ مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى نَقْضِ الَّذِي أَظْهَرَ لَكَ خَرَجَ عِنْدَكَ مِمَّا وَصَفَ لَكَ وَ أَظْهَرَ وَ كَانَ لِمَا أَظْهَرَ لَكَ نَاقِضًا إِلَّا أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَ ذَلِكَ تَقِيَّةً وَ مَعَ ذَلِكَ يُنْظَرُ فِيهِ فَإِنْ كَانَ لَيْسَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ التَّقِيَّةُ فِي مِثْلِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ لِأَنَّ لِلتَّقِيَّةِ مَوَاضِعَ مَنْ أَرَاهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا لَمْ تَسْتَقِمْ لَهُ وَ تَفْسِيرُ مَا يُتَّقَى مِثْلُ أَنْ يَكُونَ قَوْمٌ سَوَاءً ظَاهِرُ حُكْمِهِمْ وَ

لتعرف من أنت؟

فِعْلِهِمْ عَلَى غَيْرِ حُكْمِ الْحَقِّ وَفِعْلِهِ فَكُلُّ شَيْءٍ يَعْمَلُ الْمُؤْمِنُ بَيْنَهُمْ لِمَكَانِ
التَّقِيَّةِ مِمَّا لَا يُؤَدِّي إِلَى الْفَسَادِ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ^١.

وأيُّ فسادٍ في الدينِ أعظمُ من أن يخرجَ مُدَّعٍ للمرجعية ليرفعَ شأنَ قِتلةِ
الزهراءِ ويصفهها بالصدقِ والعدلِ؟! إنَّ هذا فسادٌ مُستمرٌّ أدَّى إلى اغترارِ
كثيرٍ من أبناءِ الشيعةِ به، وخرجَ أشباهُه كـ "محمد حسين فضل الله"
ليترضى على أبي بكرٍ عبرَ الشاشاتِ! لقد أُحييتْ بسببِ هذا الفكرِ طائفةُ
"البترية" من جديدٍ، وهي الطائفةُ التي ذمَّها الأئمةُ وحاربوها في
الرواياتِ.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «لا تسخطوا الله برضا أحدٍ من خلقه، ولا
تتقربوا إلى أحدٍ من الخلق بتباعدٍ من الله»^٢.

فاعتبروا بما حصلَ لهذا الرَّجُلِ، ولا تُسخطوا الله برضى أحدٍ من خلقه
سعيًا وراءَ أهدافٍ سياسيَّةٍ، ولا تتقربوا إلى الناسِ بتباعدٍ من الله. إنَّ هذا
هو منهاجُ سيِّدِ الشُّهداءِ عليهم السلام.

١ الكافي ج ٢ ص ١٦٨

٢ من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤٠٣

التنزه عن التشيع الدنيوي لئلا نكون والحسين كهاتين

فُهُومُ التَّشِيعِ: هَلْ هُوَ عَقِيدَةٌ أَمْ مَظْمَعٌ دُنْيَوِيٌّ؟

يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ تَسَاوُلُ جَوْهَرِيٍّ: مَا هُوَ التَّشِيعُ ؟

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: هَلْ مَفْهُومُنَا عَنِ التَّشِيعِ، بِوَصْفِهِ عَقِيدَةٌ وَإِيمَانًا وَعَمَلًا وَسُلُوكًا، هُوَ مَفْهُومٌ صَحِيحٌ أَمْ لَا؟ وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَشِيعُنَا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- تَشِيعًا دُنْيَوِيًّا؟

الجَوَابُ هُوَ: نَعَمْ، هَذَا مُمَكِّنٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ خَذَلُوا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ تَشِيعُهُمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ أَيَّ مَا يُسَمَّى بِالتَّشِيعِ الدُّنْيَوِيِّ.

وَهُوَ الْمَصْطَلَحُ الَّذِي يَتَقَاطَعُ مَعَ مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْمُعَاصِرِينَ بِـ "التَّشِيعِ السِّيَاسِيِّ"؛ إِذْ يَرَوْنَ أَنَّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ اسْتَدْعَوْا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ خَذَلُوهُ، كَانَ تَشِيعُهُمْ سِيَاسِيًّا بَحْتًا، وَلَمْ يَكُنْ تَشِيعًا دِينِيًّا إِيْمَانِيًّا عَقْدِيًّا. لَقَدْ شَايَعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشَايَعَةً سِيَاسِيَّةً، وَأَرَادُوهُمْ حُكْمًا، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا فِيهِمُ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ، وَتَصَوَّرُوا أَنَّهُمْ

إِذَا أَوْصَلُوهُمْ إِلَى السُّلْطَةِ وَمَقَالِيدِ الْحُكْمِ، فَإِنَّهُمْ سَيَنَالُونَ حُظُوظًا مِنَ الدُّنْيَا لِقَاءِ مُشَايَعَتِهِمْ لَهُمْ.

هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى الْمُسْلِمِ؛ مِنْ وُجُوبِ الْإِعْتِقَادِ بِإِمَامَتِهِمْ الْمَفْرُوضَةِ مِنَ اللَّهِ، وَعِصْمَتِهِمْ، وَوِلَايَتِهِمْ، وَبِأَنَّهُمْ حُجَجُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَأَنَّ قَوْلَهُمْ لَا يَرُدُّ، وَأَنَّ أَبْوَابَ الْهُدَى، وَأَنَّ بِهِمْ يُسْتَكْمَلُ الْإِيمَانُ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَعَانِي الَّتِي تُشَكِّلُ مُفْرَدَاتِ التَّشْيِيعِ الْحَقِّ، التَّشْيِيعِ الْإِيمَانِيِّ الْعَقْدِيِّ. لَقَدْ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ يَمَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ شَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَقْتَلِ الطَّاعِيَةِ الثَّلَاثِ، فَأَوْصَلُوهُ إِلَى الْحُكْمِ، وَبَايَعُوهُ وَنَصَرُوهُ فِي حُرُوبِهِ الثَّلَاثِ. فَكَمَا بَيْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ، كَانَ جُلُّ هَؤُلَاءِ يَتَعَامَلُونَ مَعَ عَلِيٍّ كَتَعَامَلِهِمْ مَعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْحُكَّامِ؛ لَا يَرَوْنَ فِيهِ إِمَامًا مَعْصُومًا مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ، بَلْ يَرَوْنَهُ مُحَضَّ خَلِيفَةٍ رَابِعٍ، وَحَاكِمًا عَادِلًا فَحَسْبُ.

وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا بَعْدَ عَلِيٍّ. لَقَدْ كَانَ يُطَلَّقُ عَلَيْهِمْ لَقَبُ "شِيعَةٍ" فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا شِيعَةً بِالْمَفْهُومِ الَّذِي نَفْهَمُهُ نَحْنُ الْيَوْمَ، وَالَّذِي كَانَ يَفْهَمُهُ الْأَبْرَارُ الْقَلَّةُ الَّذِينَ بَايَعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَصْفِهِ إِمَامًا مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ؛ فَأَوْلِيَاءُكَ كَانُوا قَلَّةً، أَمَّا الْبَقِيَّةُ فَقَدْ بَايَعُوهُ خَلِيفَةً عَلَى غِرَارِ حَالٍ مِنْ سَبْقِهِ -أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ-. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى؛ يُمَكِّنُ أَنْ نَعُدَّ

لتعرف من أنت؟

أُولَئِكَ مِنْ أَهْلِ الْعَامَّةِ وَالْمُخَالِفِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُشَايِعُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ تَشِيْعًا سِيَاسِيًا فِي جَانِبِ الْحُكْمِ فَقَطْ.

شَخْصِيًّا، أَنَا لَا أَفْضَلُ تَسْمِيَتَهُ بِالتَّشِيْعِ السِّيَاسِيِّ، بَلْ أُسَمِّيهِ "التَّشِيْعَ الدُّنْيَوِيَّ". فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَحْبَبُوا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَلَزِمُوهُمْ، وَنَصَرُوهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَجْلِ الدُّنْيَا لَا لِالْآخِرَةِ، وَلَيْسَ عَنِ اعْتِقَادٍ بِأَنَّهُمْ مُنْصَبُونَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. فَمَنْ كَانَ تَشِيْعُهُ دُنْيَوِيًّا قَدْ يَكْسِبُ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ لِأَنَّهُمْ مَا اسْتَكْمَلُوا حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ. وَهَؤُلَاءِ أَنْفُسُهُمْ، حِينَمَا تَشْتَدُّ الْأُمُورُ وَتَتَارَمُ، تَرَاهُمْ يَتَخَلَّوْنَ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَيَتَخَاذِلُونَ عَنْ نُصْرَتِهِمْ. وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا حَصَلَ مَعَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِنْ هُنَا، يُوجَّهُ إِلَيْنَا أَعْدَاؤُنَا دَائِمًا هَذِهِ التُّهْمَةُ؛ قَائِلِينَ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ اسْتَدْعَيْتُمُ الْحُسَيْنَ وَعَرَّرْتُم بِهِ، أَنْتُمْ شِيْعَتُهُ الَّذِينَ خَذَلْتُمُوهُ، وَالْآنَ تَبْكُونَ عَلَيْهِ!". هَذِهِ الشُّبْهَةُ تُطْرَحُ دَائِمًا فِي الْإِعْلَامِ الْمُعَادِي، مُسْتَنِدِينَ إِلَى أَقْوَالِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَكْوَاهُ مِنْ خِذْلَانِ شِيْعَتِهِ لَهُ، كَمَا اشْتَكَى مِنْ قَبْلِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ عَبَّرُوا عَنْ أُولَئِكَ الْخَاذِلِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ شِيْعَتِهِمْ، مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْأَعْدَاءُ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ تُّهْمِهِمْ.

مغيار المحبة: لله أم للدنيا؟

إِنَّ الدَّافِعَ الَّذِي يَحْدُونِي إِلَى تَسْمِيَةِ هَؤُلَاءِ بِأَنَّ تَشْيِعَهُمْ كَانَ تَشْيِعًا دُنْيَوِيًّا، يَرْتَكِزُ بِشَكْلِ رَيْسِي عَلَى أَقْوَالِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام. فَقَدْ اسْتَنْبَطْتُ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي نَقَرُّهُ فِي "أَمَالِي" شَيْخِ الطَّائِفَةِ الطُّوسِيِّ (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ)، حَيْثُ يَرُوي بِسَنَدِهِ عَنْ بَشْرِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: "مَنْ أَحَبَّنَا لِلَّهِ وَرَدَّنَا نَحْنُ وَهُوَ عَلَى نَبِينَا صلى الله عليه وآله هَكَذَا - وَضَمَّ إِصْبَعِيهِ - وَمَنْ أَحَبَّنَا لِلدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا تَتَّسِعُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَامَ قَائِمُ الْعَدْلِ وَسِعَ عَدْلُهُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ"^٢.

وَلِهَذِهِ الرَّوَايَةِ نَظِيرٌ يَرُويهِ الْمُخَالِفُونَ بِطُرُقِهِمْ عَنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام، كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ "الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ" الطَّبْرَانِيُّ، بِسَنَدِهِ عَنْ بَشْرِ بْنِ غَالِبٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: "مَنْ أَحَبَّنَا لِلدُّنْيَا فَإِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يُحِبُّهُ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ، وَمَنْ أَحَبَّنَا لِلَّهِ كُنَّا نَحْنُ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَاتَيْنِ - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى"^٣.

١ أي إذا نهض بالأمر شخص عادل، فيسع عدله في دار الدنيا البر والفاجر، فالفاجر وحتي الكافر لا يُظلم عند حاكم العدل.

٢ أمالي الطوسي ج ١ ص ٢٥٩

٣ المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٢٥

لتعرف من أنت؟

هَذِهِ الرَّوَايَةُ تُفِيدُنَا أَنَّ هُنَالِكَ صِنْفَيْنِ مِنَ التَّشِيعِ: تَشِيعًا لِلَّهِ، وَتَشِيعًا لِلدُّنْيَا. فَالتَّشِيعُ الدُّنْيَوِيُّ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ عَدْلًا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ فَاجِرًا. وَقَدْ أَحَبَّ كَثِيرٌ مِنَ الْفُجَّارِ أَهْلَ الْبَيْتِ وَتَشِيعُوا لَهُمْ تَشِيعًا دُنْيَوِيًّا؛ فَالْفَرْدُ الَّذِي سَمِمَ مِنْ ظُلْمِ عُثْمَانَ، وَتَعَبَ وَتَأَذَّى، هَتَفَ بِاسْمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَالِبًا لِإِيَّاهُ خَلِيفَةً. لَكِنَّهُ لَمْ يَدْعُ لِعَلِيِّ لِإِعْتِقَادِهِ بِأَنَّهُ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ بِلاَ فَضْلِ وَالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، بَلْ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَلِيًّا رَجُلٌ عَادِلٌ، وَعَدْلُهُ سَيَسَعُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، فَتَصِيرُ الدُّنْيَا فِي ظِلِّ حُكْمِهِ دُنْيَا طَيِّبَةً، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أَبَعَدُ مِنْ هَذِهِ!

هُؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَدْعَوْا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ عَلَى هَذِهِ الشَّاكِلَةِ؛ مَلُّوا مِنْ جَوْرِ يَزِيدَ وَمِنْ قَبْلِهِ مُعَاوِيَةَ، وَتَعَبُوا مِنْ وُلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالُوا: لَا مَخْرَجَ لَنَا إِلَّا بِاسْتِقْدَامِ سَبِطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَحْكُمَنَا فَتَرَاحَ. لَكِنْ لَمَّا جَاءَهُمْ، وَاشْتَدَّتْ الْأُمُورُ، وَبَانَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ فِيهَا قَتْلٌ وَهَلَاكٌ، وَلَيْسَ مِنْ وِرَائِهَا دُنْيَا، أَيْ أَنَّ مَشْرُوعَهُمُ السِّيَاسِيَّ لَنْ يَتَحَقَّقَ؛ لَمْ يَكْتَفُوا بِخِذْلَانِهِ وَتَسْلِيمِهِ، بَلْ انْقَلَبُوا ضِدَّهُ وَحَارَبُوهُ! أَوْلَيْتُكَ كَانُوا يُسَمُّونَ شِيعَةً فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلَكِنَّهُمْ شِيعَةٌ عَلَى هَذِهِ الشَّاكِلَةِ.

رَوَايَةُ الدَّيْلَمِيِّ: "قَصِيرَةٌ مِنْ طَوِيلَةٍ"

ثُمَّ رَوَايَةٌ ثَالِثَةٌ بِهَذَا الْمَضْمُونِ، نَجِدُهَا فِي كِتَابِ "أَعْلَامِ الدِّينِ فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ" لِلدَّيْلَمِيِّ (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ)، حَيْثُ يَقُولُ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: "وَفَدَّ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام وَفَدَّ، قَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابَنَا وَفَدُّوا إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَوَفَدْنَا نَحْنُ إِلَيْكَ^١، فَقَالَ: إِذْنُ أُجِزُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا أُجِزُهُمْ^٢، فَقَالُوا: جُعِلْنَا فِدَاكَ، إِنَّمَا جِئْنَا مُرْتَادِينَ لِدِينِنَا^٣. قَالَ -أَيُّ الصَّادِقِ عليه السلام -: "فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَنَكَتَ فِي الْأَرْضِ وَأَطْرَقَ طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

١ أَيُّ أَنْ لَّهُمْ جَمَاعَةٌ ذَهَبُوا طَلَبًا لِلْعَطَاءِ مِنْ مُعَاوِيَةَ، بَيْنَمَا رَفَضُوا هُمْ الذَّهَابَ لِهَذَا الْحَاكِمِ الْجَائِرِ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ، وَجَاءُوا إِلَى الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ؛ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

٢ أَيُّ سَأَعُطِيكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ.

٣ أَيُّ نَحْنُ لَسْنَا مِنْ أَهْلِ التَّشْيِيعِ الدُّنْيَوِيِّ، وَلَمْ نَأْتِ لِلْمَالِ أَوْ الطَّمَعِ، بَلْ جِئْنَا طَلَبًا لِلدِّينِ.

٤ النَكَتُ فِي الْأَرْضِ - كَتَقْلِيبِ الْحَصَى مَثَلًا - هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّفَكُّرِ أَوْ السُّكُوتِ قَبْلَ الْإِجَابَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِمَامٌ مَعْصُومٌ وَقَوْلُهُ قَوْلُ السَّمَاءِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفَكُّرِ لِيُجِيبَ، لِكِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيَلْفِتَ انْتِبَاهَ الْقَوْمِ وَيَهَيِّئَهُمْ لِتَلْقَى كَلِمَةَ مُهِمَّةٍ تَرَسُّخُ فِي الْأَذْهَانِ، فَيَقَعَ كَلَامُهُ مَوْقِعًا مُؤَثِّرًا فِي نَفْسِهِمْ أَشَدَّ مِمَّا لَوْ أَجَابَهُمْ قَوْرًا.

لتعرف من أنت؟

قَصِيرَةٌ مِنْ طَوِيلَةٍ ١. مَنْ أَحَبَّنَا لَمْ يُحِبَّنَا لِقَرَابَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَلَا لِمَعْرُوفٍ
أَسَدَيْنَاهُ إِلَيْهِ، إِنَّمَا أَحَبَّنَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ أَحَبَّنَا جَاءَ مَعَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَهَاتَيْنِ - وَقَرَنَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ- ٢.

فِي رِوَايَةِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ قَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ دُونَ تَحْدِيدٍ، وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ
قَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، لَكِنْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ قَرَنَ بَيْنَ "السَّبَابَتَيْنِ"؛
لِيُبَيِّنَ أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيَتَانِ لَا تَطُولُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَيَمْتَشِي مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ
خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ حَتَّى وَرُودِ حَوْضِ الْكَوْثَرِ. هَذَا الْفَضْلُ لِمَنْ يُحِبُّهُمْ لِلَّهِ؛ لَا
لِقَرَابَةٍ كَأَنْ يَكُونَ سَيِّدًا مِنْ عَشِيرَتِهِمْ، وَلَا لِمَعْرُوفٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ مَالِيَّةٍ
أَوْ مَنْصِبٍ، أَوْ حَتَّى كَرَامَةٍ! فَبَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ ضَعُفَ إِيمَانُهُمْ، يَذْهَبُونَ إِلَى
سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ لِلتَّوَسُّلِ، فَتَمُرُّ السَّنَوَاتُ وَلَا تُقْضَى
حَوَائِجُهُمْ، فَيَبْدَأُونَ بِالِابْتِعَادِ عَنِ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ!

هَذِهِ مُشْكَلَةٌ تَعْمُ الْبَشَرَ. وَأَذْكَرُ أَنَّ شَخْصًا أَرْسَلَ رِسَالَةً أُحِيلَتْ إِلَيَّ مِنْ
الْمَكْتَبِ، يَشْكُو فِيهَا وَقُوعَهُ فِي مَشَاكِلَ عِدَّةٍ، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ

١ هَذَا مَثَلٌ يُضْرَبُ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يَبْدُو قَصِيرًا لَكِنَّ أَصْلَهُ عَظِيمٌ؛ كَالثَّمَرَةِ هِيَ قَصِيرَةٌ، وَلَكِنَّ
أَصْلَهَا النَّخْلَةَ الشَّاهِقَةَ. أَيُّ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي سَأَقُولُهُ، وَإِنْ بَدَأَ قَصِيرًا، لَكِنَّ مَعْنَاهُ وَأَصْلَهُ وَاسِعٌ
وَعَمِيقٌ.

٢ أعلام الدين للدليمي ص ٤٦٠

الأدعية. ثُمَّ بَعْدَ سَنَتَيْنِ -تَقْرِيْبًا-، أَرْسَلَ رِسَالَةً يُعْلِنُ فِيهَا إِحْمَادَهُ، مُدْعِيًا أَنَّهُ جَرَّبَ تِلْكَ الْأَدْعِيَةَ وَلَمْ يُحَلِّ شَيْءٌ، مُسْتَنْجَبًا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنَّ اللَّهَ ظَالِمٌ.

هُؤُلَاءِ ضِعَافُ الْإِيْمَانِ؛ إِنْ حَصَلُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ اللَّهِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ قَوِيَّ إِيْمَانُهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلُوا ابْتَعَدُوا، وَكَأَنَّهُمْ يُتَاجَرُونَ مَعَ اللَّهِ! هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً وَطَمَعًا.. تِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ.

نَفَهُمْ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوُرُودَ مَعَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَهَاتَيْنِ، مُقَيَّدٌ بِأَنْ يَكُونَ تَشِيْعُكَ تَشِيْعًا إِيْمَانِيًّا خَالِصًا، نَقِيًّا، عَقْدِيًّا، رُوْحِيًّا، بَعِيْدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْأَطْمَاعِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

التَّطْبِيقَاتُ الْمُعَاَصِرَةُ: التَّشْيِيعُ الدُّنْيَوِيُّ فِي وَاقِعِنَا الْيَوْمِ

مِنْ هُنَا، يَلْزَمُنَا أَنْ نَعْكِسَ وَاقِعِنَا الْمُعَاَصِرَ فِي مِرَاةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَلُّوا أَنْفُسَكُمْ، وَابْحَثُوا فِي خَفَايَاهَا: كَمْ شَخْصًا مِنْنَا الْيَوْمِ يُنَادِي بِاسْمِ الْحُسَيْنِ، وَيَرْفَعُ رَايَتَهُ، وَيَخْطُبُ أَوْ يُقِيمُ مَجْلِسًا، أَوْ يَلْطِمُ وَيَنْدُبُ لِأَجْلِهِ، وَلَكِنَّ غَايَتَهُ كُلَّهَا هِيَ الدُّنْيَا؟ هَلْ حَقًّا كُلُّ الَّذِينَ يَعْقِدُونَ الْمَجَالِسَ الْحُسَيْنِيَّةَ إِنَّمَا يَعْقِدُونَهَا لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، أَمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَعْقِدُهَا بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ لِلدُّنْيَا؟

فَتَجِدُ زَعِيمًا سِيَاسِيًّا يُقِيمُ مَجْلِسًا لِيُرَوِّجَ لِسُوقِهِ السِّيَاسِيَّ، وَيَجْذِبَ الْجُمْهُورَ خَشِيَّةً أَنْ يُتَّقَدَ لِعَدَمِ إِقَامَتِهِ مَجْلِسًا فِي الذِّكْرَى. وَكَمْ مِنْ مُرْشِحٍ

لتعرف من أنت؟

لِلإِنْتِخَابَاتِ يَفْتَحُ مَجَالِسَ حُسَيْنِيَّةَ فِي مَقَارِهِ الْإِنْتِخَابِيَّةِ! هَلْ فَعَلَ ذَلِكَ لِلَّهِ،
أَمْ لِيَسْتَجْلِبَ أَصْوَاتَ النَّاسِ وَيُوَهِّمُهُمْ بِأَنَّهُ حُسَيْنِيٌّ؟ وَكَمْ مِنْ مَجْلِسٍ يُعْقَدُ
طَلَبًا لِلْوَجَاهَاتِ، أَوْ فِي سِيَاقِ الْمُنَافَسَاتِ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ أَوْ الْعَائِلَاتِ! بَيْنَمَا
الَّذِي يُعْقَدُ مَجْلِسًا حَقِيقِيًّا خَالِصًا لِلْحُسَيْنِ، تَرَاهُ مُتَخَلِّقًا بِأَخْلَاقِ الْحُسَيْنِ،
سَائِرًا بِسِيرَتِهِ، غَيْرَ طَالِبٍ لِلْبُرُوزِ أَوْ التَّفَاخُرِ.

وَأَمَّا عَلَى صَعِيدِ الْخُطْبَاءِ وَالرَّوَادِيدِ؛ فَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ! كَمْ مِنْ خَطِيبٍ
يَخْطُبُ لِلدُّنْيَا، وَقَدْ وَضَعَ لِنَفْسِهِ "قَائِمَةَ أَسْعَارٍ" خَاصَّةً لَا يَعْتَلِي الْمِنْبَرَ إِلَّا إِذَا
دُفِعَ لَهُ الْمَبْلَغُ الْمَطْلُوبُ.

حَتَّى إِنَّ هُنَاكَ خَطِيبًا مَشْهُورًا جِدًّا اتَّفَقَ مَعَ مَجْلِسٍ مَشْهُورٍ فِي الْكُوَيْتِ
لِلْقِرَاءَةِ عِنْدَهُمْ فِي الْعَشْرَةِ الْأُولَى. وَفِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ، قُبَيْلَ شَهْرِ مُحَرَّمٍ،
اتَّصَلَ بِهِمْ مُعْتَذِرًا، فَتَفَاجَّتُوا لِأَتَمِّهِمْ وَجَّهُوا الدَّعَوَاتِ، لِيَتَبَيَّنَ لِاحِقًا أَنَّ مَجْلِسًا
آخَرَ فِي الْكُوَيْتِ دَعَاهُ بِمَبْلَغٍ أَكْبَرَ، ثُمَّ مَرَّرَ لَهُمْ رِسَالَةً مُبْطِنَةً بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ
لِلْعُودَةِ إِذَا زَادُوا فِي الْعَطَاءِ! هَذِهِ مُتَاجِرَةٌ صَرِيحَةٌ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَذَلِكَ الرَّوَادِيدُ، طَغَتْ قِيمُ السُّوقِ عَلَى قِيمِ الْعَزَاءِ الْحُسَيْنِيِّ الْأَصِيلِ؛
يُدْخِلُونَ فِيهَا الْآلَاتِ اللَّهْوِيَّةَ الْمُحَرَّمَةَ شَرْعًا، بَلْ بَاتَ بَعْضُهُمْ لَا يَفْتَرِّقُ عَنِ
الْمُغْنِيِّ الْمَاجِنِ فِي شَيْءٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا سِوَى أَنَّ هَذَا يَتَغَنَّى بِاسْمِ الْحُسَيْنِ،
وَذَاكَ يَتَغَنَّى بِالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ.

وَأَذْكَرُ جَيْدًا قَبْلَ اعْتِقَالِي فِي الْكُوَيْتِ، أَنَّهُمْ طَبَعُوا إِعْلَانًا تُرْوِيجِيًّا لِأَحَدِ
الرَّوَادِيدِ، رُسِمَ فِيهِ قَلْبٌ أَحْمَرٌ كَبِيرٌ مَعَ صُورَتِهِ، وَكُتِبَتْ كَلِمَةُ "حَبِيبِي"
بِخَطِّ عَرِيضٍ، وَتَحْتَهَا بِخَطِّ صَغِيرٍ "حُسَيْنٌ"، فَمَنْ يَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ يَظُنُّهُ
إِعْلَانًا لِأُغْنِيَةٍ! وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْإِنْتِاجَاتِ الَّتِي تُسَمَّى "حُسَيْنِيَّةً" لَا تَخْلُو مِنْ
إِشْكَالَاتٍ شَرْعِيَّةٍ لِاسْتِحْدَامِهَا الْمَوْسِيقَى وَالْآلَاتِ اللَّهْوِ. نَاهِيكَ عَنِ التَّوْطِيفِ
السِّيَاسِيِّ لِبَعْضِ الْقَصَائِدِ لِلطَّمِّ عَلَى الرُّمُوزِ السِّيَاسِيَّةِ بَدَلًا مِنَ الْحُسَيْنِ؛
فَيَشْتَدُّ لَطْمُهُمْ وَتَزْدَادُ حَرَارَتُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ الرَّمْزِ السِّيَاسِيِّ. كُلُّ ذَلِكَ تَوْطِيفٌ
لِلدُّنْيَا، وَهَوْلَاءِ يَتَنَافَسُونَ فِي زِيَادَةِ الْمِيعَاتِ وَالشُّهْرَةِ.

وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عَلَى الْخُطْبَاءِ أَوْ الرَّوَادِيدِ، بَلْ هُوَ مَرَضٌ يَعُمُّ كُلَّ شَأْنٍ
دِينِيٍّ. فَتَجِدُ مَنْ يَدَّعِي خِدْمَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ لِغَايَاتٍ مَالِيَّةٍ؛ وَتَارَةً يَكُونُ الْهَدَفُ
مَشْرُوعًا دُنْيَوِيًّا كَالْوُصُولِ إِلَى الْمَرْجِعِيَّةِ بِأَيِّ ثَمَنِ، وَبِتَخَطِّي الْمَوَازِينِ
الْحُوزَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِغَيْرِ نَصَابٍ كَامِلٍ، لِيُصْبِحَ زَعِيمًا لِلشَّيْعَةِ. فَكَمْ مِنْ
مَرْجِعِيَّةٍ مُزَيَّفَةٍ الْيَوْمَ - وَلَا أَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَرَاجِعِ الْعُدُولِ الْمُقَدَّرِينَ - يَتَّبِعُهَا
الرَّعَاعُ مِنَ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ مَرْجِعِيَّاتٌ دُنْيَوِيَّةٌ تَرْفَعُ شِعَارَ الْحُسَيْنِ لِلدُّنْيَا لَا
لِلَّهِ!

هَوْلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ التَّشْيِيعِ الدُّنْيَوِيِّ الْمَبْعُوضِ، وَهُمْ نَظَائِرٌ مِنْ خَذَلِ
سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ؛ لِأَنَّ تَشْيِيعَهُمْ لَيْسَ حَقِيقِيًّا، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَى نَفْسِنَا

لتعرف من أنت؟

شَيْءٌ مِنَ الرَّيَاءِ أَوْ الْعُجْبِ أَوْ التَّأْكُلِ بِاسْمِ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي
الرُّوَايَاتِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام "مَنْ اسْتَأْكَلَ بِنَا افْتَقَرَ".^١ وَالْاِفْتِقَارُ هُنَا
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا فَحَسْبُ، بَلْ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا، حَيْثُ يَدُورُ حَائِرًا فِي أَرْضِ
الْمَحْشَرِ يَبْحَثُ عَمَّنْ يَسْقِيهِ عِنْدَ حَوْضِ الْكَوْثَرِ، فَتَدْفَعُهُ الْمَلَائِكَةُ قَائِلِينَ:
"أَلَمْ يَكُنْ تَشِيعُكَ لِلدُّنْيَا؟ قَدْ نَلْتَ مَا تُرِيدُ فِي الدُّنْيَا، فَمَا الَّذِي تَطْلُبُهُ هُنَا؟".

دَخُضُ الشُّبْهَةِ: لِمَاذَا صَادَرَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوَافِلَ الْأَمْوِيَّةِ؟

هُنَا قَدْ يَتَسَاءَلُ سَائِلٌ: إِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَيُحَارِبُ هَذَا
التَّشْيِعَ الدُّنْيَوِيَّ، فَكَيْفَ نَجِدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ صَادَرَ قَوَافِلَ وَأَمْوَالًا؟
هَلِ اهْتَمَّ الْحُسَيْنُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِالدُّنْيَا؟

يَنْقُلُ الْمُؤَرِّخُونَ (وَمِنْهُمْ رُوَاةٌ مِنَ الْمُخَالِفِينَ) أَنَّهُ صَادَرَ قَافِلَةً مُتَوَجِّهَةً مِنَ
الْيَمَنِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ صَادَرَ أُخْرَى كَانَتْ مُوجَّهَةً إِلَى يَزِيدِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي "شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ" لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، أَنَّ الْحُسَيْنَ لَمَّا
اسْتَوْلَى عَلَى الْقَافِلَةِ الْأُولَى، أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى مُعَاوِيَةَ كَتَبَ فِيهَا: "مِنَ الْحُسَيْنِ
بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؛ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عِيرًا مَرَّتْ بِنَا مِنَ الْيَمَنِ

تَحْمِلُ مَالًا وَحُلَلًا وَعَنْبَرًا وَطِيبًا إِلَيْكَ، لِتُودِعَهَا خَزَائِنَ دِمَشْقَ، وَتَعْلَّ بِهَا
النَّهْلَ^١ بَنِي أَبِيكَ، وَإِنِّي اِحْتَجْتُ إِلَيْهَا فَأَخَذْتُهَا وَالسَّلَامُ^٢.

والموقف الثاني ذكره الدينوري في "الأخبار الطوال": "ولما فصل الحسين
ابن علي من مكة سائرا وقد وصل إلى التَّعِيمِ، لحق عيرا مُقْبِلَةً مِنَ الْيَمَنِ
عَلَيْهَا وَرُسُ^٣ وَحِنَاءٌ يُنْطَلِقُ بِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَأَخَذَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَقَالَ
لِلْأَصْحَابِ الْإِبِلِ: مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَسِيرَ مَعَنَا إِلَى الْعِرَاقِ أَوْفَيْنَا كِرَاهُ
وَأَحْسَنًا صُحْبَتَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفَارِقَنَا مِنْ هَاهُنَا أَعْطَيْنَاهُ مِنَ الْكِرَى بِقَدْرِ
مَا قَطَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَفَارَقَهُ قَوْمٌ وَمَضَى مَعَهُ آخَرُونَ^٤.

هذه المواقف يستغلها المعادون ليُصَوِّرُوا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ - وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ - لِيْصُ مَهْتَمٌ بِالدُّنْيَا. وَهِيَ عَيْنُ الشُّبْهَةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا الْمُسْتَشْرِقُونَ
وَالْمَلَا حِدَّةً ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي اعْتِرَاضِهِ لِقَوَافِلِ قُرَيْشٍ (كَقَافِلَةِ أَبِي

١ أي المكتفين أصحاب الثراء، فتعطيهم الأموال لتزيدهم ثروة فوق ثروتهم.

٢ شرح النهج ج ١٨ ص ٤٠٩

٣ نوع من أنواع النبات يُتَّخَذُ مِنْهَا صَبْغٌ يُسْتَعْمَلُ لِلْخِضَابِ.

٤ أي: أجره

٥ الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٤٥

لتعرف من أنت؟

سُفِيَانُ الَّتِي كَانَتْ أَسَاسَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ). وَالْجَوَابُ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ مُهِمٌّ جِدًّا: إِنَّ هَذَا الْمَالَ الَّذِي يَنْطَلِقُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ هُوَ "مَالُ الْمُسْلِمِينَ"، وَيَجِبُ أَنْ يُودَعَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، لَا فِي بَيْتِ آلِ أُمَيَّةَ! فَقَدْ كَانُوا يَسْتَوْلُونَ عَلَى الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ، وَبَدَلًا مِنْ تَوْزِيْعِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، كَانُوا يُوزَعُونَهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، عَلَى أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ امْتَلَأَتْ بُطُونُهُمْ مِنَ السُّحْتِ وَالْحَرَامِ. وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْحَاكِمُ الشَّرْعِيُّ وَالْخَلِيفَةُ حَقًّا، وَالْوَكِيلُ عَنِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. فَإِذَا اسْتَنْقَذَ هَذَا الْمَالَ لِيُوزَعَهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَهَذِهِ لَيْسَتْ سَرَقَةً، بَلْ هُوَ "اسْتِنْقَاذٌ" لِحَقِّ الْمُسْلِمِينَ!

وَلِتَقْرِبِ الصُّورَةَ؛ لَوْ اخْتَلَّتْ حُكُومَةٌ طَاغِيَةٌ أَمْوَالَ دَوْلَةٍ شَرْعِيَّةٍ مِنَ الْبَنْكِ الْمَرْكَزِيِّ، وَحَاوَلَتْ نَقْلَهَا، فَقَامَتْ مَجْمُوعَاتٌ مُسَلَّحَةٌ تَابِعَةٌ لِلْحُكُومَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ وَاسْتِرْدَادِ الْأَمْوَالِ، هَلْ يُسَمَّى هَذَا سَرَقَةً؟ إِنَّهُ اسْتِنْقَاذٌ! وَكَذَلِكَ كَانَ فِعْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قُرَيْشٍ؛ فَكَانَ قَطْعُ طَرِيقِ قَوَافِلِهَا قَطْعًا لِشِرْيَانِهَا الْمَالِيِّ حَتَّى لَا تُوَاصِلَ إِجْرَامَهَا. وَالْيَوْمَ فِي الْعُرْفِ الدَّوْلِيِّ، أَلَا يُعَدُّ تَجْمِيدُ أَرْصَدَةِ الْأَنْظُمَةِ الدِّيْكَتَاتُورِيَّةِ الْقَمْعِيَّةِ (كَنْظَامِ بَشَّارِ الْأَسَدِ) عَمَلًا مُحْمُودًا وَحَسَنًا لِحِرْمَانِهِمْ مِنْ تَمْوِيلِ آلَةِ الْقَمْعِ؟

إِنَّ "الْإِسْتِنْقَاذَ بِالْفِيءِ" كَانَتْ مِنْ مُوجِبَاتِ ثَوْرَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَدْ خَطَبَ بِالْحَرِّ وَأَصْحَابِهِ فِي مَنطَقَةِ "الْبَيْضَةِ" - كَمَا فِي مَقْتَلِ أَبِي مُحَمَّدٍ -:

"عن عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الْعِزَارِ: أَنَّ الْحُسَيْنَ خَطَبَ أَصْحَابَهُ وَأَصْحَابَ الْحُرِّ بِالْبَيْضَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ»^١.

فهذه نقطة إدانة وجهها سيّد الشهداء للأمويين، فكَمْ شَخْصًا كَانَ يَمُوتُ جُوعًا فِي حِينِ كَانَتِ الثَّرْوَةُ مُتَمَرِّكَةً فِي يَدِ بَنِي أُمَيَّةَ؟ وَالْيَوْمَ نَرَى ذَاتَ الْمَشْهَدِ لَدَى حُكَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ؛ حَيْثُ تَتَمَرِّكُ الثَّرَوَاتُ فِي يَدِ الْحَاكِمِ وَبِطَانَتِهِ، بَيْنَمَا الشَّعْبُ مَسْحُوقٌ.

خَطَبَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي "تُحْفِ الْعُقُولِ" - أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ: "وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دُعَاءَ إِلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمُخَالَفَةَ الظَّالِمِ، وَقِسْمَةَ الْفِيءِ وَالْغَنَائِمِ، وَأَخْذَ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا

١ المقتل لأبي مخنف ص ٨٥

لتعرف من أنت؟

ووضعها في حقها"^١. إذا، الشُّبْهَةُ سَاقِطَةٌ؛ فَمَا فَعَلَهُ الْحُسَيْنُ كَانَ وَاجِبًا
شَرْعِيًّا لِاسْتِنْقَادِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ.

خَطْرُ "التَّقِيَّةِ" كَمُبَرَّرٍ لِلْخِذْلَانِ

إِنَّ طَرِيقَ الْحُسَيْنِ لَا دُنْيَا مَعَهُ، وَالتَّشْيِيعُ الدُّنْيَوِيُّ كَارِثَةٌ؛ لِأَنَّ مِنْ أَكْبَرِ
مَسَاوِيهِ أَنَّهُ يَغْدُو "تَشْيِيعَ الْخِذْلَانِ". مَا يُدْرِيكُمْ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ صَاحِبُ الْأَمْرِ
(عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ) أَلَّا يَخْذُلُهُ جُلٌّ مَنِ يَدَّعِي التَّشْيِيعَ؟ بَلْ قَدْ يُحَارِبُونَهُ!

هَؤُلَاءِ قَدْ يَتَشَبَّثُونَ بِعَنَاوِينَ شَرْعِيَّةٍ لِتَبْرِيرِ خِذْلَانِهِمْ، كَمَا حَدَّثَ مَعَ
الْحُسَيْنِ. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ "التَّقِيَّةُ".

التَّقِيَّةُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ سَلِيمٌ فِي حَالِ "الاضْطِرَارِ"، كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَشُرْبِ
الْخَمْرِ لِلْمُضْطَرِّ حِفْظًا لِلنَّفْسِ. أَمَّا أَنْ تَتَّخِذَهَا قَاعِدَةً وَسَلُوكًا لِلتَّهَرُّبِ، فَهَذَا
مُحْرَمٌ. مَثَلٌ مَنْ يَتَسَاهَلُ فِيهَا كَمَثَلِ مَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ مُتَدَرِّعًا بِالْبُرْدِ الشَّدِيدِ!^٢
لَوْ رَأَيْتَ الصَّدِيقَةَ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ يُهْجَمُ عَلَى دَارِهَا، وَعُمَرُ
يَصِيحُ: "احْرِقُوا دَارَهَا بِمَنْ فِيهَا"، هَلْ تَسْكُتُ مُدَّعِيًا الْعَمَلَ بِالتَّقِيَّةِ؟ إِنْ
فَعَلْتَ فَأَنْتَ فِي جَهَنَّمَ! وَالْيَوْمَ نَرَى أَعْلَامَ النِّوَاصِبِ يَشُنُّونَ حَرْبًا عَلَى

^١ تحف العقول ج ١ ص ٢٣٧

^٢ إذ يُقَالُ أَنَّ الْخَمْرَ يُشْعِرُ الْإِنْسَانَ بِالذَّفَاءِ.

أَمَّتِنَا، فَلَا عُدْرَ لِمَنْ يَعِيشُ فِي أَمَانٍ - فِي لَنْدَنَ أَوْ أَمْرِيكََا - وَيَتَدَرَّعُ بِالتَّقِيَّةِ لِيَسْكُتَ عَنِ الدَّفَاعِ . لَقَدْ حَذَرَ الإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ عَلَى الإِمَامِ المَهْدِيِّ بِالتَّقِيَّةِ قَائِلًا: "لَقُلْتُمْ لَا نَفْعُ، إِنَّمَا نَتَّقِي، وَلَكَانَتِ التَّقِيَّةُ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ... وَلَوْ قَدْ قَامَ القَائِمُ عليه السلام مَا احتاج إلى مُسَائِلَتِكُمْ عَن ذَلِكَ ولَأَقَامَ فِي كَثِيرٍ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ حدِ اللهُ" ١. فَهَذَا صِنْفٌ مِنَ النِّفَاقِ لِمَنْ يَرْفُضُ المَوَاجَهَةَ لِأَنَّهُ لَا دُنْيَا مِنْ وَرَائِهَا.

التَّضْفِيَّةُ الحُسَيْنِيَّةُ لِأَصْحَابِ التَّشْيِيعِ الدُّنْيَوِيِّ

أَوْلِيكَ أَصْحَابُ التَّشْيِيعِ الدُّنْيَوِيِّ الَّذِينَ كَتَبُوا الرِّسَائِلَ مِنَ الكُوفَةِ لَمَّا انْقَطَعَتْ فُرُصُ التَّوَلَّى السِّيَاسِيِّ، تَسَلَّلُوا.

لَمَّا خَرَجَ الحُسَيْنُ مِنْ مَكَّةَ كَانَ مَعَهُ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرَ أَلْفِ شَخْصٍ، وَأَضْفَ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ التَّحَقُّوا مَعَهُ، وَبَعْضُهُمْ وَصَلُوا إِلَيْهِ عَن طَرِيقِ الكُوفَةِ، هُوَ لَمَّا أَيْقَنُوا أَنَّ الحُسَيْنَ عليه السلام خَرَجَ لِلشَّهَادَةِ انسحبوا.

اقرؤوا في مُنتخب الطُّرَيْحِيِّ، لَمَّا يَتَحَدَّثُ عَن أَنَّ الحُسَيْنَ عليه السلام فِي الطَّرِيقِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ خَبْرُ مَقْتَلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَهَانِيِّ بْنِ عُرْوَةَ، يَقُولُ: «بَلَغَهُ الخَبْرُ عَن مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَهَانِيِّ بْنِ عُرْوَةَ أَنَّهُمَا قُتِلَا، فَقالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

١ سَبَقَ تَخْرِيجَهُ.. راجع تهذيب الطوسي ج ٦ ص ١٧٢

لتعرف من أنت؟

رَاجِعُونَ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّكْبِ: «وَلَكُمْ عِلْمٌ بِرَسُولِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَتَلَهُ ابْنُ زِيَادٍ، فَاسْتَرْجَعَ وَبَكَى، وَقَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ ثَوَابًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلِشِيعَتِنَا مَنَزِلًا كَرِيمًا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ خَطِيبًا بِالنَّاسِ وَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ لَا تَرُونَ إِلَّا الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا، وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا^١، ثُمَّ سَارَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَرَقَدَ وَاسْتَيْقَظَ وَقَالَ: «رَأَيْتُ هَاتِفًا يَقُولُ: أَنْتُمْ تَسِيرُونَ وَالْمَنَائِيَا تُسْرِعُ بِكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: «يَا أَبَتَاهُ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟» قَالَ: «بُنَيَّ، إِي وَالَّذِي مَرَجُعُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ»، فَقَالَ: «إِذَا لَا نُبَالِي بِالْمَوْتِ»، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ حَتَّىٰ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ زُبَالَةُ، فَنَزَلَ بِهَا وَخَطَبَ

١ وهو الماء المتبقي في الإناء، كناية عن القلة.

٢ انْقِلَابٌ مُقَدَّسٌ لِمَفَاهِيمٍ؛ فَالْمَوْتُ عِزٌّ، وَالْحَيَاةُ مَعَ مَنْ يَتَحَكَّمُ بِدِينِكَ وَعِزُّكَ مَدَلَّةٌ. قَالَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: «موت في عز خير من حياة في ذل». [البحار ج ٤٤ ص ١٩٤]. وَنَحْنُ الْيَوْمَ أُمَّةٌ ذَلِيلَةٌ مُقَدَّسَاتُهَا بِيَدِ الْغَيْرِ! حَتَّىٰ فِي الْعِرَاقِ - الَّذِي يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ حُكْمَهُ شِيعِيٌّ - أَسْمَاءُ قَتَلَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ تَمَلُّاً شَوَارِعَ بَغْدَادَ (كَقَاتِلِ مُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرٍ، وَقَاتِلِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام)، بَلْ وَهَلُمُّ تَمَائِيلُ فِي مَنطِقَةِ الْمَنصُورِ، وَالْمَنَاهِجِ التَّرْبَوِيَّةِ مُتَّجِدِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَائِشَةُ! فَإِنَّ الْعِزَّةَ وَأَيْنَ الْحُكْمِ الشِّيعِيِّ الْحَقِيقِيِّ؟

النَّاسَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا جَمَعْتُكُمْ عَلَى أَنَّ الْعِرَاقَ لِي، وَقَدْ أَتَانِي خَبْرٌ فَظِيعٌ عَنِ ابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شِيعَتَنَا قَدْ خَذَلُونَا^١، «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَصْبِرُ عَلَى حَرِّ السُّيُوفِ وَطَعْنِ الْأَسِنَّةِ فَلَيْتَمَّ مَعَنَا، وَإِلَّا فَلْيُنْصِرْفْ عَنَّا»، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَفَرَّقُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ إِلَّا نَيْفٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ^٢»^٣.

رَفُّ الشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ الْمُطْلَقِ

أَمَّا أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ عليه السلام الَّذِينَ نَصَرُوهُ، فَقَدْ كَانُوا شُجْعَانًا، وَكَانَ تَشْيُعُهُمْ تَشْيُعًا حَقِيقِيًّا رَاسِخًا فِي الْقَلْبِ، لَا تَشْيُعًا دُنْيَوِيًّا أَوْ ادِّعَاءً لِفُظِيًّا. لِذَلِكَ؛ سَجَلُوا أَرْوَعَ صُورِ الْوَفَاءِ وَالِاسْتِبْسَالِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْقَائِدِ، حَتَّى

^١ أي شيعته الدنيويين، وليس شيعته الذين دعا لهم قبل أسطر..

^٢ قال سماحته: إِنِّي لَا تَأْتُرُّ عِنْدَمَا أَرَى مَوَاقِفَ الْحَذَلَانِ الْيَوْمَ؛ كَمَا حَصَلَ عِنْدَمَا طَرَحْنَا مَبَادِرَةَ فِي الْكُوَيْتِ لِحُرُوجِ مَوْكِبِ تَطْيِيرِ فِي الشَّارِعِ. فَالشيعة في البحرين تَحْتِ حُكْمِ آلِ خَلِيفَةَ، وَفِي الْقَطِيفِ تَحْتِ حُكْمِ آلِ سُعُودٍ، يَخْرُجُونَ بِشِجَاعَةٍ وَيَدْمُونَ أَنْفُسَهُمْ مُوَاسَاةً لِلْحُسَيْنِ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَخَافَ شِيعَةُ الْكُوَيْتِ تَحْتِ حُكْمِ آلِ صَبَاحٍ (الَّذِي هُوَ أَحْفُ وَطَاءَةٌ) مِنْ إِظْهَارِ الشَّعَائِرِ؟ لَقَدْ رَفَضَ بَعْضُ أَرْبَابِ الْمَجَالِسِ الْمَشْرُوعَ خَوْفًا! رَغَمَ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ فِي الشَّوَارِعِ لِتَأْيِينَ شَخْصِيَّاتٍ سِيَاسِيَّةٍ، وَيَتَحَدَّثُونَ الْقَانُونَ حَتَّى الْإِعْتِقَالَ! أَمَّا فِي قَضِيَّةِ الْحُسَيْنِ فَيَجِبُنُونَ! إِنَّ طَرِيقَ الْحُسَيْنِ فِيهِ مُحَاطَرَةٌ (وَلَا نَفْسًا خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا) [تحف العقول ص ٢٤٩]. فَلِإِظْهَارِ الشَّعَائِرِ. لِيَضْرِبُوا بِقَوَائِنِهِمْ عُرْضَ الْحَائِطِ.

^٣ منتخب الطريحي ص ٤٢٦

لتعرف من أنت؟

وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ ذَاهِبٌ بِهِمْ إِلَى الْمَوْتِ، بَلْ كَانُوا يَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ شَرْفًا
وَفَخْرًا. وَمَا أَشَدَّ الْبُؤْنَ الشَّاسِعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا عَنْهُ يَمِينًا
وَشِمَالًا!

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُشْرِقَةِ الَّتِي نَجَدُهَا فِي كِتَابِ «الْحَرَاجِجِ
وَالْجَرَاجِحِ» لِلْقُطْبِ الرَّائِدِيِّ، حَيْثُ يَرْوِي أَبُو حَمْرَةَ الثُّمَالِيُّ (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ
وَالرِّضْوَانُ) عَنِ الْإِمَامِ السَّجَّادِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "كُنْتُ مَعَ أَبِي اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ
فِي صَبِيحَتِهَا، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَذَا اللَّيْلُ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا
يُرِيدُونِي، وَلَوْ قَتَلُونِي لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ". فَقَالُوا: "لَا
وَاللَّهِ! لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا". قَالَ عليه السلام: "إِنَّكُمْ تُقْتُلُونَ غَدًا، لَا يُفْلِتُ مِنْكُمْ
رَجُلٌ!". قَالُوا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْقَتْلِ مَعَكَ ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ وَانظُرُوا. فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى مَوَاضِعِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ مِنْ
الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: هَذَا مَنْزِلُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذَا قَصْرُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذِهِ

١ يَا لَهُ مِنْ كَلَامٍ يَهْزُ الْوُجْدَانَ! لَقَدْ اعْتَبَرُوا الْمَوْتَ مَعَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ شَرْفًا يَتَّبِعُونَهُ. وَوَا
أَسْفَاهُ عَلَى شَيْعَةِ هَذَا الزَّمَانِ الَّذِينَ لَا يَتَمَثَّلُونَ مِنْهَاجِ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَيَقُولُونَ: أَنَّا نَقْتُلُ
بِسَبِّكَم، وَأَنَا وَاللَّهِ لَوْ أَقْتُلُ بِسَبِّ أَحَدٍ نَطَّقُ ضِدَّ عِدْوَةِ اللَّهِ عَائِشَةَ؛ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْكُرُهُ وَأَقْبَلُ
بِيَدِيهِ، لِأَنَّهُ وَقَّرَ لِي هَذِهِ الْمَوْتَةَ الشَّرِيفَةَ، يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ
مَوْتَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ». [شرح النهج ج ١٥ ص ١٤٣]. فَاَلْمَوْتُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَ الْإِنْسَانِ هُوَ
الْإِسْتِشْهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام.

دَرَجَتِكَ يَا فُلَانُ. فَكَانَ الرَّجُلُ يَسْتَقْبِلُ الرِّمَاحَ وَالسُّيُوفَ بِصَدْرِهِ، وَوَجْهَهُ لِيَصِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ»^١.

هَكَذَا يَكُونُ الْيَقِينُ الَّذِي جَعَلَ رَجُلًا كَعَابِسٍ عليه السلام يَنْزِعُ لِأُمَّةٍ حَرْبِهِ قَائِلًا حُبَّ الْحُسَيْنِ أَجْنَبِي، لِأَنَّهُ يَرَى مَقَامَهُ فِي الْجَنَّةِ رَأْيَ الْعَيْنِ، فَيَسْتَعْجِلُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

كُلُّ شَيْعِيٍّ حَقِيقِيٍّ صَدِيقِيٍّ وَشَهِيدِيٍّ

إِنَّ بَابَ الشَّهَادَةِ مَفْتُوحٌ لَنَا أَيْضًا، فَقَدْ وَرَدَ فِي «مَحَاسِنِ الْبَرْقِيِّ» عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «مَا مِنْ شَيْعَتِنَا إِلَّا صَدِيقِيٌّ شَهِيدِيٌّ». قَالَ: قُلْتُ: «جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَعَامَّتُهُمْ يَمُوتُونَ عَلَيَّ فِرَاشِهِ؟». فَقَالَ عليه السلام: «أَمَّا تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي الْحَدِيدِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾»^٢؟ قَالَ: فَقُلْتُ: كَأَنِّي لَمُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَطُّ. قَالَ: لَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ لَيْسَ إِلَّا كَمَا تَقُولُ، لَكَانَ الشُّهَدَاءُ قَلِيلًا»^٣.

١ الخرائج والجرائح للراوندي ج ٢ ص ٨٤٧

٢ الحديد: ٢٠

٣ محاسن البرقي ج ١ ص ١٦٣

لتعرف من أنت؟

فَالشَّهَادَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ بَيْنَ الصُّفُوفِ فَقَطْ؛ بَلْ كُلُّ مَنْ كَانَ تَشْيِعُهُ كَتَشْيِعِ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، مُسْتَعِدًّا لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مُجَاهِرًا بِالْحَقِّ لَا يَحْسِبُ حِسَابًا لِلدُّنْيَا وَمَصَالِحِهَا مِنْ مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ، فَهُوَ شَهِيدٌ. يَجِبُ أَنْ تَهَبَ حَيَاتَكَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَلِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَقُولَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^١، مُسْتَمْسِكًا بِمَنْطِقِ الْحُسَيْنِ فِي التَّضْحِيَةِ. فَإِنْ قُتِلْتَ فَنُورٌ عَلَى نُورٍ، وَإِنْ مِتَّ عَلَى فِرَاشِكَ فَاجْرُ الشَّهِيدِ وَالصَّدِيقِ مَحْفُوظٌ لَكَ.

أَنْمُودَجُ التَّشْيِعِ الْخَالِصِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَكِنِّي نَفَهَمَ هَذِهِ الصِّفَةَ الْعَظِيمَةَ، نَتَأَمَّلُ مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي «أَمَالِيهِ» وَالشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي «أَمَالِيهِ»: «عَنْ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ، عَنِ الرُّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ بَعْدَ عَهْدِ طَوِيلٍ، وَقَدْ أَثَّرَ السِّنُّ فِيهِ، وَكَانَ يَتَجَلَّدُ^٢ فِي مِشِيَّتِهِ، فَقَالَ ﷺ: «كَبْرَ سِنِّكَ يَا رَجُلٌ». قَالَ: «فِي طَاعَتِكَ

١ الأنعام: ٩٢

٢ أي يظهر القوة ويخفي التعب والضعف.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ». فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ» قَالَ: «عَلَى أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ». فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَجِدُ فِيكَ بَقِيَّةً»^١. قَالَ: «هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»^٢.
يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ: كُلُّ حَيَاتِي مَوْهُوبَةٌ لَكَ، أَتَجَلَّدُ عَلَى أَعْدَائِكَ فَلَا أَتْرُكُهُمْ رَغْمَ كِبَرِ سِنِّي وَضَعْفِي. فَمَنْ مِنَّا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الْخَالِصَةِ؟ مَنْ مِنَّا وَهَبَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا لِلْأُمَّةِ الطَّاهِرِينَ دُونَ أَنْ تَشْغَلَهُ تَخْطِيطَاتُهُ وَحِسَابَاتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ لِمُسْتَقْبَلِهِ وَمَعِيشَتِهِ؟ إِنْ هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ تَشِيعُهُمْ تَشِيعُ حَقِيقَتِي رَاسِخٌ مُتَنَزِّهٌ عَنِ الْمَصَالِحِ، هُمُ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى مَقَامِ الصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ لِنُصْرَةِ خَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُهَدِيِّ (أَرْوَاحَنَا لَهُ الْفِدَاءُ) وَيَكُونُونَ مِنْ كِبَارِ قَادَةِ جَيْشِهِ.

فَهَلْ نَحْنُ عَلَى صِفَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي خَاطَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَمْ هَلْ نَحْنُ عَلَى صِفَةِ عَلِيِّ الْأَكْبَرِ حِينَ قَالَ: "إِذَا لَا نُبَالِي بِالْمَوْتِ"؟ إِنَّنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَى مَرَحَلَةٍ نَتَنَزَّهُ فِيهَا عَنِ التَّشِيعِ الدُّنْيَوِيِّ، فَإِنَّا سَنَكُونُ مَعَ الْحُسَيْنِ كَهَاتَيْنِ. جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، أَلَا فَاذْكُرُوا سَيِّدَكُمْ.

^١ بقية في العمر.

^٢ أمالي المفيد ص ١٧٢، أمالي الطوسي ج ١ ص ١٠٧

لتعرف من أنت؟

الثورة الحسينية مستمرة

خَطْبُ دَهَى الْإِسْلَامِ كَانَ فَظِيعًا *** مِنْ أَجْلِهِ بَكَتِ السَّمَاءُ نَجِيعًا
أَهَّا لَهُ مِنْ حَادِثِ ذَهَبِ الْأَسَى *** فِيهِ غَدَاةُ مَضَى الْحُسَيْنِ صَرِيعًا
وَتَظُنُّ أَنَّكَ مِنْهُ لَمْ تَهَجِعِ أَسَى *** يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَا تَقْرُ هُجُوعًا
وَتَبْكِي بُكَاءَ النَّاسِ فِي أَرْزَائِهِمْ *** مَنْ تَرْتَجِيهِ الْعَالَمُونَ شَفِيعًا
بَلْ لَوْ طَحَنْتُ أَسَى بِأَرْحَبَةِ الْفِنَاءِ *** جِسْمِي وَفَارَقْتُ الْحَيَاةَ مُطِيعًا
وَصَكَّكَتُ رَأْسِي بِالْيَدَيْنِ تَرْهَقًا *** حَتَّى يَكُونَ الْعَظْمُ مِنْهُ صَلِيعًا
وَلَدَمْتُ وَجْهِي حَيْثُ أَنْثُرُ لِحْمَهُ *** حَتَّى يَكُونَ مِنَ الشُّوَى مَنْزُوعًا
أَوْ أَنْ نَارًا فِي الْفُؤَادِ حَقِيقَةً *** وَجَوَانِحِي فِيهَا احْتَرَقْنَ جَمِيعًا
لَمْ أَقْضِ حَقَّ رَزِيَّةِ حَطَمْتُمْ مِنْ *** الزَّهْرَاءِ بَوَاعِيَةِ الْحُسَيْنِ ضُلُوعًا
اللَّهُ هَذَا ابْنُ النَّبِيِّ لِعَظْمِهِ *** جَبْرِيْلُ هَزَّ الْمَهْدَ فِيهِ رَضِيْعًا
يَقْضِي بِضَاحِيَةِ الْهَجِيرِ بِكَرْبَلَاءِ *** ظَامٌ وَمَطْوِيٌّ الْحَشَاشَةَ جُوعًا
فَيَكُونُ مَائِدَةً لِسَاغِبَةِ الظُّبَى *** وَالسُّمْرُ تَكَرَّعُ مِنْ حَشَاهُ نَجِيْعًا

لتعرف من أنت؟

مَا لِلْمَوَاضِي وَزَعَتْ مِنْ جِسْمِهِ *** لَحْمَ النُّبُوَّةِ فِي الْوَعَى تَوَزِيعًا
وَلَطَالَمَا أَعْطَى حُدُودَ شُفُورِهِ *** مَنْ كَانَ عَنْ شَفَرَاتِهِنَّ شُسُوعًا
عَجَبًا لِمَنْ قَدْ كَانَ نُورًا مُحَدِّقًا *** بِالْعَرْشِ يُمِسي فِي الصَّعِيدِ صَرِيحًا
وَمَنْ ارْتَبَى طِفْلًا بِحِجْرِ مُحَمَّدٍ *** حَتَّى اعْتَدَى وَحْيَ الْإِلَهِ رَضِيحًا
يَعْدُو غِذَاءَ الْمُرْهَفَاتِ وَبَعْدَ ذَا *** مِنْهُ تُرَضُّ الصَّافِنَاتُ ضُلُوعًا
فَتَعُجُّ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ لِفَقْدِهِ *** الْيَوْمَ مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيحًا
الْيَوْمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ فِي آلِهِ *** مَا بَيْنَ نَاكِثَةِ الْعُهُودِ أُضِيحًا
الْيَوْمَ قَدْ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَغَادَرُوا أَلَّهُ *** إِسْلَامَ بَيْكِي تَاكِلا مَفْجُوعًا
الْيَوْمَ مِنْهُ أُمِّيَّةٌ فِي كَرْبَلَاءَ *** كَالْتِ لَهُ فِي صَاعِ بَدْرِ صَاعًا
الْيَوْمَ دَخَرَجَتِ الدُّبَابُ وَأَظْهَرَتْ *** بِالطَّفِّ كَامِنَ خَطْبِهِنَّ شَنِيعًا
الْيَوْمَ مَنْ هِيَ عَنْ أُسَامَةَ حُلِّفَتْ *** قَادَتْ إِلَى حَرْبِ الْحُسَيْنِ جُمُوعًا
الْيَوْمَ مِنْ إِسْقَاطِ فَاطِمٍ مُحْسِنًا *** سَقَطَ الْحُسَيْنُ عَنِ الْجَوَادِ صَرِيحًا

الْيَوْمَ جَرَدَتْ السَّقِيفَةَ سَيْفَهَا *** فَعَدَا بِهِ رَأْسَ الْحُسَيْنِ قَطِيعًا
عَجَبًا يَمُوتُ ظَمًا وَكَمْ قَدْ فَجَّرَتْ *** كَفَّاهُ مِنْ صَلْدِ الصَّفَا يَنْبُوعًا.

بَيْنَ الْحُزْنِ الْمُحَمَّدِيِّ وَالْإِبْتِهَاجِ الْأُمَوِيِّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ

إِنَّ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ كُلَّ الْأَحْرَارِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، سَيَحْزَنُونَ غَدًا،
وَيَنْدُبُونَ وَيَبْكُونَ لِفَقْدِ هَذَا الْعَظِيمِ، قُدُوةِ الْأَحْرَارِ الَّذِي مَا زَالَتْ ثَوْرَتُهُ
حَيَّةً تَعِيشُهَا الْبَشَرِيَّةُ فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي. إِنَّ الْمَغْبُونَ حَقًّا
هُوَ مَنْ لَا يَحْزَنُ يَوْمَ غَدٍ، وَإِنَّ الْمَخْدُوعَ هُوَ مَنْ لَا يَرْتِي الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ. وَالْمَخْدُوعُ كُلُّ الْمَخْدُوعِ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يَفْرَحُ يَوْمَ غَدٍ
وَيَبْتَهَجُ!

كَمَا يَحْدُثُ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ حَيْثُ تُقَامُ احْتِفَالَاتٌ بَهِيجَةٌ فِي
بَعْضِ الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِحْيَاءً لِسُنَّةِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَبْتَهَجُونَ وَيُعْنُونَ
وَيَرْقُصُونَ بِدَعْوَى أَنَّهُ يَوْمَ عِيدٍ. وَلَا تَدْرِي هَذِهِ الشُّعُوبُ الْمَغْبُونَةُ كَيْفَ أَنَّهُ
قَدْ خُدِعَتْ؛ خَدَعَهَا بَنُو أُمَيَّةَ وَالتَّوَاصِبُ إِذْ جَعَلُوا يَوْمَ أَعْظَمِ رَزِيَّةٍ عَلَى آلِ
الرَّسُولِ يَوْمَ عِيدٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ.

لتعرف من أنت؟

رأيت مؤخرًا أن بعض مشايخ النصب والعداء كتبوا دعوة صريحة لإظهار الفرح والسُرور والابتهاج يوم غدٍ، نكائيةً في شيعة أهل البيت، وحربًا للحسين وجدّ الحسين عليهما السلام. أن بعض الكفار واليهود والنصارى لأشرف منهم. لقد شاهدت إعلانًا لخطبة من إحدى الجهات الكنسية في العراق، كتبت فيها أنها تعطل فعالياتها احترامًا لذكرى سيد الشهداء عليه السلام، وهم نصارى! أما هؤلاء الذين يدعون الإسلام، فما احترموا الإسلام ولا سيد الإسلام، رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يُظهرون الفرح والسُرور في يوم مقتل هذا السبط العظيم، الذي هو بضعة منه، والذي قال فيه: "حسينٌ مني وأنا من حسين"١.

فَقَبَّحَ اللَّهُ وُجُوهَكُمْ، وَسَوَّدَ تَارِيخَكُمْ، وَكَسَرَ ظُهُورَكُمْ إِذْ تَفَرَّحُونَ فِي يَوْمِ مَقْتَلِ بَضْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَرِيحَانَتِهِ تَحْدِيًا لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَكَايَةً فِي آلِ الرَّسُولِ. إِنِّي لَأَتَعَجَّبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؛ يَمُوتُ مَلِكٌ أَوْ زَعِيمٌ عِنْدَهُمْ فَيُعْلَنُونَ الْحِدَادَ، وَلَا يُقِيمُونَ الْأَعْرَاسَ، وَيُنْكَسُونَ الْأَعْلَامَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ أَيَّامَ فَرَحٍ، بَلْ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ أَيَّامَ عِيدٍ، قَائِلِينَ: "احْتِرَامًا لِدِكْرَى هَذَا الزَّعِيمِ، أَوْ لِدِكْرَى هَذَا الْمَلِكِ، أَوْ الرَّئِيسِ، أَوْ الْأَمِيرِ". يَحْزَنُونَ وَيَنْتَحِبُونَ، أَمَّا الْحُسَيْنُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا بَوَاكِي لَهُ!

١ سنن ابن ماجه ح ١٤٤، مسند أحمد ح ١٧٥٦١..

أَلَا فَاحْتَرِمِ، عَلَى الْأَقَلِّ، مَشَاعِرَ النَّبِيِّ ﷺ. أَنْكَ تَدْعِي أَنْكَ مُسْلِمٌ، أَفَلَا تَحْتَرِمُ مَشَاعِرَ نَبِيِّكَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟! أَنْتَ تَرُوي فِي صِحَاحِكَ وَفِي كُتُبِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رُئِيَ بَاكِياً يَحْتُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، وَالرُّوَايَةُ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ (رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا)، وَهَذَا كَاشِفٌ عَنْ أَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ حُزِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ يَرُويهَا جَمْعٌ مِنْ أَعْلَامِ الْعَامَّةِ؛ مِنْهُمْ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، وَالتَّطَبَّرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ: «عَنْ سَلَمَى قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وَهِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ التُّرَابُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: شَهِدْتُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ أَنْفًا»^١. هَذَا يَوْمٌ عَاشُورَاءَ؛ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ تَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَخَذَ التُّرَابَ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: "شَهِدْتُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ أَنْفًا". يَا أُمَّةَ السُّوءِ! الْيَوْمُ الَّذِي يَبْكِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَحْتُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، تَفْرَحُونَ فِيهِ!

١ التاريخ الكبير للبخاري ج ٣ ص ٣٢٤، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٣، المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٣٧٣، مستدرک الحاكم ج ٤ ص ١٩

لتعرف من أنت؟

لَا شَيْءَ إِلَّا أَحْيَاءُ لِسُنَنِ بَنِي أُمَيَّةَ! فَأَنْتُمْ عَلَى دِينِ بَنِي أُمَيَّةَ. وَلَا أَعْجَبُ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الرُّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ عَنْ أَمَّتِنَا ﷺ الَّتِي يَقُولُ مَضْمُونُهَا إِنَّ أَهْلَ
الرُّومِ النَّصَارَى خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِسْلَامِ. يَقُولُ الْإِمَامُ ﷺ:
"إِنَّ أَهْلَ الرُّومِ كَفَرُوا وَلَمْ يُعَادُونَا، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ كَفَرُوا وَعَادُونَا"^١. لَا
أَقْلَّ أَنْ أَوْلَيْتِكَ الْكُفَّارَ أَشْرَفُ مِنْكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ؛ فَهُمْ يَحْتَرِمُونَ
الْمَشَاعِرَ الْإِنْسَانِيَّةَ. وَلَيْسَ هُنَالِكَ إِنْسَانٌ حُرٌّ فِي الْعَالَمِ لَا يُقَدِّسُ الْحُسَيْنَ أَبَا
الْأَحْرَارِ. أَيُّ حُرٍّ فِي الْعَالَمِ لَا بُدَّ أَنْ يُطَاطَى رَأْسَهُ لِلْحُسَيْنِ إِجْلَالًا
وَإِعْظَامًا؛ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْحُرِّيَّةِ وَتَقْدِيسِ الْحُرِّيَّةِ يَحْتَرِمُ ذِكْرَى الْحُسَيْنِ وَلَا
يَفْرَحُ بِيَوْمِ مَقْتَلِهِ. لِأَنَّهُ إِنْ فَرِحَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَإِنَّهُ قَدْ أَنْسَلَخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ
وَمَعَانِيهَا وَصَارَ وَحْشًا. أَتَشْمَتُ بِالْحُسَيْنِ؟! أَتَشْمَتُ بِسَبْطِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ؟! بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ؟! كَيْفَ تُقَابِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ!؟

تَفْنِيدُ الْأَكَاذِبِ حَوْلَ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ

إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَوْلَاءِ الْمِصْرِيِّينَ وَالْمَغْرِبِيِّينَ وَالتُّونِسِيِّينَ وَالْجَزَائِرِيِّينَ
وغيرهم ممن يحتفلون غدًا -حَسَبَ الْمَرَاثِمِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي عِنْدَهُمْ- لَا
يَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ؛ هَوْلَاءِ مَخْدُوعُونَ. نَحْنُ نَعْرِفُ الشُّعُوبَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَكَيْفَ

١ الكافي ج ٢ ص ٤١٠

تَهَوَّى وَتُحِبُّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّهَا اعْتَادَتْ عَلَى هَذِهِ الْعَادَاتِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي
 أَصْلَهَا بَنُو أُمَيَّةَ، وَوَضَعَ لَهَا كِتَابَهَا وَحَدَّثُوهَا الْأَخْبَارَ الْمَوْضُوعَةَ عَلَى لِسَانِ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فَضْلِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ مِنْ أَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى اللَّهُ فِيهِ
 مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ، وَنَجَّى يُونُسَ بْنِ مَتَّى، وَأَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي انْتَصَرَ فِيهِ
 الْأَنْبِيَاءُ، فَيُشْرَعُ صِيَامُهُ وَالْإِبْتِهَاجُ فِيهِ! هَذِهِ أَحَادِيثُ أُمَوِيَّةٌ وَضَعَهَا
 الْوَضَّاعُونَ مِمَّنْ كَانُوا مُوظَّفِينَ عِنْدَ آلِ أُمَيَّةَ. حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ يَوْمُ
 عَاشُورَاءَ يَوْمَ عِيدٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ! وَحَاشَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ قَدْ
 أَخَذَ سُنَّةَ التَّعْيِيدِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْيَهُودِ كَمَا يَرَوِيهِ الْبُخَارِيُّ! يَقُولُ
 الْبُخَارِيُّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَجَدَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ يَصُومُونَ
 يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: "لِمَذَا؟ وَمَا الْخَبْرُ؟" فَقَالُوا لَهُ: "إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي
 نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى". فَقَالَ: "نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ". فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ
 لِصِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ! وَيُحْكُمُ! أَتَقُولُونَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنَ
 الْيَهُودِ؟!

أَلَا تَتَأَمَّلُونَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُرْوِيهَا صِحَّاحُكُمْ الْقَدِرَةُ؟! الْقَضِيَّةُ
 أَصْلًا لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمُنَاقَشَةِ؛ مِنَ الْبَدِيهِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْتَاجُ أَنْ
 يَتَعَلَّمَ مِنَ الْيَهُودِ، فَهَذَا يَأْتِيهِ خَبْرُ السَّمَاءِ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ).

لتعرف من أنت؟

فَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْيَهُودِ مُمَارَسَاتِهِمْ وَشَعَائِرِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ ثُمَّ يَسْتَنْسِخَهَا وَيَجْعَلُهَا جُزْءًا مِنْ عَقِيدَةٍ أَوْ شَرِيعَةٍ الْمُسْلِمِينَ؟! لِهَذَا يَقُولُ بِهِ عَاقِلٌ؟! أَتَجْعَلُونَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ - وَهُوَ سَيِّدُ مُوسَى - ذِيلاً لِلْيَهُودِ نَعُودُ بِاللَّهِ؟! مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟! أَيْنَ عُقُولُكُمْ؟ أَيْنَ وَجَدَانُكُمْ؟ وَأَيْنَ ضَمَائِرُكُمْ إِذْ تَقْبَلُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةَ؟!

إِنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمُ الْحُزَنِ، يَوْمُ الرِّثَاءِ، يَوْمُ النَّحِيبِ، يَوْمُ النَّدْبَةِ، يَوْمُ اللَّدْمِ، يَوْمُ الْإِدْمَاءِ الْمُقَدَّسِ! هَذَا هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ؛ تُوَاسِي فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتُوَاسِي فِيهِ أَهْلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَتُوَاسِي فِيهِ سَبْطَهُ الْعَزِيزَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْحَابَهُ، بِإِبْدَاءِ مَشَاعِرِ الْغَضَبِ عَلَى قَتْلَتِهِ، وَإِبْدَاءِ مَشَاعِرِ الْمُوَالَاةِ لَهُ، وَالنَّاسُفِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى رَحِيلِهِ عَنَّا، وَعَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْ مَصَائِبَ. هَذَا هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ. إِنَّ كُلَّ حُرٍّ يُقَدِّسُ الْحُسَيْنَ، كُلَّ شَهِيدٍ يَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ شَهَادَتُهُ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ. لِمَاذَا؟

مَقَامُ الشُّهَدَاءِ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرَفُ كَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ

لِأَنَّ مَقَامَ الشُّهَدَاءِ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَقَامُ شَهِيدٍ آخَرَ إِطْلَاقًا مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الشَّهِيدُ. هَذَا لَيْسَ قَوْلِي، بَلْ هُوَ قَوْلُ إِمَامِنَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رِوَايَةٍ مُعْتَبَرَةٍ يَرْوِيهَا الشَّيْخُ الْأَقْدَمُ ابْنُ قُتُوبِيهِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْتَبَرِ (كَامِلِ

الزِّيَارَاتِ)، يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام: "مَا مِنْ شَهِيدٍ إِلَّا وَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مَعَهُ"^١.

هُوَ شَهِيدٌ، قَدْ يَكُونُ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ، مِنْ شُهَدَاءِ حُنَيْنٍ، مِنْ مَشَاهِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قُتِلَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ انْكَشَفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ الْيَوْمَ لَرَأَيْتُمْ شُهَدَاءَ بَدْرٍ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَخْرَهُمُ الزَّمَانُ لِيَوْمِ كَرْبَلَاءَ لِيَسْتَشْهَدُوا مَعَ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْحُسَيْنِ عليه السلام. لَوْ انْكَشَفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ لَرَأَيْتُمُوهُمْ هَكَذَا يَتَحَسَّرُونَ! لِأَنَّهُمْ -وَإِنْ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ عَالِيَةً جِدًّا- إِلَّا أَنَّهُمْ يَرُونَ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ بَتْلِكَ الْجِنَانِ، جِنَانِ الْخُلْدِ، أَنَّ الشُّهَدَاءَ مَعَ الْحُسَيْنِ فِي يَوْمِ الطَّفِّ هُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، فَيَتَحَسَّرُونَ.

هَذَا عَنْ يَوْمِ كَرْبَلَاءَ، وَلْتَحَدَّثْ عَنْ أَرْضِ كَرْبَلَاءَ؛ فَهِيَ أَشْرَفُ الْأَرْضِ وَأَقْدَسُهَا، هَكَذَا نَطَقَتِ الرَّوَايَاتُ الْمُعْتَبَرَةُ. وَلِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) اخْتَارَهَا لِتَحْتَضِنَ الْجِثْمَانَ الشَّرِيفَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَدْ دُفِنَ فِيهَا كَمَا نُقِلَ فِي رِوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام. نَطَقَتْ رِوَايَاتُهُمْ بِأَنَّ فِي كَرْبَلَاءَ مَدْفُونٌ مِمَّنَّا نَبِيٌّ^٢، وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ. هُنَالِكَ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ،

١ كامل الزيارات ص ٢٢٠

٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «...قبض فيها -أي كربلاء- مائتا نبي ومائتا وصي ومائتا سبط شهداء...». راجع البحار ج ١٠١ ص ١١٦ نقلًا عن تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٢

لتعرف من أنت؟

المذكورون بأسمائهم من هؤلاء قلة، والبقية لا نعرف أسماءهم. من هؤلاء المئة والأربعة والعشرين ألف نبي، هنالك مئتا نبي مدفونون في كربلاء المقدسة. شرفهم هو هذا: أنهم مجاورون للحسين عليه السلام. سألوا الله (عز وجل) في تلك الأزمان الغابرة أن يقضي لهم بأن يدفنوا في هذه البقعة التي هي في آخر الزمان ستحتضن جثمان سيد الشهداء عليه السلام.

معنى هذا أن أنبياء الله العظام كانوا يتسابقون ليكونوا مع الحسين عليه السلام، وفي جوار الحسين. أتعرفون أنتم قدر الحسين ومن يكون الحسين؟! لا نعرف قدره، ولا نعرف أي عظيم هو.

هذا العظيم الذي ضحى بدمه في أروع ملحمة، وأعظم ملحمة عرفتها البشرية، وأقدس ملحمة! هذا العظيم الذي ضحى بدمه من أجل الإسلام، من أجل التوحيد، من أجل الله، من أجل الحرية، من أجل الإنسانية، لكي لا يكون الناس عبيدا بعدما حررهم محمد صلى الله عليه وآله.

المؤامرة على مشروع التحرير النبوي

إن مشروع رسول الله في الأرض كان تحريراً لبني الإنسان؛ تحريرهم من عبادة الأوثان، من عبادة الطواغيت، ومن الأفكار المنحرفة، ومن التشبث بالدنيا ونسيان دار الآخرة، إلى ما هنالك من أمور. حررنا رسول

اللَّهُ ﷺ، حَرَّرَ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةَ حِينَ أَرْسَى دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ. وَلَكِنْ مَا الَّذِي حَصَلَ؟ كَانَ هُنَالِكَ طَابُورٌ خَامِسٌ فِي وَسَطِ الْمَدْعِينَ لِلْإِسْلَامِ. هَؤُلَاءِ كَادُوا لِلْإِسْلَامِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ مِنَ الدَّاخِلِ، أَرَادُوا إِفْشَالَ خُطْبَتِهِ، وَتَحْطِيمَ دِينِهِ، وَإِحْبَاطَ مَشْرُوعِهِ. أَرَادُوا إِفْشَالَهُ بَعْدَمَا عَجَزُوا عَنْ مُوَاجَهَتِهِ مِنْ الخَارِجِ، فَقَالُوا: "لِنُوَاجِهْهُ مِنَ الدَّاخِلِ". فَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَتَبُوا صَحِيفَتَهُمُ الْمَشْهُومَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي دَفَنُوهَا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، حَيْثُ تَمَلَّؤُوا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنَّهُ: "إِنْ قَتَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا أَوْ مَاتَ، لَنَزُوَيْنَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"^١. هَكَذَا اتَّفَقَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ الْجَرَّاحُ، وَأَبُو سُفْيَانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَطَلْحَةُ، وَمَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْأَوْغَادِ! وَنَقَذُوا الْمُوَأَمَرَةَ، نَقَذُوا مَا تَمَلَّؤُوا عَلَيْهِ. فَمَا إِنْ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -بِالْسُّمِّ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي غَيْلَةَ، وَدَسَّ إِلَيْهِ السُّمُّ مِنْ زَوْجَتِيهِ الْخَائِتَيْنِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ- حَتَّى تَسَارَعُوا إِلَى بَيْعَتِهِمُ الْخَاسِرَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ. وَإِذَا بِالْمُنَافِقِينَ بِالْأَمْسِ، يُضْبِحُونَ فِي لَيْلَةٍ وَضَحَاهَا عَلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ مُلُوكَ الْيَوْمِ.

وَاجَهُهُمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَذَلَتْهُ الْأُمَّةُ، وَاجَهُهُمُ الْحَسَنُ الْمُجْتَبَى السَّبْطُ الْأَكْبَرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَذَلَتْهُ الْأُمَّةُ، وَاجَهُهُمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَيْضًا خَذَلَتْهُ الْأُمَّةُ. وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَخْذُلُ الْأَوْصِيَاءَ الشَّرْعِيِّينَ، إِذِ ابْتَعَدَتْ عَنِ

^١ راجع كتاب سليم ج ١ ص ١٥٤

لتعرف من أنت؟

وَلَايَتِهِمْ -وَلَايَةِ الْحَقِّ- وَاعْتَنَقَتْ وَايَةَ أَضْدَادِهِمْ؛ وَايَةَ الْبَاطِلِ وَالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ. هَذِهِ الْمَأْسَاءُ الَّتِي وَقَعَتْ، نَحْنُ -بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- أَفْلَتْنَا مِنْهَا. نَحْنُ أَفْلَتْنَا مِنْ هَذِهِ الْحَدِيدَةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِئَةَ عَامٍ بِبَرَكَاتِ التَّفَافِنَا حَوْلَ قِيَادَتِنَا الشَّرْعِيَّةِ. اسْتَمْسَكْنَا بِحَبْلِ آلِ الرَّسُولِ، أَيَّنَمَا ذَهَبُوا ذَهَبْنَا، فَقُلْنَا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَّفَنَا بِهِمْ وَشَرَّفَنَا بِوَلَايَتِهِمْ"، فَصَلَحَ لَنَا دِينُنَا. وَالْإِلَّا، فَعَيْرُنَا هَا أَنْتَ تَرَاهُمْ، لَا دِينَ لَهُمْ صَاحِبًا، وَلَا شَرَائِعَ لَهُمْ صَاحِبَةً؛ لَا صَلَاةَ وَلَا زَكَاةَ وَلَا حَجَّ وَلَا صِيَامَ، كُلُّ أَعْمَالِهِمْ بَاطِلَةٌ! لِأَنَّهُمْ يُؤَدُّونَهَا عَلَى الطُّرُقِ الْبِدْعِيَّةِ، عَلَى مَا أَفْتَاهُمْ بِهِ أَعْلَامُ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَالنَّفَاقِ.

مَنْ الَّذِي حَفِظَ دِينَنَا؟ مَنْ الَّذِي أَنْجَحَ مَشْرُوعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

إِنَّمَا هُمْ الْأُمَّةُ مِنْ عِزَّتِهِ الطَّيِّبَةِ. إِنَّمَا هُوَ الْحُسَيْنُ، الَّذِي بِدَمِهِ حَفِظَ هَذَا الْإِسْلَامَ، حَفِظَ مَشْرُوعَ التَّحْرِيرِ هَذَا. وَمَا زَالَتْ ثَوْرَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَمِرَّةً، وَهِيَ تَقَاوِمُ بَتْدَاعِيَّاتِهَا وَمُضَاعَفَاتِهَا وَآثَارِهَا، مَا زَالَتْ تُقَاوِمُ نَهْجَ الطُّغْيَانِ وَالْإِسْتِعْبَادِ، وَهِيَ أَنْتَ تَرَى انْتِصَارَاتِ الْحُسَيْنِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

استمرارية الثورة الحسينية وانتصارها الخالد

ظَنَّ يَزِيدٌ وَجَيْشُهُ أَنَّهُمْ بِنَحْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْضُونَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ! كَلَّا، لَا وَاللَّهِ! انْتَصَرَ الْحُسَيْنُ انْتِصَارًا عَظِيمًا، وَهُوَ يَنْتَصِرُ إِلَى الْيَوْمِ، زَمَانًا

بَعْدَ زَمَانٍ، وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، تَنْتَقِلُ الْبَشَرِيَّةُ لِتُبَاعِ الْحُسَيْنَ وَتَهْتَفَ بِاسْمِهِ قَائِلَةً: "يَا حُسَيْنُ". يَزِيدُ أَرَادَ قَتَلَ الْحُسَيْنَ، وَهِيَ هِيَ الْحُسَيْنُ حَيٌّ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْبَشَرِيَّةِ، عَلَى كُلِّ أَفْطَارِ الْأَرْضِ، كُلُّ الْبَشَرِ يَهْتَفُونَ "يَا حُسَيْنُ". صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَيُّ نَصْرٍ هَذَا؟! أَيْنَ نَجْدٍ مِثْلَ هَذَا النَّصْرِ بَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةِ سَنَةٍ؟! مَا زَالَتْ ذِكْرَاهُ مِثْلَةَ حَيَّةٍ.

وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَى نَهْجِ يَزِيدَ، وَمَا زَالُوا مَوْجُودِينَ، هُوَ لَاءِ الْبَقَايَا، هُوَ لَاءِ الْحِثَالَةِ، أَيُّظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِقَتْلِنَا نَحْنُ الْحُسَيْنِيِّينَ يَنْتَصِرُونَ؟! خَطُؤُهُمْ هُوَ نَفْسُ خَطَا يَزِيدَ، سُوءُ تَقْدِيرِهِمْ هُوَ نَفْسُ تَقْدِيرِ يَزِيدَ. نَحْنُ - كَمَا تَعْلَمُونَ - مُسْتَهْدَفُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللِّيَّالِي.

فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي يَوْمِ الْعَاشِرِ، تَمْتَرُجُ دِمَاءُ الشَّيْعَةِ مَعَ دِمَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ سَنَةٍ. وَيَظُنُّ هُوَ لَاءِ الْيَزِيدِيِّينَ الْأُمُويُّونَ أَنَّهُمْ بِهَذَا يَنْتَصِرُونَ عَلَيْنَا! افْتُلُونَا فَإِنَّا نَنْتَصِرُ أَكْثَرَ! اذْبَحُونَا، فَإِنَّكُمْ بِذَلِكَ تَنْفَعُونَا. أَيَتَصَوَّرُونَ أَنَّهُمْ بِإِزْهَاقِ أَرْوَاحِنَا، وَبِتَقْطِيعِ أَوْصَالِنَا، تَنْخَلِي عَنْ رِسَالَتِنَا الْعَظِيمَةِ؟ رِسَالَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ؟!

لِنُبْقِيَنَّ الْمَاتَمَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. وَإِنْ أَرَدْتُمْ قَتْلَنَا وَالتَّفْجِيرَ فِي سَاحَاتِنَا وَمَسَاجِدِنَا وَحُسَيْنِيَّاتِنَا، فَاهْلًا وَسَهْلًا! نَزْدَادُ قُوَّةً بِذَلِكَ، وَيَنْتَشِرُ التَّشْيِيعُ فِي الْعَالَمِ أَكْثَرَ بِذَلِكَ. نَحْنُ إِنَّمَا نَنْتَصِرُ عَلَيْكُمْ

لتعرف من أنت؟

بِالْحُسَيْنِ، وَنَتَصِرُ عَلَيْكُمْ بِمَجَالِسِ الْحُسَيْنِ وَبِشَعَائِرِ الْحُسَيْنِ، وَبِهْتَفِينَا: "يَا حُسَيْنٌ". وَأَنْتُمْ الْمَهْزُومُونَ إِلَى الْأَبَدِ، أَنْتُمْ الْخَاسِرُونَ إِلَى الْأَبَدِ! مَهْمَا قَتَلْتُمْ، مَهْمَا اضْطَهَدْتُمْ، مَهْمَا عَذَّبْتُمْ، أَنْتُمْ وَأَنْظَمْتُمْ الْقَمْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَنَا شَيْئًا. فَحُزْنُ لَا نَهَابُ الْمَوْتِ، وَنَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ وَهَذِهِ الْمَوَاقِبِ! سَلُوا زُورَ الْحُسَيْنِ بِالْمَلَايِينِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ كَأَنَّهُمْ حَاجِبٌ إِلَى كَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ، سَلُوا كِبَارَهُمْ وَصِغَارَهُمْ، سَلُوا رِجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ: مَاذَا تَتَمَنَّوْنَ؟ يَقُولُونَ: "لَيْتَنَا هَاهُنَا نَمُوتُ مَعَ الْحُسَيْنِ، نُقْتَلُ مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام".

قَالَ قَائِلُ النَّصَارَى (أَنْطْوَان بَارَا) فِي كِتَابِهِ نَقْلًا عَنْ أَحَدِ قَسَاوِسَتِهِمْ أَوْ رُهْبَانِهِمْ: "لَوْ كَانَ الْحُسَيْنُ مِنَّا لَنَشْرِنَا لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ رَايَةً، وَلَا قَمْنَا لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْبَرًا، وَلَدَعَوْنَا النَّاسَ إِلَى الْمَسِيحِيَّةِ بِاسْمِ الْحُسَيْنِ"^١. تَمَنَّا لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ هَذَا الْكَنْزُ؛ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عليه السلام. نَحْنُ عِنْدَنَا هَذَا الْكَنْزُ، وَنُحَالِفُونَا يَفْتَقِدُونَ هَذَا الْكَنْزَ. كَمْ نَتَمَنَّى مِنْ غَيْرِنَا، سَيِّمًا أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الطَّوَائِفِ وَالْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى أَنْ يَعْرِفُوا قِيمَةَ هَذَا الْكَنْزِ!

^١ راجع كتاب الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا

دَعْوَةٌ لِلْمُخَالِفِينَ لِلْعُودَةِ إِلَى رِحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَقَدْ كُنَّا نَشَاهِدُ فِي الْكُوَيْتِ أَنَّ بَعْضَ أَبْنَاءِ الْعَامَّةِ كَانُوا يَأْتُونَ لِمَجَالِسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَيُعَزُّونَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَيُشَارِكُونَ فِي الْمَرَاسِمِ. بَلْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَأْتِي وَيَلْطِمُ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام. فَمَا الَّذِي أَبْعَدَكُمْ الْآنَ عَنِ الْحُسَيْنِ؟

أَنْتُمْ أَهْلَ الْعِرَاقِ تَتَذَكَّرُونَ كَيْفَ كَانَتْ تَأْتِي مَوَاكِبُهُمْ إِلَى الْكَاطِمِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُمْ يَلْطِمُونَ وَيَقُولُونَ: "أَرِدُ أَسْأَلُكُمْ شَيْعَةً... صِدْغَ زَيْنَبَ سَلَبُوهَا؟" فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الشَّيْعَةَ قَائِلِينَ: "إِنِّي وَحَقُّ جَدِّهَا وَأَبُوهَا... حَتَّى الْأَخْيَامِ احْرِغُوهَا". هَذِهِ كَانَتْ رَدًّا لَهُمْ، وَهَكَذَا كَانَتْ لَطَمِيَّاتِهِمْ.

كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُقِيمُ مَجَالِسَ عَزَاءٍ لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام مِنْ أَهْلِ الْعَامَّةِ. الْحُسَيْنُ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ جَامِعًا لَنَا، هُوَ عَلَى الْأَقْلَبِ بِإِدْعَائِكُمْ مَوْرِدُ إِجْمَاعٍ، نَحْنُ وَأَنْتُمْ يُفْتَرَضُ أَنْ لَا نَخْتَلِفَ عَلَى الْحُسَيْنِ. نَعَمْ، قَدْ يَكُونُ اخْتِلَافُنَا عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ الْحُسَيْنِ؛ نَحْنُ نَعْرِفُ حَقَّهُ أَكْثَرَ مِنْكُمْ، فِي الرَّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ: "مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَارِفًا بِحَقِّهِ كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ"^١. لِمَاذَا الْإِمَامُ عليه السلام يَقُولُ: "عَارِفًا بِحَقِّهِ؟" يَعْني عَارِفًا بِمَا هُوَ حَقُّ الْحُسَيْنِ. حَقُّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ بِأَنَّهُ إِمَامٌ مَعْصُومٌ؛ غَيْرِنَا لَا

١ تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٥١

لتعرف من أنت؟

يَعْتَقِدُ بهذا، مَعَ ظُهُورِ كَوْنِهِ إِمَامًا مَعْصُومًا عِنْدَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْحُسَيْنِ. لِأَنَّ مَشَايخَ السُّوءِ وَدُعَاةَ الضَّلَالَةِ مِنْ كَهْتَتِهِمْ يُبْعِدُونَهُمْ عَن طَرِيقِ الْحُسَيْنِ. وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَبْدَأُ التَّحْرِيطُ عَلَى ذِكْرِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى شَعَائِرِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى شِيعَةِ الْحُسَيْنِ، وَيُقْتُونَ بِحُرْمَةِ الذَّهَابِ إِلَى الشَّيْعَةِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَتَعْزِيَتِهِمْ. خُصُوصًا فِي الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا تَمَازُجُ اجْتِمَاعِيٌّ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ، عَادَةً مَا تَكُونُ الْعِلَاقَاتُ وَثِيقَةً وَصَلَّةً.

كَمَا فِي الْخَلِيجِ وَالْعِرَاقِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ فِيهِ تَوَاجَدٌ كَثِيفٌ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ؛ هُنَالِكَ عِلَاقَاتٌ وَرَوَابِطٌ أُسْرِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ. فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَنَّهُ إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ لِأَحَدٍ مِنَ الشَّيْعَةِ، يَأْتِي مَنْ هُمْ مِنَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى مُعْزِينَ لَهُ، إِذَا كَانَ عِنْدَكُمْ يَا أَهْلَ الْخِلَافِ اسْتِعْدَادٌ لِتَعْزِيَةِ الشَّيْعَةِ فِي أَقْرِبَائِهِمْ، لِمَاذَا إِذَا لَمْ تُعْزُوهُمْ بِإِمَامِهِمْ، سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ مِنْ رُمُوزِنَا، وَهُوَ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّنَا؟! أَلَيْسَ هُوَ أَوْلَى أَنْ تُعْزُوا الشَّيْعَةَ فِيهِ؟! لِمَاذَا لَا تَحْضُرُونَ هَذِهِ الْمَجَالِسَ؟! وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ.

لِمَاذَا تَسْمَعُونَ لِأَصْوَاتِ الضَّلَالَةِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْكُمْ طَرِيقَ الذَّهَابِ إِلَى حَيْثُ يُذَكَّرُ الْحُسَيْنِ، حَتَّى لَا تَسْمَعُوا قِصَّةَ وَمَظْلُومِيَّةَ الْحُسَيْنِ؟! لِمَاذَا تَنْسَاقُونَ لِهَوْلَاءِهِ؟! لِمَاذَا لَا تَذْهَبُونَ إِلَى كَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ؟ زُورُوا الْحُسَيْنَ وَلَوْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، زُورُوا الْحُسَيْنَ وَسَتَرُونَ أَهْلَ كَرْبَلَاءِ

وَالشَّيْعَةَ فِي كَرْبَلَاءَ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ فِي كَرْبَلَاءَ تَسْتَقْبِلُكُمْ عَلَى الْعَيْنِ
وَالرَّأْسِ.

وَلَكِنْ تَعَالَوْا شَاهِدُوا مَاذَا يَجْرِي فِي كَرْبَلَاءَ، وَاسْتَشْعِرُوا هَذِهِ الْحَرَارَةَ
الْحُسَيْنِيَّةَ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَلَائِينَ لِأَحْيَاءِ هَذِهِ الذِّكْرَى. لِمَاذَا تَسْمَحُونَ لَهُؤُلَاءِ
الْأُمُورِيِّينَ بِأَنْ يَقْطَعُوا عَلَيْكُمْ الطَّرِيقَ إِلَى سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالتَّفَاعَلَ مَعَ
سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِبْعَادَكُمْ عَنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَتَّى لَا
تَتَأَثَّرُوا بِهِ. يُرِيدُونَ التَّعْنِيمَ عَلَى مَظْلُومِيَّةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، وَقِصَّةِ سَيِّدِ
الشُّهَدَاءِ، وَدَعَوَاتِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، وَرِسَالَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ. إِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ عَلَى
مَذْهَبِهِمْ، يَعْلَمُونَ أَنَّ أَكْبَرَ عَدُوٍّ لِمَذْهَبِهِمْ هُوَ الْحُسَيْنُ، وَمَجَالِسُ الْحُسَيْنِ،
وَشَعَائِرُ الْحُسَيْنِ. لِأَنَّ هَذِهِ الْمَجَالِسَ هِيَ الَّتِي حَفِظَتْ الْإِسْلَامَ الْحَقَّ، لَا
الْإِسْلَامَ الْمَزْيِفَ، وَهَذِهِ الْمَجَالِسُ هِيَ الَّتِي تُحَارِبُ الْإِسْلَامَ الْمَزْيِفَ وَتَقْضِي
عَلَيْهِ، وَقَدْ قَضَتْ عَلَيْهِ!

نَحْنُ الشَّيْعَةُ، كُنَّا بَعْدَ اسْتِشْهَادِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَدْنَا فَقَطُّ
ثَلَاثَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ: "ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَّا ثَلَاثَةً: أَبُو خَالِدٍ الْكَابَلِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ، وَجَبْرِ بْنُ مُطْعَمٍ، ثُمَّ أَنَّ

لتعرف من أنت؟

الناس لحقوا وكثروا^١. مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، نَحْنُ الْآنَ مَلَائِينَ! كَيْفَ صَارَ هَذَا؟ ذَكَرَ الْحُسَيْنِ، مَظْلُومِيَّةَ الْحُسَيْنِ، رِسَالَةَ الْحُسَيْنِ تَمَدَّدَتْ؛ فَتَشِيَّعَ أُنَاسٌ وَأُنَاسٌ عَبَرَ الْقُرُونِ، قَبَائِلُ وَقَبَائِلُ، أُسْرٌ وَأُسْرٌ. أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي مُعْظَمِكُمْ أَبْنَاءُ مُتَشَيِّعِينَ؛ بَعْضُكُمْ رُبَّمَا كَانَ قَدِيمَ التَّشِيَّعِ، وَبَعْضُكُمْ حَدِيثَ التَّشِيَّعِ. يُمْكِنُ أَنْ تَنْظُرَ وَتُفْتَشَّ لِتَرَى أَنَّ جَدَّكَ الْخَامِسَ أَوْ السَّادِسَ هُوَ الَّذِي تَشِيَّعَ. إِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ، لَا يُرِيدُونَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى مَجَالِسِ الْحُسَيْنِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ يَتَأَثَّرُونَ. هَذِهِ مَجَالِسُ مُحَضَّرِهَا الْمَلَائِكَةُ، مُحَضَّرِهَا رَسُولُ اللَّهِ، مُحَضَّرِهَا الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ، مُحَضَّرِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. الْإِنْسَانُ الْقَابِلُ لِلْهُدَايَةِ، حِينَمَا مُحَضَّرٌ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ، أَوْ إِذَا حَضَرَ فِي الرَّوْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِنَّهُ يَتَفَاعَلُ رُوحِيًّا، يَأْتِيهِ هَاتِفٌ رُوحِيٌّ عَجِيبٌ يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَعْتَنِقَ وِلَايَةَ الْحُسَيْنِ. الْحُسَيْنُ هُوَ بَابُ الْهُدَى، بَوَابَةٌ مَجْعَلُكَ تَلْجُ إِلَى عَالَمِ الْهُدَى وَتَخْرُجُ مِنْ عَالَمِ الظَّلَامِ. هَذَا الَّذِي يَخْشَوْنَهُ، وَلِذَلِكَ يُفْتُونَ لِأَبْنَائِهِمْ: أَنْ لَا تَذْهَبُوا إِلَى هَذِهِ الْمَجَالِسِ. وَيَكْذِبُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْأَكَاذِيبِ وَالْإِفْتِرَاءَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تُضْحِكُ الثَّكَلَى.

١ الاختصاص للمفيد ص ٢١٧

كَمْ مِنْ شَخْصٍ أَتَانِي فِي الْكُوَيْتِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُخَالِفِينَ -مَعَ أَنَّهُمْ شَبَابٌ مُتَّقِفٌ- كُنْتُ أَتَعَجَّبُ كَيْفَ تَنْطَلِي عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَكَاذِيبُ! يَقُولُونَ حِينَ نَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ الْحُسَيْنِيَّةِ: "نَحْنُ لَا نَذْهَبُ لِهَذِهِ الْمَجَالِسِ، لِأَنَّ فِي لَيْلَةِ الْعَاشِرِ لَدَيْكُمْ لَيْلَةُ الطَّفِيَّةِ، وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ -نَعُوذُ بِاللَّهِ- يَنْكِحُ الرَّجُلُ النِّسَاءَ"! وَفِي الْمَجَالِسِ وَالْمَوَاقِبِ فِي الْكُوَيْتِ كَانُوا يُوزَعُونَ عَادَةً شَرَابَ بِاللُّونِ الْأَحْمَرِ، فَكَانَ كَهِنَةُ الْبَكْرِيَّةِ يُفْتُونَ لَهُمْ: "لَا تَشْرَبُوا هَذَا الشَّرَابَ، فَإِنَّهُ مَخْلُوطٌ بِالْدَمِّ"! يَكْذِبُونَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْأَكَاذِيبِ، يُشَوِّهُونَ سُمْعَةَ الْمَجَالِسِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ! إِنَّ الَّذِي يَفْتَرِي وَيَكْذِبُ هُوَ الْعَاجِزُ وَالْمَهْزُوزُ. لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّ مَذْهَبَهُ خَاسِرٌ لَا يُقَاوِمُ الدَّعْوَةَ الْحُسَيْنِيَّةَ، الَّتِي هِيَ الدَّعْوَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ وَالْإِسْلَامَ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَاوِمَهَا، فَيُقَاوِمُهَا بِالْأَكَاذِيبِ وَالْإِفْتِرَاءَاتِ وَالْبُهْتَانِ.

هَذَا الزَّمَانُ هُوَ زَمَانُ النُّورِ، مَا عَادَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ يَتِمَادَى هَوْلًا فِي أَكَاذِيبِهِمْ أَكْثَرَ. كُلُّ شَيْءٍ انْكَشَفَ الْآنَ، الْفَضَائِيَّاتُ تَنْقُلُ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ مَجَالِسَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ يَرَوْنَهَا لِحْظَةً بِلِحْظَةٍ. الْفَضَائِيَّاتُ تَنْقُلُ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ كَرَبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنْ مَرَاثِمَ لَيْلًا وَنَهَارًا، لَا يَرَوْنَ

لتعرف من أنت؟

هَذَا الَّذِي يَزْعُمُهُ مَشَائِخُهُمْ وَدُعَاتُهُمْ -دُعَاةُ السُّوءِ- فَيَبْطِلُ سِحْرُهُ هَوْلَاءِ.
الْحُسَيْنُ أَبْطَلَ سِحْرَهُمْ، فَلَا تَسْتَطِيعُونَ الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْحُسَيْنِ!

هَذِهِ رِسَالَةٌ نُوجِّهُهَا لِمَنْ نُشْفِقُ عَلَيْهِمْ وَنُرِيدُ لَهُمُ الْهُدَى وَالْخَيْرَ، لِشُرَكَائِنَا
فِي أَوْطَانِنَا، لِشُرَكَائِنَا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانُوا، مِنْ أَيِّ مَذْهَبٍ كَانُوا،
مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانُوا: يَا قَوْمَ نَدْعُوكُمْ إِلَى الْحُسَيْنِ! لَا تُهْمِلُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
الْحُسَيْنَ، تَعَالَوْا مَعَنَا وَاکْتَشِفُوا هَذَا الْكَنْزَ، تَعَالَوْا اسْتَقْبِلُوا الْحُسَيْنَ بِبَصْدِرٍ
رَحْبٍ، اْعْلَمُوا أَنَّ الْحُسَيْنَ ضَحَّى مِنْ أَجْلِكُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ هَذَا الْهُدَى
وَالنُّورُ لِأَجْلِكُمْ. نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ، تَشَرَّفْنَا بِوِلَايَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمَعْرِفَةِ خَطِّ
الْحُسَيْنِ قَبْلَكُمْ، لَكِنَّ الْبَابَ لَا يَزَالُ مَفْتُوحًا لَكُمْ، وَلَعَلَّكُمْ تَأْتُونَ وَتَشْرَفُونَ
وَتُصْبِحُونَ أَعْظَمَ مِنَّا! وَلَا تَسْتَمِعُوا لِتِلْكَ الصَّيْحَاتِ الْأُمُويَّةِ الْخَبِيثَةِ، لِتِلْكَ
الصَّيْحَاتِ النَّاصِيئَةِ الْخَبِيثَةِ، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تُبْعِدَكُمْ عَنِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.
وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا فِي يَوْمٍ غَدٍ وَتُقِيمُونَ
تِلْكَ الْإِحْتِفَالَاتِ الْإِبْتِهَاجِيَّةِ! إِنَّكُمْ بِذَلِكَ تُدْمُونَ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مَسْئُولِيَّةُ الْمُسْتَبْصِرِينَ فِي دَخْضِ الْبِدْعِ الْأُمُويَّةِ

أَنَا هُنَا أُخَاطِبُ إِخْوَانِي الْمُتَشَبِّهِينَ عَلَى الْخُصُوصِ، الْمُهْتَدِينَ فِي مِصْرَ، فِي
شَمَالِ إِفْرِيقِيَا، فِي الْمَغْرِبِ، فِي أَيِّ بَلَدٍ اعْتَادَ أَهْلُهُ عَنِ جَهْلِ الْإِحْتِفَالِ وَإِبْدَاءِ

السُّرُورِ وَالتَّعْيِيدِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ. أَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَبَصَرُوا بِالْحَقِّ: مَسْئُورِيَّتِكُمْ وَوِظِيْفَتِكُمْ يَوْمَ غَدٍ -بِمِقْدَارِ مَا تَسْتَطِيعُونَ- أَنْ تَدْخُلُوا فِي تِلْكَ الْأَمْكِنَةِ وَتَنْصَحُوهُمْ لِلَّهِ، وَتَحَاوِلُونَ كَفَّهُمْ عَنِ هَذِهِ الْبِدْعَةِ الَّتِي تُدْمِي قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ.

عَلِّمُوهُمْ، بَصِّرُوهُمْ، أَخْرِجُوا لَهُمْ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، الَّذِي يُثَبِّتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ، يَوْمِ عَاشُورَاءَ، يَكُونُ بَاكِئًا، يَحْتُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْأَسَى وَالْأَلَمِ. حَتَّى يَعْرِفُوا الْحَقَّ، وَيَخْرُجُوا مِنَ الْخَدِيعَةِ الَّتِي هُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا.

فِي السَّنَةِ الَّتِي سَبَقَتْ سُقُوطَ طَاغُوتِ مِصْرَ -حسني مبارك-، وَصَلْنَا مِنَ الْإِخْوَةِ الشَّيْعَةِ فِي طَنْجَةَ فِي الْمَغْرِبِ صُورَةً عَنِ إِعْلَانِ الْمُؤَسَّسَةِ تَرَعاها سُوْرَانُ مُبَارَك^١. هَذَا الْإِعْلَانُ كَانَ فِيهِ دَعْوَةٌ لِلْفَرَحِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ بِاسْمِ تِلْكَ الْمُؤَسَّسَةِ وَتَوْزِيعِ الْهَدَايَا عَلَى الْأَطْفَالِ. وَكَانَ هَذَا الْمَهْرَجَانُ الَّذِي يُقَامُ فِي الْمَغْرِبِ بِرِعَايَةِ مَنْ تِلْكَ الْمُؤَسَّسَةِ الَّتِي هِيَ فِي مِصْرَ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا زَوْجَةُ الرَّئِيسِ الْمِصْرِيِّ آنَذَاكَ، وَبِدَعْمِ حُكُومِيٍّ مِنَ الْحُكُومَةِ الْمِصْرِيَّةِ.

^١ زوجة حسني مبارك، والتي اسمها في الأصل (سوزان ثابت).

لتعرف من أنت؟

انظروا ماذا حلَّ بِذَلِكَ النَّظَامِ! هَذَا النَّظَامُ الَّذِي دَفَعَ مِنْ مَالِهِ لِأَحْيَاءِ
يَوْمٍ عَاشُورَاءَ بِالْفَرَحِ، مَاذَا جَرَى لَهُ؟ سَقَطَ هَذَا النَّظَامُ.

الإمامُ الحُسَيْنُ عليه السلام خَطُّ أَحْمَرُ عِنْدَ اللَّهِ. مَجَالِسُ الحُسَيْنِ خَطُّ أَحْمَرُ عِنْدَ
اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ). شَعَائِرُ الإمامِ الحُسَيْنِ عليه السلام خَطُّ أَحْمَرُ عِنْدَ اللَّهِ. وَاللَّهِ مَا
مَسَّ أَحَدٌ هَذَا الخَطَّ الأَحْمَرَ إِلَّا وَسَقَطَ. يَزِيدُ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) قَتَلَ الحُسَيْنَ
وَهُوَ لَا يَزَالُ شَابًّا، لَكِنَّهُ مَا هَنَى بِحُكْمِهِ؛ حَكَمَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فَقَطُّ. الَّذِينَ
قَتَلُوا الحُسَيْنَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ تَهَنَّا بِدُنْيَاهُ، كُلُّهُمْ سَقَطُوا، وَعَذَابُ الآخِرَةِ
أَكْبَرُ!

مَا مِنْ أَحَدٍ يُعَادِي الحُسَيْنَ عليه السلام إِلَّا وَيَخْسِرُ الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، وَلَكِنَّهَا
مَسْأَلَةٌ وَقْتٍ. فِي كَامِلِ الزِّيَارَاتِ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام
قَالَ: "تَلَاهَذِهِ الآيَةَ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾^١ قَالَ: الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُنْصَرِ بَعْدُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ
لَقَدْ قَتَلَ قَتْلَةَ الحُسَيْنِ عليه السلام وَلَمْ يُطَلَبْ بِدَمِهِ بَعْدُ"^٢.

١ غافر: ٥٢

٢ كَامِلِ الزِّيَارَاتِ ص ١٣٤

الحُسَيْنُ تَكْفَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِنَصْرِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُنْصَرْ بَعْدُ؛ مَا زَالَ أَمْرُ كَمَالِ انْتِصَارِهِ، مَا زَالَ بَاقِيًا، مَا زَالَ لَهُ بَقِيَّةٌ. مَتَى يَنْتَصِرُ الْإِنْتِصَارَ الْأَعْظَمَ؟ حِينَ يَظْهَرُ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ. حِينَ ذَلِكَ تَجِدُ تَتْوِيجَ انْتِصَارَاتِ الْحُسَيْنِ.

كُلُّ مَنْ شَارَكَ فِي قَتْلِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعُهُمْ قُتِلُوا وَهَلَكُوا، لَكِنْ لَا تَتَصَوَّرُ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) طَلَبَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ بَعْدُ. يَنْتَصِرُ الْحُسَيْنُ بِظُهُورِ مَهْدِيِّ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ انْتِصَارَ الْحُسَيْنِ الْحَقِيقِيَّ الْكَامِلَ هُوَ انْتِصَارُ الْإِسْلَامِ. يَنْتَصِرُ الْحُسَيْنُ حِينَ يُظْهَرُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ كُلُّ النُّسْخِ الْمَزِيْفَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ تَتَلَاشَى وَتَذْهَبُ، كُلُّ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ تَنْقَرِضُ وَتَذْهَبُ. وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ إِمَامِنَا وَوَلِيِّ عَصْرِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحِينَ ذَلِكَ تَتَكَامَلُ النُّصْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هَذِهِ رِسَالَةٌ لِلْإِخْوَةِ الْمُهْتَدِينَ الْجُدِّدِ أَنْ: قُومُوا بِدَوْرِكُمْ ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿١﴾، اذْهَبُوا إِلَى عَشَائِرِكُمْ، إِلَى أَهَالِيكُمْ، إِلَى جِيرَانِكُمْ، إِلَى أَصْدِقَائِكُمْ، وَبَصِّرُوهُمْ يَوْمَ غَدٍ بِمَا جَرَى عَلَى سَبْطِ رَسُولِ اللَّهِ. هَذَا السَّبْطُ الْعَظِيمُ، الَّذِي فِي حَيَاتِهِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

لتعرف من أنت؟

يَتَعَامَلُ مَعَهُ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ عَمَّا يُعَامِلُ غَيْرَهُ؛ لَا يَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِدَمْعَةٍ، وَلَا يُودِّعُهُ إِلَّا بِدَمْعَةٍ. لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ شَاهِدَ بَعِينِهِ مَاذَا سَيَجْرِي فِي فِلْدَةِ كَبِدِهِ هَذَا.

مَصَارِعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَظْلُومِيَّتُهُ

يروى الشيخ الأقدم ابن قولويه (عليه الرحمة والرضوان) في كامل الزيارات: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين عليه السلام جذبته إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: "أمسكه". ثم يقع عليه ويقبله ويبكي. يقول: "يا أبا له تبيكي؟" فيقول: "يا بني أقبل موضع السيف منك وأبكي". قال: "يا أبا وأقتل؟" قال: "إي والله وأبوك وأخوك" قال: "يا أبا فمصارعنا شتى؟" قال: "نعم يا بني". قال: "فمن

١ روي أن رسول الله ﷺ قال: «أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي». راجع البحار ج ٢٨ ص ٤٣ نقلًا عن أمالي الطوسي. هذا الجزاء الذي جزت هذه الأمة به؛ أن عدت على سلالته وقتلتهم تقتيلًا! وما زالوا يقتلونهم! الذي يدعو إلى الفرح يوم عاشوراء يقتل سيد الشهداء، تأسفوا على أنهم لم يشاركون في جيش ابن زياد فهم يشاركون اليوم. الذين يترصدون لزوار الحسين ولقبيمي عزاء الحسين، هؤلاء تأسفوا على أنه قد فاتهم ذبح الحسين، فهم يدبحون هؤلاء. فالحسين ما زال يُقتل!

٢ أي: مصارعنا في بلدان عديدة موزعين في الأرض؟

يَزُورُنَا مِنْ أُمَّتِكَ؟" قَالَ: "لَا يَزُورُنِي وَيَزُورُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ وَأَنْتَ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ مِنْ أُمَّتِي" ^١. هَنِئًا لَكُمْ أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَزُورُونَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْمُقَدَّسَةَ، شَجَرَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

هُنَا قَدْ تَتَسَاءَلُ تَقُولُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ مُحَاَلِفِينَ لَا يَزُورُونَ عَلِيًّا، وَلَا يَزُورُونَ الْحَسَنَ، وَلَا الْحُسَيْنَ، وَلَكِنَّهُمْ عَلَى الْأَقْلِ يَزُورُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالرَّوَايَةُ تَقُولُ: "لَا يَزُورُنِي وَيَزُورُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ وَأَنْتَ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ مِنْ أُمَّتِي"، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ أَوْلِيَّكَ أَيْضًا مَشْمُولُونَ بِمَقَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ! نَقُولُ: كَلَّا! أَنْتَ لَوْ تَأَمَّلْتَ فِي فَتَاوَاهُمْ، رَاجِعْ خَاصَّةً فَتَاوَى الْفِرْقَةِ الْوَهَابِيَّةِ الْحَبِيبَةِ، اسْتَفْتَاءَ لِابْنِ بَازٍ، لِابْنِ عُثَيْمِينَ، بَأَن هَلْ يُجُوزُ شَدْ الرَّحَالِ لِزِيَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ تَجِدُهُمْ يَحْرَمُونَ ذَلِكَ. إِذَا مَاذَا نَصْنَعُ؟ يَقُولُ: "تَنْوِي أَنْ تَزُورَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ. لَا أَزُورُ رَسُولَ اللَّهِ مُبَاشَرَةً!" وَكَأَنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ الَّذِي هُوَ أَرْضٌ وَحَيْطَانٌ، شَرْفُهُ أَعْظَمُ مِمَّنْ تَوَى فِيهِ!

إِنَّمَا شَرْفُهُ مِمَّنْ؟ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ! فَكَيْفَ تَكُونُ النِّيَّةُ لِزِيَارَةِ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي إِنَّمَا كُلُّ شَرْفِهِ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَا يُجُوزُ أَنْ أَزُورَ الْأَشْرَفَ وَالْأَعْظَمَ، الَّذِي تَزُورُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ؟! الرَّوَايَاتُ عَنِ أُمَّتِنَا الطَّاهِرِينَ

لتعرف من أنت؟

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْ أَفْوَاجَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَنْقَطِعُ لَيْلًا وَنَهَارًا تَهْبِطُ لِتُزُورَ قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ تَصْعَدُ ثَانِيَةً.

هَذِهِ وَظِيفَةٌ مِنْ وَظَائِفِ الْمَلَائِكَةِ؛ أَنْ تَنْزِلَ لِلأَرْضِ وَتُبْدِيَ الاحْتِرَامَ لِلْقَبْرِ الَّذِي حَوَى جُثْمَانَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ. وَإِلَّا نَبِينَا الْآنَ مُحْدِقٌ بِالْعَرْشِ، مَعَ ذَلِكَ اللَّهُ تَعَبَّدَ مَلَائِكَتَهُ بِأَنْ يَقْصِدُوا سَيِّدَ أَنْبِيَائِهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَنْزِلُونَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ لِكَيْ يَزُورُوا البُقْعَةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ. وَأَنْتُمْ تُحْرَمُونَ عَلَى البَشَرِ زِيَارَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! وَإِذَا ذَهَبَ أَحَدٌ وَوَقَفَ عِنْدَ الضَّرِيحِ المُقَدَّسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُؤذُونُهُ، وَتُبْعِدُونَهُ، وَتَرْمُونَهُ بِالشَّرْكِ.

فَهَؤُلَاءِ مُخَالِفُونَ مِمَّنْ يَلْتَزِمُونَ هَذِهِ الفِتَاوَى البِدْعِيَّةَ الجَاهِلِيَّةَ، لَا يَزُورُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ لَيْسُوا مِنَ الصَّادِقِينَ.

ثُمَّ لَا تَغْفُلُ عَنِ الرَّوَايَاتِ الَّتِي تَقُولُ: "مَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ". هَذَا الَّذِي يَزُورُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ عَارِفٍ بِحَقِّهِ، هَذَا لَيْسَ صَدِيقًا. الَّذِي يَعْتَقِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْسَى آيَاتِ الْقُرْآنِ اعْتِمَادًا عَلَى رِوَايَةِ عَائِشَةَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ^١، فَحِينَ يَزُورُهُ لَيْسَ زَائِرًا عَارِفًا بِحَقِّهِ. الَّذِي يَعْرِفُ حَقَّ

^١ راجع البخاري ح ٢٦٥٥

النَّبِيِّ يَعْرِفُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ، لَا يَنْسَى مَا يُوحَى إِلَيْهِ ﴿سَنْقَرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^١.
فَالَّذِي يُصَدِّقُ رِوَايَاتِ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَنْسَى وَيُذَكِّرُهُ غَيْرُهُ بِالْقُرْآنِ،
وَأَنَّهُ كَانَ يَسْهُو فِي صَلَاتِهِ، وَأَنَّهُ عَبَسَ فِي وَجْهِ الْأَعْمَى، وَأَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا
جَاهِلًا (نَعُودُ بِاللَّهِ)، وَأَنَّهُ كَانَ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ وَهَنَّ عَلَى حَالِ الْحَيْضِ^٢، وَأَنَّهُ
كَانَ يَشْتِمُ النَّاسَ بِلَا سَبَبٍ^٣، وَأَنَّهُ يَسْمَلُ أَعْيُنَ النَّاسِ^٤، الَّذِي يَعْتَقِدُ بِرَسُولِ
اللَّهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ حِينَ يَزُورُ النَّبِيَّ ﷺ فَإِنَّ النَّبِيَّ يُعْرِضُ بِوَجْهِهِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ
لَا يَزُورُهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ. نَحْنُ فَقَطْ عَقِيدَتَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ مُنْزَعَةً مِنْ هَذِهِ
الْكُفْرِيَّاتِ، نَحْنُ نَزُورُ نَبِيَّنَا ﷺ عَارِفِينَ بِحَقِّهِ، فَنَحْنُ الصِّدِّيقُونَ.
هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَامَلُ مَعَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، يُقْبَلُهُ
وَيَبْكِي، يُقْبَلُ مَوَاضِعَ السُّيُوفِ عَلَى جَسَدِهِ الطَّاهِرِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ تِلْكَ
السُّيُوفُ.

١ الأعلى: ٧

٢ البخاري ح ٣٠٠، ٣٠٢

٣ راجع صحيح مسلم باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له
زكاة وأجرا ورحمة،

٤ صحيح النسائي ح ٤٠٤٩، ابن ماجه ح ٢٥٧٩..

لتعرف من أنت؟

اقرأ في كُتُبِ المَقَاتِلِ: جَاءَ إِلَيْهِ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، وَسِنَانُ بْنُ أَنَسٍ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَخْرِ رَمَقٍ، يُلُوكُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْعَطَشِ، فَرَفَسَهُ شِمْرُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: "يَا ابْنَ أَبِي تُرَابٍ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَبَاكَ عَلَى حَوْضِ النَّبِيِّ يَسْقِي مَنْ أَحَبَّهُ؟ فَاصْبِرْ حَتَّى تَأْخُذَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ". ثُمَّ قَالَ لِسِنَانِ بْنِ أَنَسٍ: "اِحْتَزَّ رَأْسَهُ مِنْ قَفَاهُ". فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فَيَكُونُ جَدُّهُ مُحَمَّدٌ حَضَمِي". فَغَضِبَ شِمْرٌ مِنْهُ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِ الْحُسَيْنِ، وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: "أَتَقْتُلُنِي! أَوْلَا تَعْلَمُ مَنْ أَنَا؟" قَالَ: "أَعْرِفُكَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ؛ أُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى، وَجَدُّكَ مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى، وَخَضَمُكَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى! وَأَقْتُلُكَ وَلَا أَبَالِي!" وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ ضَرْبَةً! ثُمَّ حَزَّ رَأْسَهُ. وَرُوي أَنَّهُ وُجِدَ فِي قَمِيصِهِ مِئَةٌ وَبِضْعَ عَشْرَةَ مَا بَيْنَ رَمِيَّةٍ وَطَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ. وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ: وَجِدَ فِيهِ ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ طَعْنَةً وَأَرْبَعُ وَثَلَاثُونَ ضَرْبَةً^١.

هَذِهِ الضَّرَبَاتُ تَحْمَلُهَا سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ يُقْبَلُهَا وَيَبْكِي!

^١ راجع البحار ج ٤٥ ص ٥٨، المهوف ص ١٧٩، منير الأحزان ص ٧٦، تاريخ الطبري ج ٥

قتلني أبو بكرٍ وعمر!

عَجَبًا مِنْ قَوْمٍ يَتَوَلَّوْنَ إِلَى الْيَوْمِ مَنْ قَتَلَ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ أَسَّسَ أَسَاسَ
الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَى سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ! أَنْ السَّقِيفَةُ هِيَ الَّتِي قَتَلَتِ الْحُسَيْنَ، وَمَعَ
الْأَسْفِ هَذَا لَا يَبِينُ لِمَا تَفْرَأُ الْمَقَاتِلَ، لِمَا وَقَعَ ذَلِكَ السَّهْمُ الْمُشَعَّبُ فِي صَدْرِهِ،
فَلَمَّا أَخْرَجَهُ انْبَعَثَ الدَّمُ كَالْمِيزَابِ، فَأَخَذَهُ وَلَطَّخَ بِهِ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ، ثُمَّ رَفَعَ
يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: "هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ وَجَدِّي رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا
مُخْضُوبٌ بِدَمِي وَأَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَتَلَنِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ".^١

أَصْحَابُ الْمَقَاتِلِ لِمَا يَقْرَءُونَ الْمَقْتَلِ يَقُولُونَ: "قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ"! مَوَاقِفُ
سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ فِي مُقَاوَمَةِ هَذَيْنِ الطَّاغُوتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَسَّسَا أَسَاسَ الْجَوْرِ
وَالظُّلْمِ، لَا بُدَّ أَنْ تَطْفُوَ عَلَى السَّطْحِ، لَا بُدَّ أَنْ تَظْهَرَ! وَنَحْنُ مَا اجْتَهَدْنَا إِلَّا
لِنُظْهِرَهَا لَكُمْ.

اعْلَمُوا أَنَّ الْحُسَيْنَ حَمَلَ دَمَهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَكَذَلِكَ الْأُمَّةُ الْأَطْهَارُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
حَمَلُوا دَمَ الْحُسَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ قَبْلَ أَنْ يُحْمَلُوا هَذَا الدَّمُ يَزِيدَ وَابْنُ زِيَادٍ
وَعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وَشِمْرًا.

١ البحار ج ٤٥ ص ٥٢، اللهوف ص ١٠٦

لتعرف من أنت؟

سَلَامُ اللَّهِ عَلَى إِمَامِنَا وَسَيِّدِنَا الَّذِي ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ! اِقْرُؤُوا فِي خِصَالِ الصَّدُوقِ؛ الرَّوَايَةُ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ [وَيَنْقُلُ رِوَايَةً حَوْلَ قَضِيَّةِ امْتِحَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثُمَّ بَعْدَمَا نَجَحَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِخْتِبَارِ خَاطَبَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فَقَالَ لَهُ]: "يَا إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ طَائِفَةً تَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي"^١.

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، رِيحَانَةُ النَّبِيِّ، مِصْبَاحُ الْهُدَى، سَفِينَةُ النَّجَاةِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ" هَذَا يُذْبَحُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ؟!!

إِنَّ ثَوْرَةَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى الْيَوْمِ، وَإِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا. وَظَيْفَتُكُمْ -حَتَّى قَبْلَ قِيَامِ إِمَامِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ تَثُورُوا لِلْحُسَيْنِ مِنْ خِلَالِ إِسْقَاطِ كُلِّ الرُّمُوزِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي عَادَتِ الْحُسَيْنِ وَحَارَبَهَا الْحُسَيْنُ وَأَسَّسَتِ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ عَلَى الْحُسَيْنِ، لَا تَدْعُوا وَتَرَا لِآلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا أَحْرَقْتُمُوهُ. الْوِتْرُ هُنَا بِمَعْنَى الظَّالِمِ، هَذَا كَلَامُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَأَيْنَ أَنْتُمْ

١ الخصال للصدوق ص ٧٣

عَنْ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ الْمُقَدَّسَةِ؟ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ - كَمَا رَوَاهُ ابْنُ قُلوَيْهٍ -:
"قَوْمًا يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ، لَا يَدْعُونَ وَثِرًا لِآلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا أَحْرَقُوهُ،
وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولًا"^١.

اسْأَلُوا اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ تَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ. لَا تَنْتَظِرُونَ إِمَامَكُمْ أَنْتَظَارًا
سَلْبِيًّا، أَنْتَظِرُوا أَنْتَظَارًا إِيْجَابِيًّا؛ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ يُرِيدُ مِنْكَ خَطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ،
أَسْقِطْ أَعْدَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ يَظْهَرُ إِمَامُكَ.

١ كامل الزيارات ص ١٣٤

لتعرف من أنت؟

الفهرس

تقديم.....٩

الحسين محور الاستقطاب ودمعة الإخضاع!.....١٥

الحسين عليه السلام حصن الأمة ومحور الاستقطاب.....١٦

أسباب بقاء المذاهب واندثارها.....١٨

دمعة الإخضاع!.....١٩

النهي عن الخوض في ذات الله.....٢١

الغلاصة والمناطق والانجراف عن العقيدة السليمة.....٢٢

مزالق التجسيم والتشبيه عند المخالفين وأدعياء التشيع.....٢٥

وقوع بعض الشيعة في فخ التجسيم والتشبيه!.....٢٧

عقيدة وحدة الوجود: الانجراف الأكبر في صفوف العرفاء.....٢٧

المفارقات بين النصوص القرآنية والتفاسير العرفانية.....٢٩

بطلان تقسيم التقوى وتبرير وحدة الوجود.....٣١

أكاذيب الصوفية واختلافهم على أئمة أهل البيت عليهم السلام.....٣٢

مصادر التشيع الأصيلة في مواجهة الانجرافات العرفانية.....٣٤

الدعوة إلى التمسك بمنهج الآل والحذر من الدخلاء.....٣٦

تفسير الميزان ومصائبه!.....٣٧

خطورة التلاعب بالنصوص: مزالق الإرشادية المزعومة.....٤٠

خرافة وحدة الوجود والاشتراك في صفة الموجد.....٤٢

لتعرف من أنت؟

مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ مَوْجُودًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ..... ٤٣

مُحَاكَمَةُ الْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ الدِّينِ..... ٤٥

خِدَاعُ "الأَسْرَارِ وَالْعَوَامِضِ": دَعْوَةٌ لِلرُّنْدَقَةِ..... ٥٠

الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِضْنُ التَّوْحِيدِ الْكَاسِرِ لِشُبُهَاتِهِمْ..... ٥١

الإِعْتِصَامُ بِمَنْهَجِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضِدَّ الانْجِرَافَاتِ..... ٥٥

عَظْمَةُ الدَّمْعَةِ عَلَى الحُسَيْنِ وَقِيمَتُهَا الغَيْبِيَّةُ..... ٥٥

خِذْلَانُ الأَقْرِبَاءِ... أَلَمِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ..... ٥٧

مُعْجِزَةُ الجَمَلِ وَحَقِيقَةُ الإِنْقِيَادِ لِلتُّبُوءَةِ..... ٥٨

مَفْهُومُ الإِفْتِرَافِ وَالتَّسْلِيمِ عِنْدَ الإِمَامِ البَاقِرِ,..... ٦١

مَرَارَةُ الخِذْلَانِ: حِينَمَا تَأْتِي الطَّغْنَةُ مِنَ الأَقْرَبِينَ..... ٦٢

مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةِ وَاحْتِبَاؤُ الفَتْحِ العَظِيمِ..... ٦٣

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَإِسْكَالِيَّةُ النَّصِيحَةِ لِلْمَعْصُومِ..... ٦٦

نَقْدُ مَوْقِفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَبَعْضِ المَعَاصِرِينَ..... ٧٠

مَلَائِكَةُ الصَّلَاحِ: المَلَايِمَةُ وَالتَّسْلِيمُ لِلْمَعْصُومِ..... ٧٢

نُموذَجُ الإِنْقِيَادِ الحَقِّ: عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ وَتَسْلِيمُهُ لِإِمَامِهِ!..... ٧٦

خِشَّةُ التَّخَاذُلِ! مَوْقِفُ عُمَرَ الأَظْرَفِ مِنَ نَهْضَةِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٧٧

مِيزَانُ التَّفَاوُلِ: الإِنْقِيَادُ لِلا نَسْبِ المَجْرَدِ..... ٨١

تَطَاوُلُ عُمَرَ الأَظْرَفِ عَلَى الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ..... ٨٣

الحسين عليه السلام .. التطهير القهقرائي..... ٨٧

- ٨٨ دَمَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْمَائِزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.....
- ٩٠ سِيَّاسَةُ كَيْمَانَ الْحَقَائِقِ وَعَلْقُ بَابِ الْبَحْثِ.....
- ٩١ انْقِسَامُ الْمُخَالِفِينَ فِي يَزِيدٍ.....
- ٩٢ الْمَعَايِيرُ الْمُرَدَّوَجَةُ فِي مُحَاكِمَةِ الطُّغَاةِ.....
- ٩٣ الْخَوْفُ مِنَ التَّشْيِيعِ (عُقْدَةُ الرِّوَاغِضِ).....
- ٩٥ صَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلِ الْحَضْرَمِيِّ وَكِتَابُهُ فِي إِدَانَةِ مُعَاوِيَةَ.....
- ١٠٢ اسْتِبَاحَةُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ جَرِيمَةٌ لَا تَسْقُطُ بِالتَّقَادُمِ!.....
- ١٠٤ الْعُودَةُ إِلَى الْجُدُورِ بِإِدَانَةِ سِيَّاسَاتِ التَّوَلِيَةِ الْأُولَى.....
- ١٠٨ أَسْبَابُ تَفْضِيلِ بَنِي أُمَيَّةَ.....
- ١٠٨ مَا سُرَّ حُبَّ عُمَرَ لِمُعَاوِيَةَ وَعِنَايَتِهِ بِهِ؟.....
- ١١٠ رِسَالَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى مُعَاوِيَةَ: وَثِيْقَةُ الْإِدَانَةِ الْكُبْرَى.....

المقاومة الحسينية .. لمصادر الأولوية..... ١١٢

- ١١٣ مُؤَامَرَةُ السَّقِيْفَةِ وَمُضَادَرَةُ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ.....
- ١١٤ الْمَقَاوِمَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ عَبْرَ الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ.....
- ١١٥ بَعْضُ أَشْعَارِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.....
- ١١٦ أَحْدَاثُ السَّقِيْفَةِ وَحُجْجِ السُّلْطَةِ الْإِنْقِلَابِيَّةِ.....
- ١٢٠ احْتِجَاجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَشْفُ الْمَغَالِطَاتِ.....

لتعرف من أنت؟

مواجهة أمير المؤمنين المباشرة لرموز الانقلاب!..... ١٢٢

الالتفاف على مفهوم "العترة" وتزييف دلالاته..... ١٢٤

أثر مصادر العترة في الفقه وأصوله..... ١٢٧

أحاديث العترة وتحديد رسول الله لمعناها..... ١٣١

مواقف الأئمة وبطولة الحسين عليه السلام في المواجهة..... ١٣٤

أشعار الإمام الحسين عليه السلام في إثبات أحقيته ومظلوميته..... ١٣٧

الحسين استدعاء الموت القاطع للتشيط!..... ١٤١

تأصيل الخنوع في الخط المناوئ لأهل البيت..... ١٤٢

العود الإيجابي (الثقية الشرعية) مقابل القعود السلبي..... ١٤٣

السجال الفكري بين "منهاج الكرامة" و"منهاج السنة"..... ١٤٤

تناقضات ثورات العصر الحديث مع مدرسة ابن تيمية..... ١٤٨

الغاية العظمى لنهضة سيد الشهداء عليه السلام..... ١٥٠

فلسفة المواقف: فعود الحسن وقيام الحسين عليهما السلام..... ١٥٢

حجج المثبتين وموقف ابن عباس الدنيوي..... ١٥٥

إسقاط منطق المثبتين على واقعنا المعاصر..... ١٦٠

عبد الله بن عمر: التشيط بمنطق العاطفة وتحريف النصوص..... ١٦٣

عبد الله بن مطيع: التشيط بمنطق التخويف وفراز الجبناء..... ١٦٨

الحسين عليه السلام طريق المخاطرة والاستعداد..... ١٧٤

- العُقُولُ الْقَاصِرَةُ عَنْ اسْتِيعَابِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ..... ١٧٥
- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَمُوَاجَهَةُ مَرْجِعِيَّاتِ الرَّيْفِ..... ١٧٨
- خُطْبَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ , التَّارِيخِيَّةُ فِي النَّحْبِ..... ١٧٩
- النَّوَايَا الدُّنْيَوِيَّةُ الْمُتَسَرِّرَةُ بِالدِّينِ..... ١٨٤

الانشقاق الحسيني والطاعة الحسينية!..... ١٩١

- الانْشِقَاقُ الْحُسَيْنِيُّ وَالطَّاعَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ..... ١٩٢
- شَرَعْنُهُ التَّعَلُّبِ وَتَبْرِيرِ حُكْمِ الطَّعَاةِ..... ١٩٣
- تَأْثِيرُ الْمَدِّ الشِّيْعِيِّ وَالصَّغْطِ الْجَمَاهِيرِيِّ..... ١٩٦
- تَهَافُتُ التَّقْيِيمِ الْأَمَوِيِّ لِتَوْرَةِ الْحُسَيْنِ ,..... ١٩٨
- تَبْرِيرُ الْجَرِيمَةِ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ..... ٢٠٠
- شُبُهَةٌ "تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ" وَالرَّدُّ الْحُسَيْنِيُّ..... ٢٠٢
- الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ.. نَمُودَجُ الطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ..... ٢٠٦

الحسين عليه السلام غاية لا تبرر الوسيلة..... ٢٠٩

- الغاية لا تبرر الوسيلة: منهج أهل البيت عليه السلام..... ٢١٠
- الموقف العلوي في الشورى ورفض المساومة..... ٢١٤
- التقى معيارُ المواقف العلوية..... ٢٢٠
- تشخيص الاختلالات في الواقع الشيعي المعاصر..... ٢٢٤
- الجذور الواهية لدعوى مشاركة علي في حروب الردة..... ٢٣١

لتعرف من أنت؟

التحذير من الفساد في الدين واتباع غير نهج الحسين ٢٣٦

التنزه عن التشيع الدنيوي لتكون والحسين كهاتين..... ٢٣٩

فهوم التشيع: هل هو عقيدة أم مَطْمَعٌ دُنْيَوِيٌّ؟ ٢٤٠

مغيار المحبة: لله أم للدنيا؟ ٢٤٣

رواية الديلمي: "قصيرة من طويلة" ٢٤٥

التطبيقات المعاصرة: التشيع الدنيوي في واقعنا اليوم ٢٤٧

دخس الشبهة: لماذا صادَرَ الحسين عليه السلام قوافل الأمويين؟ ٢٥٠

خطر "التقية" كمبرر للخذلان ٢٥٤

التصفيّة الحسينية لأصحاب التشيع الدنيوي ٢٥٥

رف الشهادة والتسليم المطلق ٢٥٧

كل شيعي حقيقي صديق وشهيد ٢٥٩

أنموذج التشيع الخالص لأمير المؤمنين عليه السلام ٢٦٠

الثورة الحسينية مستمرة..... ٢٦٢

بين الحزن المحمدي والإبتهاج الأموي يوم عاشوراء ٢٦٥

تفنيذ الأكاذيب حول صيام يوم عاشوراء ٢٦٨

مقام الشهداء مع الحسين عليه السلام وشرف كربلاء المقدسة ٢٧٠

المؤامرة على مشروع التحرير النبوي ٢٧٢

استمرارية الثورة الحسينية وانتصارها الخالد ٢٧٤

قراءة حسينية منهجية غير مطروقة!

- دَعْوَةٌ لِلْمُخَالِفِينَ لِلْعَوْدَةِ إِلَى رِحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٧٧
- مَسْئُولِيَّةُ الْمُسْتَبْصِرِينَ فِي دَخْضِ الْبِدَعِ الْأَمْوِيَّةِ ٢٨٢
- مَصَارِعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَظْلُومِيَّتُهُ ٢٨٦
- قَتَلَنِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ! ٢٩١

لتعرف من أنت؟

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ دَعْوَةٌ جَادَّةٌ وَمَفْتُوحَةٌ لِكُلِّ مَنْ
يُرِيدُ أَنْ يَكْتَشِفَ ذَاتَهُ مِنْ جَدِيدٍ دَاخِلَ «الْمَنْظُومَةِ
الْحُسَيْنِيَّةِ». نَحْنُ نَدْعُوكَ فِيهِ لِتَسْأَلَ نَفْسَكَ بِصِدْقٍ:
«لِتَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ؟»؛ أَيُّ مَوْجِعٍ تَحْتَلُّهُ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ
الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟ وَهَلْ أَنْتَ مِمَّنْ يَعِيشُونَ
الْإِرْتِبَاطَ الْحَقِيقِيَّ بِذِكْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي تُثَمِّلُ
«دَمْعَةَ الْإِخْضَاعِ» لِكُلِّ فِكْرٍ مُنْحَرِفٍ، أَمْ أَنْتَ لَا
تَزَالُ أَسِيرَ مَفَاهِيمٍ غَرِيبَةٍ عَنِ أَصَالَةِ الْمَنْهَجِ الْمُحَمَّدِيِّ الْعُلَوِيِّ؟

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب